

# العِلَّاتُ السُّوْدَاءُ

مُهَمَّةُ اعْدَادِ النُّخْبَةِ السِّيَاسِيَّةِ  
فِي لِبَنَانٍ

دراسة وثائقية تاريخية

د. طلال عربسي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٧ - ١٩٨٧ م

الوِكَالَةُ الْعَالَمِيَّةُ لِلْتَّوزِيعِ

SRL6  
URU

(C)

BX

3746

L4 I87

1987

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فُل رَّيْ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

القصص ٨٥



« حين ننشر في هذا البلد ، بواسطة اللغة الفرنسية ، التعليم والأخلاق والفنون المفيدة والزراعة ، فإننا سنسيطر على الشعب ، وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت ، جيش متفان » .

ج . دي بريتون .

١٨٤١



## تَقْدِيم

ثمة اعتقاد شائع ، من خلال نظرة تاريخية أو سياسية أو تعليمية ، أن انتشار الارساليات المختلفة منذ القرن التاسع عشر في داخل الدول الاسلامية والعربية التي عاشت في ظل الحكومة العثمانية ، أدى إلى « نهضة » فكرية عالية ، وإلى تحولات ثقافية وعلمية رفعت سكان هذه البلاد إلى مصاف « الامم الراقية » ونقلتهم من « ظلمات الجهل إلى نور المعرفة » ، فكان فضلها عليهم كبيراً وعلى العلم والمعرفة عظيماً ، وذلك قياساً ومقارنة مع حالة التردي العامة التي بدأت تتسلل إلى الولايات العثمانية في فترة ضعف حكومتها المركزية ، وبداية تفككها وتقسيمها .. فكانت « النهضة » من هذا المنظار ، ما نجح المرسلون في تأسيسه من مدارس في مواجهة المدرسة الاسلامية العثمانية ، ومحاولات اصلاحها من جهة أو تحديها من جهة أخرى ... ، وقد تكرر هذا المفهوم « للنهضة » في كتابات متفرقة ، خاصة ما تناول منهابلاد الشام وتاريخها بحيث تلازم الامران وترافقا : النهضة والارساليات التعليمية ، وبات الاقرار « بنعمة » الاولى يستلزم حتماً توكيداً لفضائل الثانية ، وأصبح الرأي من خلال تكراره ، في الدراسات والابحاث التاريخية والسياسية والتعليمية ، مسلمة تزيد أن ترقى إلى مصاف اليقين ... .

إلا أن هذا التوكيد ، رغم شيوعه ، ورغم التناقض في وجهات النظر

حوله تارة انطلاقاً من تأييد مطلق للدور الارسالي ومؤسساته التعليمية وما قدمته ولا تزال من خدمات جل ، (كما برب ذلك مؤخراً بشكل واضح في حالات الدعم والبيانات التي صدرت من كل حدب وصوب والتي كانت بعظمها أحادية النظرة في رؤية ذلك الدور وتلك المؤسسات ) ، وقد يكون لذلك اسباب أخرى لا مجال للخوض في تفصيلاتها . وтараة من منطلقات تستبطن ، ادانة العهد العثماني للنيل من الحكم الاسلامي عموماً ... إلا أن كل ذلك ، وسواء من ادعاءات ومنطلقات وغيرها على مستوى العلم والمعرفة ، لا تمت إلى الحقيقة التاريخية أو حتى الراهنة بصلة فعلية . بل هو توكيد سياسي غير علمي سوف لن يجد له مرتكزاً أمام الوثائق والبيانات .

فالرساليات التي اتسم عملها في مختلف انحاء العالم بتدخل مميز وبارز بين التبشير والتعليم ، ارتبط نشاطها في الوقت نفسه ، وفي فترات متلاحقة بسياسات الدول الاستعمارية ، أي أنها انتقلت من اطار توجهات الكنيسة . إلى فلك التنفيذ الأوروبي وسياساته ، وهو أمر يقر به « الآباء » والقناصل على حد سواء ، وبحيث تحول هدف التبشير « من غرس للكنيسة في بلد جديد » ، إلى غرس للتنفيذ الأوروبي ولغته وثقافته . أي أن هذا الارتباط بتلك السياسات لا يقع في حيز الافتراض ، أو الاتهام ، الذي نسوقه اعتباطاً ، أو هو عداوة تسقط لالف سبب على الدور الارسالي ، بل هو ، كما سيتبين لنا ، مجرد تنظيم لاعترافات ومراسلات نطق بها أو كتبها مرسلون وقناصل ومبعوثون ، وهو تحليل وتوثيق لما تشتت منها في غير مكان وتاريخ ، كما يخبرنا ملحق هذا البحث وفصله المختلفة .

لهذا السبب ، رأينا أنه لا يمكن ، بل لا يجوز أن يبحث في النشاط الارسالي عموماً بعزل عن ارتباطه ، أهدافاً وانجازات ، بسياسات الدول الأوروبية المستعمرة في شتى أقصاصي الأرض ، لأن هذا الارتباط الضروري ، هو الذي يفسر لنا على سبيل المثال القريب ، عودة بعض المبشرين الكثيفه ونشاطها المؤوب المتلاحق منذ اوائل القرن التاسع عشر ، وعلى امتداد ما يقارب المائة عام ، لا إلى بلاد الشام وحسب ، بل إلى مختلف أنحاء الدولة

العثمانية التي كانت تلفظ انفاسها الاخيرة ، وتتلاشى وحدة اراضيها ، منطقة اثر منطقة ، وولاية خلف ولاية ، تحت سياط التدخل الأوروبي المباشر ، من « الامتيازات » ، إلى الحشود العسكرية ، إلى السياسة .

فعام ١٨٣٠ فرنسا تحتل الجزائر .

وعام ١٨٨١ تحتل تونس .

ويحتل الانكليز مصر عام ١٨٨٢ . ثم السودان عام ١٨٨٩ . . .

وتكر سبعة الاحتلالات المباشرة ، من ليبيا إلى المغرب ، إلى بلاد الشام

التي تسقط أخيراً عام ١٩١٨ . . .

هذه الفترة التاريخية من السقوط المريع والمتالي لبلاد الدولة العثمانية ، كانت ضربة قصمت ظهر المشتبهين بوحدتها ، الداعين لها ، والمؤمنين بعقيدتها ، وكانت ايذاناً بأغول أنجمهم التي سطعت رحراً طويلاً من الزمن . إلا أن هذه الفترة التاريخية نفسها كانت من جهة أخرى ، عصرأً ذهبياً براقاً لنشاط تعليمي تبشيري حللت لواءه الارساليات المختلفة حيثما حطت رحالها ، ونشرت آباءها ، ورهاها . كما كانت في الوقت نفسه عصرأً ذهبياً لانشار أفكار هؤلاء المبشرين والرهبان ومن تلمسد على أيديهم من الناشئة والصبيان الذين حملوا فيها بعد لواء الدعوة لمجد البعثات وللدول الأوروبية سياسة وثقافة وانتقاء . كما حملوا وبثوا لواء القبح والتعریض والتشكيك بالدولة العثمانية ووحدة وجوداً وعقيدة . . .

ولهذا السبب أيضاً ، لا يمكن أن نكتفي ، كما يخلو للبعض أن يفعل ، اقناعاً لنفسه ولآخرين ، بتعداد أو ابراز ما أنجزته الارساليات في بلاد الشام أو في غيرها من البلاد الاسلامية من مدارس ورميات ومهنيات وثانويات وكليات ، واعتباره غرسة حضارة أينعت علمًا وتقديماً في أرض جدباء قاحلة ، أو بصيص نور في ظلمات ليل الاسلام الحالك . . . لا يمكن أن نكتفي بذلك التعداد دون الالتفات أو التدقير في الاطار السياسي والاجتماعي الذي

احتضن كل تلك الانجازات وأمدتها بالغذاء الذي كفل لها الحياة والبقاء . ونحن لا نصرُ على هذا الترابط لأنه من بدويات ، أو مبدأيات العلاقة بين التربوي والسياسي والاجتماعي فقط ، بل لأن علاقات البعثات فيما بينها ، وعلاقتها مع سكان البلاد ، وصلتها السياسية والثقافية والمادية بالدول الأوروبية ، هي التي تحكمت أساساً في محصلة هذه « الانجازات » التربوية عدداً ، ومكاناً ، وأهدافاً ، حتى بات انشاء مدرسة هنا ، أو بناء مitem أو مهنية في مكان آخر ، جزء من الصراعات الأوروبية على النفوذ ، وليس استجابة لحاجات محلية للمعرفة والتعليم ... وهذا ما يؤكده لنا الأب بلانشيه Plan chet اليسوعي بقوله : « لا يمكننا أن نعمل لنصرة وفائدة هذه الشعوب (السورية) ، إلا من خلال افشل محاولات الجمعية الاميركية ومواجهتها جهداً بجهد ، ومؤسسة مؤسسة ، وأن نعطل وسائلهم بأن نلجم لملئها . » أي أن الغاية من المؤسسات ، كما يقر بذلك الأب بلانشيه ، ليس سوى تعطيل ميشلاتها المنافسة لها . وفي مناسبة أخرى يحدد أحد المسؤولين الفرنسيين أهداف كلية الطب اليهودية في بيروت قائلاً : « أن غاية المؤسسين(\*) الأولى ، أن يجعلوا من هذه الكلية فكرة سياسية ومؤسسة دعائية . » .

فإذا كانت كلية الطب ، رغم سمو الطب وبنله ، وسيلة لغاية سياسية ودعائية كما يقر بذلك الفرنسيون أنفسهم . أفلأ تكون المدارس والمهنيات والثانويات وسائل أخرى لغاية مماثلة ؟

لا بد اذن أن تصبح « النهضة » ، رغم ما يفيض عليها من نعوت ، ورغم ما تحمله في التسمية نفسها ، حالة من الانتقال إلى دائرة الغايات والثقافة التي رسمها الفرنسيون والرساليات من خلال النفوذ الأوروبي وصراعاته . هي اذن حالة « نهوض » ، من موقع إلى آخر ، ومن انتماء إلى انتماء ، وليس من خلف إلى ارتقاء ، كما يريد أن يوهمنا الكثيرون . لذلك

(\*) هما : lambretta والكاردينال gambetta

نرى من نافل القول ، أن أي تغيب أو تجاهل متعمد لهذا الترابط السياسي التربوي في الدور الارسالي ومؤسساته ، يحمل فيما يحمل من تشويه تاريخي وتضليل ، دعوة ضمنية أو علنية في بعض الاحيان ، للتشبث بما أفرزه ذلك الترابط من خلل ثقافي واجتماعي في الكيان اللبناني فيما بعد ، وفي علاقات طوائفه فيما بينها ، وفي « نهوضه » بقلة منها إلى موقع السلطة والاستئثار والغلبة .

ضمن هذا الاطار ، يتضح لنا أيضاً ، لماذا تختزل الكتابات المغرضة أو المشوهة تاريخ التعليم في لبنان ، إلى مجرد تاريخ للنشاط الارسالي فيه ، أو إلى مجرد تاريخ للتعليم في جبل لبنان<sup>(\*)</sup> حيث حلت البعثات في بداية أمرها ووثقت علاقتها الدينية والسياسية والفكرية مع قسم من السكان . كما يتضح لنا أيضاً ، لماذا تحول الكتابة عن تاريخ لبنان في الكتب المدرسية وغير المدرسية إلى تاريخ تلك المنطقة وسكانها فقط ، مع نفي مطلق وتهبيش حاد لدور المناطق الأخرى ، ودون أي اعتبار حتى لتاريخ سكانها ، أو حتى لمؤسساتها التعليمية التي حفرت عميقاً في صخور المعرفة والثقافة على مر الأجيال ، كما تنبئنا المصادر التاريخية المختلفة ، وتراث رجالات العلم والمعرفة الذين ترعرعوا فيها ويشار إليهم بالبنان . لم يكن مصدر ذلك التوجه الفكري الذي يستمد مبررات وجوده من نفي الآخر وتهبيشه ، علة منهجية في البحث أو قلة في معلومات تاريخية ، أو نقص في مصدر أو مرجع ، بل هو مشروع واع تمت حياكته ببطء وتمهل وتأن متين على امتداد نصف قرن من الزمان ، ليجسد ذلك الترابط بين السياسي والثقافي والديني الذي برعت فيه الارساليات ببراعة قل نظيرها حيثما حطت الرحال . أي ليجسد بمعنى آخر ، تلك الثقة التي كان يجب أن تشعر بها فرنسا ، وهي تعلن بلسان جنراها « غورو » ولادة « دولة لبنان الكبير » ، لأن هذه الدولة المولودة ، بن سيحيي أمرها ، لن تكون إلا ضمن الدائرة التي رسمها الجنرال أو في الفلك الذي تدور فيه سياسة دولته .

---

(\*) راجع على سبيل المثال : فؤاد افرام البستاني : تاريخ التعليم في لبنان / مجلة الندوة اللبنانية : السنة الرابعة النشرة ٩ - ١٢ / ٢٥ كـ ١٩٥٠ .

وهذه الثقة ، لن تكون سوى ثمرة الجهد اليسوعي بشكل خاص ، الذي بذلته الارساليات منذ منتصف القرن التاسع عشر ، لاعداد « القادة الاوليفاء » « والنخبة المؤهلة لقيادة الأمم المحررة » ، كما يقر بذلك أكثر من « أب » وقنصل ، في أكثر من اعتراف ...

هذا التوجه الفكري ، هو أيضاً ثمرة الغرسة التعليمية التي رواها يسوعيون تعبأً وعرقاً في المراحل الابتدائية والثانوية والجامعة ، وفي الميامى والالهنيات ... ولا ينفي ذلك التوجه من جوهر النفي والتهميش التاريخي والراهن أيضاً ، سوى التمسك والتأكيد على مبررات تاريخية مزعومة ومصطنعة ، والتشبث بها ، لأنها تتيح لمن رفع إلى سدة القيادة والرياسة ، أن يبقى فيها أبداً - وتنبع - حتى فكريأً وتاريخياً - من غلبة الاساطيل الأوروبية وقهرته منذ ١٨٦٠ أن يحرك عقله ويديه ، أو أن يجرؤ على التفكير في تغيير أوضاع « ثوابت » يجب ألا تهتز أو تتبدل لأنها ثمرة ميزان معين للقوى . بل على المغلوب أن يبقى كذلك إلى الأبد ، ينهل من معين التذكر لتاريخه ومستقبله ، وشعبه ، فكريأً وسياسيأً ، ليسلك سبيل الرفعة والرضى ويخطى بنعم السلطان وخирه ...

هذا ما حصل بشكل نموذجي في لبنان ، ضمن مشروع استهدف تفتت بلاد الشام بأسرها إلى دويلات صغيرة ، امعاناً في تذويب شخصيتها وخشية من تكرار وحدتها . وقد فرض على المغلوبين في لبنان في ذلك الوقت ، ما اعتبر « أمراً واقعاً » ، في التركيبة السياسية والبنية التربوية .. رضي به هؤلاء على قاعدة « مكره أخاك لا بطل » ، في ظل هزيمة اسلامية عثمانية عامة ، واجتياح أوروبي غربي عنيف واتفاقيات تتلاعب بمصير الشعوب والحدود ... وتدرجت المواقف من رفض الهزيمة والتمسك بالوحدة ورفض الاجنبي ... إلى الاذعان والتفكير في معايشة الامر الواقع .. لكن شرط الولاء والارتقاء ، كان قد تحدد مسبقاً ، قبل عشرات السنين ، من خلال تلك الغرسة التعليمية اليسوعية ، بما هي ثقافة ولغة وانتهاء ، ومن خلال « أم حنون » امتدت تلك الغرسة بالغذاء والحياة ما يقارب العشرين عاماً ، حتى بلغت أشدتها .

وأصدرت خلاها سلسلة مقررات تربوية وتعلمية ، بقيت أساساً للنظام التعليمي اللاحق في « دولة الاستقلال » ، من حق الارساليات في حرية العمل ، إلى فرض الفرنسية لغة في التعليم .

« ... فلا يجوز بأي حال ، حصر نشاط الارساليات الدينية ، كما لا يجوز التضييق على اعضائها بحججة الجنسيات التي يتمون إليها ، على أن تكون هذه النشاطات محصورة في النطاق الديني . وبامكان الارساليات الدينية الاشتغال في التعليم والاغاثة ... »<sup>(١)</sup> . « واللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية في جميع دوائر الدولة ، واللغة الفرنسية هي أيضاً لغة رسمية ، وسيحدد قانون خاص الاحوال التي تُستعمل بها . »<sup>(٢)</sup> . هذا الإقرار برسمية اللغة العربية إلى جانب الفرنسية ، لم يتـ حدود الادارات الرسمية والمعاملات الخاصة بها التي تطبع وتكتب باللغتين . فقد ورد فيها يتعلق بالمناهج التعليمية :

« إن تعليم اللغة الفرنسية هو ، كسائر اللغات الرسمية في سوريا ولبنان اجباري في جميع معاهد التعليم الخاصة »<sup>(٣)</sup> .

وفي أول مناهج رسمية صدرت في فترة الانتداب ، أكد النص على أن « تدرس علوم الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والعلوم الطبيعية باللغة الفرنسية ... »<sup>(٤)</sup> .

كان القبول بكل ذلك ، نصوصاً ومقررات ، شرطاً « وحيداً » للاقرار بصدق ولاء المسلمين واختبار مدى التحاقهم وقبوهم بالنموذج الكياني الجديد .. أي اختبار لمدى ابتعادهم عن ثقافتهم ولغتهم وتاريخهم .. أما مجردوعي هذا التاريخ وقيمه أو الاصرار على تلك الثقافة وحقها ، أو حتى مجرد

---

(١) لاحظ حصر نشاط الارساليات في النطاق الديني من جهة وامكانية اشتغالها في التعليم في الوقت نفسه !! .

منير بشور . النظام التربوي في لبنان - المركز التربوي للبحوث والآباء . بيروت ١٩٧٨ .  
الفصل الأول - وفيه أيضاً نفحات احصائية مفيدة .

(٢ - ٣ - ٤) - المرجع نفسه .

التململ والرغبة في طيف عدالة خجولة أو مساواة مقبولة .. خروب لا تنتهي وشراسة في التدمير تجرف معها أسس الكيان نفسه ، وكل شيء ..

هذا ما شكل ولا يزال ، مكمن الخطر ، ونقطة الاحتلال الكبرى ، في العلاقات الإنسانية والسياسية ، لا في بنية النظام التعليمي في لبنان وحسب ، بل في معظم النظم التعليمية والثقافية في البلدان العربية والإسلامية التي تمكّن الاحتلال الأوروبي منها عشرات السنين ، وتركها أشباه قردة في التقليد والايقاع ..... أما ما دون ذلك الخلل ، من هموم وقضايا تربوية وتعليمية ورغم الاقرار بوجودها ، فلا يجب أن تختل مرتبة الاهتمام أو الخطورة الرئيسة ان على مستوى البحث والدراسة ، أو على مستوى اللاحاج في التعين والماجهة والمعالجة . لأن انفراط واسطة العقد ، يبعثر حباته جميعاً . فلا نفرق في متأهّلات تتفرّع أصلًا عن الخلل الرئيس ... .

ضمن هذا الاطار يجب أن يتقدم مضمون التعليم وأهدافه ، ومضمون الثقافة وغاياتها ، على كافة المهموم أو الشعارات التربوية والتعليمية التي لا يفعل معظمهما سوى الاستئناس ، بنقل وتقليل بعض المشاكل الجاهزة عبر نظريات شتى ، لا ينفع نعت أصحابها لها بالعلمية والموضوعية ، حين تصطدم بالواقع الذي يحولها إلى زبد يذهب جفاء ولا ينفع الناس .

يحاول هذا الكتاب أن يسلط الضوء ، في اطار الدور الاستعماري الثقافي الذي مارستهبعثات التعليمية والتبشيرية داخل الدول العربية والإسلامية ، على علاقة بعثة اليسوعيين مع الموارنة في لبنان بشكل خاص ، منذ منتصف القرن التاسع عشر . وذلك كاحدى مراكز النشاط النموذجية التي أفلحت في إنجاز وقطع ثمار ما غرسه خلال فترة طويلة من الزمن . لذلك تناول الفصل الأول « التبشير المسيحي بين الكنيسة وأوروبا الاستعمارية » اشارة أساسية إلى ذلك الارتباط بين الانطلاق التبشيري والتعليمي وبين التوسيع الأوروبي العسكري والسياسي . وكذلك سيرة جمعية يسوع ، تأسيسها ، نشاطها على مستوى العالم ، والعقبات التي واجهتها من جراء تداخل نشاطها بين التبشير والتعليم والسياسة . أما الفصل الثاني « التعليم

الرسمي والاهلي » ففيه محاولة للوقوف على مستوياته عند الطوائف المسيحية والاسلامية كي يتبيّن لنا يوضّح ، مدى التأثير اليسوعي في هذا الميدان قبل وصول بعثتهم وبعدها .

وتناول الفصل الثالث « اليسوعيون في سوريا ولبنان » علاقتهم مع فرنسا ، الظروف التي ساهمت في تعزيز دورهم وانجاحه ، نظرتهم الخاصة إلى دونية الموارنة ، اساليب عملهم وتفكيرهم ، والمنافذ التي عبروا منها إلى قلوب السكان وعقولهم . . .

أما الفصل الرابع « التعليم اليسوعي واعداد النخبة » ففيه عرض لاسلوب اليسوعي في التربية من حيث الاهتمام بالطفولة والتركيز على دورها ، والمراحل التعليمية الابتدائية ، والثانوية ، والجامعية ، التي يبقى خلاها الطالب تحت الاشراف اليسوعي ما يزيد على العشرين عاماً من حياته ، تؤهله للانجداب التام نحو فرنسا ، فكراً ، وثقافة ، وعاطفة ، وسياسة . وهي القاعدة المتينة التي تسمح باعداد وانتقاء « النخبة » .

وفي الفصل الرابع « البعثات الفرنسية والبروتستانية والبعثات الأوروبية الأخرى ، عرض لأهمها ، والدور الذي ساهمت فيه ثقافياً وسياسياً إما إلى جانب اليسوعيين ضمن النفوذ الفرنسي ، وأما في مواجهتهم ضمن نفوذ الدول الأوروبية الأخرى .

ولا بد من القول هنا إلى أن اقتصارنا على فصلٍ وحيد للإشارة إلى الدور الذي مارسته البعثات البروتستانية أو سواها من البعثات ، لا يقلل من أهميته على الاطلاق لكن محاولتنا للتركيز على الدور اليسوعي هي التي ارغمنا على ذلك ، لأننا نعتقد ، حقيقة ، أن البعثات البروتستانية تحتاج إلى دراسة مستفيضة مستقلة ، خاصة وأن تأثيراتها واهدافها لم تتحصر في لبنان كما غالب على اليسوعية ، بل امتدت إلى معظم الدول العربية والاسلامية من تركيا إلى مصر .

كما يجب أن نقر أيضاً بأن السبب عينه ، هو الذي جعل للتعليم عند

الطوائف في لبنان فصلاً واحداً ، بينما تفرض أهميته بحثاً خاصاً . هذا بالإضافة إلى أننا آثروا ألا نكرر بعض ما ورد في كتب أخرى حول هذا التاريخ التعليمي ، واقتصرنا على التقاط السمات التي تميز بين مستوى تعليمي وأخر لدى الطوائف اللبنانية .

يبقى أن نشير في نهاية هذا التقديم ، إلى أننا جعلنا للمعلومات التي جمعناها أساساً من ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية في باريس ، ملحقاً خاصاً في نهاية كل فصل . وهي بما تضمنته من صراحة متناهية في التعبير عن الأهداف الفرنسية والغايات اليسوعية ، حجة متينة تبعد عنا تهمة الافتراء على الارساليات عموماً أو على اليسوعيين خصوصاً .. وقد اضفنا إليها بعض الوثائق التي انتقيناها من مقتطفات « عادل اسماعيل » من ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية نفسه ، الذي صدر في بيروت في سلسلة بالفرنسية ، تجاوزت الثلاثين مجلداً ولم تكتمل أجزاء لغاية الآن . وقد اشرنا إلى مصدرها في نهاية كل وثيقة . كما لخصنا مضمون الوثائق في ملحق كل فصل تسهيلاً لمراجعتها أو الاطلاع عليها .

وقد ساهمت الكتب والمجلات الفرنسية التاريخية التي ألفها أو كتب فيها آباء يسوعيون ، في تدعيم حجتنا في هذا المجال . لذلك اكتثرا من ذكر مقاطع منها في ثانياً البحث ، فكانت بالإضافة إلى ملحوظه ، عوناً لنا على كشف ما التبس من غایات ، وبرهاناً يُسمّى بالموضوعية ما توصلنا إليه من استنتاجات ..

والله الموفق وبه نستعين ..

- طلال عطريسي -

# الفصل الأول

## التبشير المسيحي من الكنيسة إلى أوروبا الإستعمارية

جمعية يسوع :

- تأسيسها وسيرة مؤسسها .
- نشاط الجمعية .
- الجمهورية اليسوعية .



لم يستطع العمل التبشيري الذي رعته الكنيسة الكاثوليكية ، رغم انتشاره في أقصى الأرض منذ قرون ، أن يحقق ، حتى بدايات القرن التاسع عشر ، تبدلات هامة إن على مستوى « نشر الدين وخلاص النفوس » أو على المستويات الاجتماعية والسياسية . وبالرغم من تفاوت نشاط المبشرين في قارات العالم ودوله ، وما تمتعت به بعض البعثات من أوضاع خاصة ، وما عرفته من ازدهار وتوسيع في بعض الأحيان ، فإن ثمار العمل لم تؤت أكلها . ولهذا الأمر ، كما يُستنتج من آراء الآباء ومسؤولي البعثات أسباب عديدة . منها ما يتعلق بالكاثوليكية نفسها وبما تعرضت له من صراعات ومشاكل . ومنها ما يتعلق بالعقبات التي واجهت المبشرين بين « الأمم غير المؤمنة » . ففي أوروبا « أدى تنافس المالك الأوروبي وتدمير قواها الذاتية في حروب داخلية متواصلة إلى عدم اتحاد البعثات الكاثوليكية ، وبالتالي عدم اتحاد المسيحية إلى أن تحولت أوروبا الكاثوليكية إلى جلم . وبات واضحًا حتى منتصف القرن الثامن عشر أن توسيع الكنيسة الكاثوليكية قد دخل في أزمة خطيرة جداً »<sup>(١)</sup> ،

---

histoire universelle des Missions catholiques 4 tomes. Librairie Grund. Sous la(١) direction de M.S. De la croix.

Tome I: les Missions des origines au XVI siècle-1956  
= tome II : les Missions modernes 1957 .

كما تهددت موضع الكاثوليكية بالمحنة المزدوجة من روسيا الأرثوذكسية ومن البروتستانتية الانكلوساكسونية والألمانية<sup>(١)</sup>. هذا بالإضافة إلى أن الضربة التي وجهتها الثورة الفرنسية إلى الكنيسة « أدت إلى انقسام الاكليروس إلى اتجاهات متخصصة ، وإلى حل الأخويات الدينية ، وإلغاء الحلقات الدراسية ، وتقليل اهبات ومصادر أموال الكنيسة »<sup>(٢)</sup> .

أما خارج الحدود الأوروبية ، وفي إفريقيا مثلاً « فقد أدى النشاط التبشيري الذي أعقب الاكتشافات البرتغالية الأولى ، والذي استمر ثلاثة قرون (من ١٤٠٢ - ١٧٨٩) إلى فشل تام . وعندما استؤنف النشاط المسيحي في منتصف القرن التاسع عشر ، لم يجد المرسلون الجدد أي أثر للذين سبقوهم »<sup>(٣)</sup> ويلخص G.Bouchaud ، أحد مسؤولي البعثات ، أسباب الفشل في تلك القارة ، بعقبات ثلاث :

« أولاً : تبعية المبشرين المطلقة للسلطة الاستعمارية ، مما أدى إلى تقييد حرية عملهم وخضوعهم للضباط ورجال البلات .

ثانياً : جهل المرسلون الأوائل بالبلاد وسكانها جهلاً تاماً .. ومارستهم للوعظ بذهنية الحروب الصليبية ، واعتبارهم أن كل ما لا يتفق معهم هو من عمل الشيطان ... هذا بالإضافة إلى تجاهلهم لسياسة بيع العبيد ، ولجوئهم إلى تعنيفهم قبل ترحيلهم إلى أميركا .

ثالثاً : نشر المسيحية عبر المترجمين .. وفشل عمليات التعميد السريع التي لم تؤد إلى تغيير عقلية الأفارقة وعاداتهم ... والدليل على ذلك ، أنه بالرغم من حملات إرسال الأطفال الأذكياء إلى أوروبا ل认真学习وا ما يتعلمه الأطفال الأوروبيون ، وإعادتهم إلى بلادهم بعد سنوات .. فقد حافظ الأفارقة

Tome III les Missions Contemporaines 1958

Tome IV : l'Elgise catholique en face du monde non chrétien 1959

Voir tome II. p.363-366-367-391.

(١) المرجع السابق p.394

(٢) المرجع السابق . p.27.

(٣) المرجع السابق : tome II. p.241.

على ارتباطهم الشديد بعتقداتهم ومارساتهم التقليدية . . . وقد تم انتظار منتصف القرن التاسع عشر تقريرًا لاستعادة النشاط المسيحي في إفريقيا السوداء<sup>(١)</sup> .

كما اصطدمت بعثات المبشرين بالدين الإسلامي في بعض دول إفريقيا السوداء ولم تتمكن من القضاء على بعض عاداته « كالحجاب وطقوس تصحية الحيوانات ، ولم يتراهى لها أي بصيص أمل بعمل قريب »<sup>(٢)</sup> ، كما وقفت البوذية والكونفوشية سداً آخر بوجهها في جنوب شرق آسيا وأفغانستان والصين<sup>(٣)</sup> .

إلا أن هذه العقبات داخل أوروبا وخارجها ، لم تمنع إعادة شحذ الفكر التبشيري ، وتحديد أهدافه ، وبirth فكرة الحروب الصليبية القديمة . خاصة وأن الدولة العثمانية ، الخصم المعاصر ، توحدها عقيدة الإسلام ، وتمتد أطرافها إلى قلب أوروبا . فانتشرت الدعوات بين الآباء والرهبان « لإعادة المسيح إلى موطنها وطرد المحتل من الأماكن المقدسة » ، وتحريض الملوك « لإعادة البحر المتوسط مسيحياً كما كان » ، وعلت الصرخات التي طالب بسقوط الأتراك « للصوص ، والقتلة ، والمجرمين » ووصل الأمر بأحد الرهبان يسوعيين ، الأب جوزف ، في ظل هذه الأجواء إلى تأليف قصيدة من ٤٠٣٧ بيتاً باللغة اللاتينية ، يتحدث فيها عن الحرب المقدسة ضد الإسلام ، أطلق عليها اسم « La Turciade » ( لا تركياد ) نسبة إلى تركيا<sup>(٤)</sup> .

لكن الظروف لم تكن مؤاتية لشن حرب صليبية جدية وتحرير « الأرض المقدسة » بقوة السلاح وحماية المسيحيين . لذا كان لا بد من التركيز على الوسائل التبشيرية<sup>(٥)</sup> . فترافق دعوات الآباء والرهبان مع انتشار للبعثات في

tome II. chapitre XI-Les Missions d'Afrique. j.Bouchaud. p.241-245.

(١)

tome III. p.407.

(٢)

tome III. p.411.

(٣)

tome II. p.89-92.

(٤)

tome 2- p.94.

(٥) المرجع السابق :

إنحاء البلاد الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية أملأ في التمكّن من «توجيه الضربة إلى إمبراطورية الشيطان»<sup>(١)</sup>. فوصل أربعة يسوعيين إلى القسطنطينية عام ١٦٠٩ بقيادة كانيلاك وأقاموا قرب السفارة الفرنسية . وأسس الكبوشيون حوالي ١٦٣٠ مركزاً لبعثتهم في حلب ، وتبعهم يسوعيون عام ١٦٥٠<sup>(٢)</sup> . كما أرسل الأب جوزف ثلات مجموعات من البعثات حوالي عام ١٦٥٤ : واحدة إلى القسطنطينية واليونان ، وأخرى إلى صيدا ، امتدت منها إلى سوريا ومصر ، وثالثة إلى بلاد فارس في زمن الشاه عباس<sup>(٣)</sup> .

إلا أن العقبات التي اعترضت عمل المبشرين ، بالإضافة إلى تشدد السلطات العثمانية حيال البعثات لم يسمح هذه الأخيرة طيلة ما يقارب ثلاثة قرون من نشاطها بتقويض «إمبراطورية الشيطان» أو «بتخلص النفوس» إلا مع بداية القرن التاسع عشر زمن التحولات الكبرى في أوروبا .

ففي هذا القرن دخلت أوروبا في عصر جديد من التوسيع العسكري والسياسي بدأ مع الثورة الصناعية التي قبلت الأوضاع الاجتماعية والفكرية داخل أوروبا وأدت إلى ولادة الرأسمالية ، وخروج أوروبا من حدودها لمواجهة الكتلة الإسلامية الضخمة المتمثلة في «إمبراطورية العثمانية» المترامية الأطراف . وقد كانت الامتيازات التي حصلت عليها دول أوروبا «لحماية المسيحيين» داخل «إمبراطورية» ، حجة وجسراً عبرت عليه البعثات المختلفة إلى الطوائف المسيحية والأقليات الدينية ، تحميها شرعية القنصليات والسفارات ، أو القوة العسكرية المباشرة ، فأأسست مدارسها الخاصة بها ، وأرست أسس نظام تعليمي يستلهم الثقافة الأوروبية ويبشر بها .

في هذا الوقت بالذات ، قطفت أوروبا ثمار تدخلها . وبدأ الجسد الكبير يترنح والسلطة تتفكك ، «وتستقل» بلدانها الواحدة تلو الأخرى . «وبين ١٨٠٤ و ١٨٣١ حصل الصراع على استقلالهم الكامل . وكذلك

tome 4 p.7

(١) المرجع السابق :

tome 2 p.91-94-95.

(٢) المرجع السابق :

tome 2- p.94.

(٣) المرجع السابق :

اليونان ، وفرضت روسيا على السلطان استقلال رومانيا الحالية ، كما باتت مصر في عهد محمد علي قوة عسكرية خارج وصاية السلطان ، وعلى استعداد وشيك لغزو سوريا عام ١٨٣١<sup>(١)</sup> .

وفي هذا الوقت أيضاً ، استأنفتبعثات نشاطها بقوة ، وانتشرت في مختلف أنحاء السلطة . فعادت طلائع بعثة اليسوعيين إلى لبنان لتأسيس حلقة مركزية لرجال الدين الشرقيين . ثم أعقبها سيل من البعثات في السنوات اللاحقة .

ففي عام ١٨٣٢ اسس غريغوار السادس عشر بعثة بابوية في بلاد ما بين النهرين وكردستان وارمينيا الصغرى ، وألحقها بعد سنتين بعثة إلى اليونان وتركيا ، وعام ١٨٣٩ الثالثة إلى مصر والجزيرة العربية<sup>(٢)</sup> .

ومن باريس وصل سبعة عشر مبعوثاً عازارياً إلى القسطنطينية بين ١٨٣٠ و ١٨٣٥ ، وأعادوا افتتاح مدرستهم المغلقة منذ ١٨١٢ ، كيما فتحوا المدارس في ازمير ، وفي عينطورة معقل اليسوعيين السابق<sup>(٣)</sup> .

وفي عام ١٨٣٩ افتتحت بعثة «أخوات المحبة» مركزاً للتربيـة في القسطنطينية وآخر في ازمير . ووصلت إلى بيروت عام ١٨٤٧ . ثم لحقت بها «أخوات مار يوسف الظهور» .

ووصل «الدوミニكان الطليان» عام ١٨٤٠ إلى كردستان والموصـل لتلبـية حاجة البعثـات لدى النـساطـرة والـيعـاقـة في تلكـ البـلـاد .

وعام ١٨٤١ وصل الكبوشـيون الاسـبان إلى دـيار بـكـير . وأقامـوا عام ١٨٥٠ في Mardin ، Orfa بين السـورـيين والأـرـمن الـأـرـثـوذـوكـسـ .

وفي ١٨٦٥ عـين المـونـسيـنيـور Lavigerie بـطـريـرـيـكا لـلـجـزـائـر ، وافتـحـ فيها مـيـتمـا لـلـأـطـفـالـ العـرب ، عـلـى غـرارـ ما فعلـ الـيـسـوعـيـونـ قبلـ سـنةـ لـدىـ القـبـائـلـ

tome III. Les Missions des Balkans et du proche -Orient. p.387.

(١)

tome III. p.389.

(٢)

tome III. p.389.

(٣)

« حيث سُمح للأطفال باعتناق المسيحية إذا رغبوا في ذلك . . . »<sup>(١)</sup>  
ثم وصل اليسوعيون عام ١٨٧٩ إلى القاهرة لافتتاح حلقة دراسية  
صغريرة للاقبات .

وعام ١٨٨١ افتتح الكبوشيون في القسطنطينية حلقة دراسية لجميع  
الفرق .

وفي عام ١٨٨٢ افتتحت الحلقة السريانية الكلدانية للدومينيكان في  
الموصل . كما افتتح الآباء البيض في القدس عام ١٨٨٢ حلقة دراسية  
للاكليروس المالكي .

وتأسست في روما عام ١٨٨٣ حلقة دراسية للأرممن وأخرى للموارنة عام  
١٨٩١<sup>(٢)</sup> .

هذا التوسيع الهائل للبعثات ، وسط الأقلية الدينية بشكل خاص كما  
لاحظنا ، لم يكن ليحصل في تلك الفترة بالذات لولا ظل القوى الأوروبية  
العسكري والمعنوي على السواء . وهذا في حقيقة الأمر سمة أساسية من  
سمات العمل التبشيري في العصر الحديث . فقد سار جنباً إلى جنب مع  
الرغبة الاستعمارية في الاحتلال والتجزيء ، أو مهد لها في بعض الأحيان ،  
فنجح حيث تحقق المشروع الاستعماري ، وأخفق حيث تخلف هذا الأخير .  
وما يضفي على هذا التلازم توكيداً إضافياً، أن حالة العداء لرجال الدين التي  
كانت منتشرة في أوروبا في الفترة نفسها ، والصراع العنيف مع الكنيسة ، لم  
تنقل ، عن وعي وتصميم ، إلى بلدان الاحتلال المستعمرات ، بل على  
العكس من ذلك أعدقت البعثات على البعض ، واستصدر لها « فرمانات »  
الحماية ، وأوكلت إليها مهمة « فرض الحضارة الغربية على القسم الباقى من  
العالم »<sup>(٣)</sup> .

---

tome III. p.310.

(١)

tome 3- p.389-90-93-94-95

(٢)

tome 3- p.72.

(٣)

كانت بلاد الشام محطةً غنوجيةً لنشاط البعثات وأطماء الدول الأوروبية وتنافسها<sup>(١)</sup> ، ولانتشار المدارس التي رافقت عمل المبشرين ، بحيث تحولت الخصوصيات الاجتماعية والطائفية إلى صراعات وولايات ثقافية وسياسية تحضنها الإرساليات ويدعمها القنائل والتجار . وتحول الهدف الأساسي لتعليم المرسلين ، بعد أن تداخل مع السياسة والتجارة ، إلى إعداد « لعقل » تتلاءم مع الأوضاع الجديدة ، و« نخب » ستترفع على رأس كيانات التجزئة التي فرضت قسراً .

وكان جبل لبنان قبل أن تلحق به أقضية ومناطق من سوريا ، ويتحول إلى « دولة لبنان الكبير » عام ١٩٢٠ ، وبعد ذلك أيضاً ؛ حصة وفيرة من نشاط البعثات وأهدافها . لا بل نقطة جذب قوية لها بسبب كاثوليكيتها من جهة ، والحضور الفرنسي السياسي والعسكري والاقتصادي من جهة أخرى . وهي عوامل أدت إلى إلحاق سكان الجبل المسيحيون بفرنسا على جميع المستويات . وانعكس ذلك بطبيعة الحال على المسلمين في تلك البلاد ، الذين أُلحقوا قسراً بالكيانات الحديثة ، بعد أن تقطعت أوصالهم الجغرافية وانكفت وحدتهم المعنية .

إلا أن هذا الإلحاق لم يكن عبثاً أو صدفة . فقد حددت أطروحة ومعالجه مسبقاً ، منذ عشرات السنين ، بعد أن مهدت له موارين عسكرية دولية وثقافية تبشيرية محلية .

فمن هم هؤلاء المبشرون اليسوعيون الذين نجحوا ، بعد أن زاوجوا بين التبشير والتعليم ، وبين التعليم والسياسة في التأثير على مستقبل الكيان اللامع في لبنان ؟ وكيف تقاطعت عندهم أهداف الكنيسة ومبادئه « لويسولا » مؤسس جمعيّتهم ، مع مشاريع فرنسا السياسية والعسكرية ؟ .

---

(١) راجع عادل اسماعيل ، السياسة الدولية في الشرق العربي . الجزء الرابع . بيروت ١٩٦٠ (ص ١١٣ - ١١٦) .

## جمعية يسوع

### تأسيس الجمعية / وسيرة مؤسسها :

أسس « جمعية يسوع » القديس الإسباني إيناس دي لوبيولا Ignace de Loyola بعد فترة صاحبة بالمشاكل والمعاناة شملت حياته الخاصة وظروف تأسيس الجمعية .

ولد لوبيولا عام ١٤٩٢ ، من أسرة تنتمي لنبلاء الباسك . عاش في شبابه عيشة هو وترف « وانغماس في ملذات الحياة الدنيوية » . يقول عنه صديقه الأب لايتر Lainez الذي خلفه في رئاسة الجمعية عام ١٥٥٦ أنه كان في بداية حياته « أسيراً لهفووات الجسد ». وهو ما يعبر عنه لوبيولا نفسه في مذكراته بقوله « فحتى السادسة والعشرين تركت نفسي للذات الحياة وخصوصاً للمبارزة بالسلاح التي كنت أرغب في التفاخر بها . »<sup>(١)</sup> أما التحول الكبير الذي حصل في حياته فكان أثناء مرضه . إذ طالع بالصدفة « حياة المسيح » و « حياة القديسين » فتأثر بذلك تأثراً دفعه نحو الاهتمام الديني وولد في نفسه شعوراً بالندم على حياته الماضية . إلا أن عاماً من الشك والقلق عصف به ما بين ١٥٢٢ و ١٥٢٣ قبل أن يقرر السفر إلى القدس أسوة بالقديسين فوصلها بعد سفر طويل . اعترضته هناك مشاكل عدّة ومنعته من البقاء . فتوجه إلى إسبانيا حيث درس فترة من الزمن سافر بعدها إلى باريس فوصلها عام ١٥٢٨ وتابع دراسته فيها .

عاش لوبيولا في باريس عيشة الفقراء وهو يتبع تحصيله العلمي . فأنجز شهادة في الفنون ، وما لبث أن بدأ يجتمع بعض الشبان حوله أثناء متابعته للدراسة ووعظه للنفوس . وتوقفت علاقته مع ستة منهم ، فتوجه معهم ذات يوم إلى « مونمارتر » وكان ذلك عام ١٥٣٤ وهناك حلفوا حلفاً مقدساً يعتبر النواة الأولى لجمعية يسوع وفيه « للتزموا إذا لم يتمكنوا من الذهاب إلى

· Alain Guillermon:«ST Ignace de Loyola et la Compagnie de jésus». edition du (1) Seuil · Paris 1960. p.6.

الأراضي المقدسة ، بأن يتوجهوا إلى البابا ليقرر لهم أين وكيف يمكن أن يساهموا في مجد الله وخلاص النقوس «<sup>(١)</sup> .

تقل لويولا ورفاقه بين إسبانيا وإيطاليا . ولم يتمكنوا من الذهاب إلى القدس بسبب الصراع بين الأتراك والغرب . فقرروا العودة إلى روما . « وفي الطريق عام ١٥٣٨ شعر لويولا بتغيير في نفسه وأن الله ، الأب ، يضعه مع المسيح ابنه ، وهو لا يمكن أن يشك في ذلك مطلقاً . . . » . ويقال أنه قرر بعد هذه الرؤيا أن يطلق على مجموعته اسم « جمعية يسوع » .

لم تحصل الجمعية على الإذن الشرعي من البابا والكرادلة بممارسة الوعظ والتبشير إلا عام ١٥٤٠ بعد ستين من المعارضة لها .. ويعتبر هذا التاريخ هو التاريخ الفعلي لولادة « جمعية يسوع » ولبدء نشاطها .

توفي لويولا عام ١٥٥٦ .

### نشاط الجمعية :

امتد نشاط الجمعية منذ تأسيسها وحتى منتصف القرن الثامن عشر إلى مختلف بقاع العالم . فوصلت بعثاتها التعليمية والتبشيرية إلى آسيا وأوروبا وإفريقيا والصين « من أجل خدمة المسيح ، والتضحية في سبيل زعماء الكنيسة ، والوعظ الانجيلي ، وتعليم الشباب ، وتعمير الكنائس » كما شدد على ذلك مؤسس الجمعية .

وخلال مائتي عام من النشاط لجأ اليهوديون إلى عدة وسائل ميزت عملهم في البلدان المختلفة التي وصلوا إليها وساهمت في بلوغهم أوج مجدهم وازدهارهم إلى حين . ففي الصين مثلاً كانتبعثة التي وصلت إلى بكين عام ١٥٨٣ مؤلفة من شخصين يمتلكان ثقافة واسعة في العلوم الرياضية والفلكلورية ، كما يجيدان الصينية قراءة وكتابة . لذا بذلا جهوداً مضنية لدمج بعض مفاهيم

Alain Guichard Les Jésuites. édit Grasset. Paris 1974. p.25.

(١)

الكونفوشية في المسيحية حتى تصبح هذه الأخيرة حقيقة فكرية للنخبة الصينية . وبعد أن بقي أحد هما في الصين هو الأب Ricci ارتدى زي أهل البلاد واتخذ لنفسه اسمًا صينيًّا . وقد سُمح للبعثة بممارسة الوعظ العلني في مختلف أنحاء الامبراطورية حين تمكَّن أحد مرسليها من شفاء الامبراطور Hang Hsi من مرض عضال . فتمكنوا عبر ذلك من إعداد نواة للاكليروس المحلي .

أما في الهند فقد تخلَّى اليسوعي الإيطالي Roberto de Nobili عن اسمه حين وصل إليها واتخذ لنفسه إسماً هنديًّا Tatuva Podapar . كما كان يجيد السنسكريتية والتامول .

هذه السمة الظاهرة في العمل اليسوعي من « التكيف » مع العادات واللغة والأزياء إلى استخدام الطب وإعداد الأكليروس المحلي ، كما فعلوا في الصين والهند وسوريا ولبنان ، كما سترى لاحقاً ، سمحت لهم بتوسيع دائرة نفوذهم وتأثيرهم من التبشير إلى الشؤون السياسية خاصة في المناطق التي وصلوها خلف الفتوحات الاستعمارية ، فتلازم هذان الأمران في نشاطاتهم كافة ، وبات واحد هما مكملاً للآخر ففتح بذلك باب العداء الواسع للجمعية على مصراعيه وتعرض اليسوعيون لسليل من الانتقادات حتى من أشد الناس قرابة ، لأنهم تركوا الأمور الروحانية شيئاً فشيئاً واهتموا بالسياسة » أو لأنهم كما يقول الأب Aquaviva « يتدخلون في الشؤون الداخلية بحجج تخلص النفوس وهم يتسللون إلى قصور الأباطرة مدفوعين بحبهم لذاتهم وللعالم الخارجي »<sup>(١)</sup> .

وقد توج الأمر ، إثر حملات عنيفة من النقد والتشهير ، بمنع نشاط الجمعية على مستوى العالم ككل في فترات متلاحقة ومتقاربة ، بعد فترة طويلة من المجد والtribute على القمة تحجَّل في « المقاطعات » التي أنشأوها في الأورغواي والبراغواي وأطلقوا عليها « مقاطعات القديس إيناس » تيمناً باسم مؤسس الجمعية ، وكانت بمثابة جمهوريات يسوعية . ولعل اللῆمة الموجزة عنها تكشف

(١) اليسوعيون في الشرق الأقصى والعالم ، دار النهار للنشر . بيروت ١٩٧١ ص ٢٢ - ٢٣ .

لنا مدى ذلك التداخل والتشابك بين التبشير والتعليم والمشاريع السياسية في عمل اليسوعيين قبل القرن التاسع عشر على مستوى العالم عموماً وبعده في سوريا ولبنان بشكل خاص .

## « الجمهورية اليسوعية »

### مقاطعات البراغواي :

يقول اليسوعيون دفاعاً عن أنفسهم وعن هذه الجمهورية : « أنهم وقفوا في البلدان التي سيطر عليها الإسبان والبرتغاليون في بداية القرن السابع عشر ، إلى جانب الشعوب البدائية . وحاولوا إقناع المستعمرين بأن هؤلاء المساكين مساوين لهم على المستوى المأورائي ، وأدنى منهم على المستويات الأخرى . وأنهم ساهموا مع عائلات دينية أخرى كالدومينيكان والفرنسيسكان في الحركة التبشيرية في تلك المناطق واستقروا في عواصم البيرو والتسليل والبراغواي وغيرها .. وأنشأوا المدارس والجامعات لأولاد المستعمرين ، وساهموا في إحياء الحياة العقلية في البلاد ، كما قاموا بتدريس اللغات المحلية .

وتمكنوا بعد فترة وجiza ، وبتشجيع رسمي من ملك إسبانيا فيليب الثالث من تأسيس أول قرية مسيحية في الدولة الجديدة عام ١٦١٠ . تلاها فيما بعد عدة قرى سميت مقاطعات *réductions* ، كان الهدف من تأسيسها « جلب السكان المحليين إلى الكنيسة وإلى حياة المدينة » . . . . والوصول بهم إلى أعلى مستوى من الحضارة .. .

وقد سيطر اليسوعيون على هذه المقاطعات وحكموها بشكل مباشر . إذ « ترأس كل واحدة منها اثنان من الآباء اليسوعيين ، يتوزعان المهام الروحية والزمنية . ويشكل مجموع هذه المقاطعات نوعاً من الكونفدرالية يديرها مسؤول يسوعي يزور القرى ويتفقد أحواها الاقتصادية والدينية والاجتماعية .. ويجمع الضرائب التي يدفعها المواطنون ، باستثناء الرعماء ، ويقدمها للثاج الإسباني . أما هذا الأخير فيهب للأباء مساعدة سنوية .

بالإضافة إلى خمر للقداس وزيت للمصابيح . . . » .

وقد خضعت جميع هذه المقاطعات لنسيق واحد من التنظيم : الكنيسة ومقر الآباء في الوسط . حولها المدرسة والأبنية الاجتماعية ، يليها بيوت السكن ، وعلى الأطراف المعامل . أما الأراضي الزراعية الممتدة فهي ملكية جماعية . يتولى شؤون العدل فيها اليسوعيون أنفسهم . « باختصار كل شيء في حياة القرية منظم وفقاً لدقائق الأجراس »<sup>(١)</sup> .

إلا أن المجد اليسوعي الذي تجلّى في هذه « الجمهورية المسيحية » لم يستمر طويلاً . فقد تبدلت التحالفات السياسية ووقف اليسوعيون إلى جانب شقيق ملك البرتغال في محاولته الانقلابية الفاشلة ، كما لجأوا إلى السلاح وخاضوا صراعاً لمواجهة تقسيم هذه المقاطعات بين الإسبان والبرتغاليون استمر ست سنوات حتى ١٧٥٦ وانتهى بمذبحة كبيرة ، « وقد كان ذلك غلطة فظيعة »<sup>(٢)</sup> . أدت إلى طرد اليسوعيين من المقاطعات كافة ، فكان ذلك ضربة قاسية لهم دفعت بالمؤمنين العاديين لهم إلى البروز تفهمهم باستخدام هذه المقاطعات « لجمع الأموال لجمعياتهم » ، وبأنهم « أخضعوا الغواراينين لعبودية أشد قسوة من تلك التي عانوها هنود الأرجنتين أو البرازيل » . وإن عنصرتهم ورغبتهم في الهيمنة هي التي منعهم من تشكيل إكليروس محلي . وأنهم عملوا خلافاً لقول يسوع المسيح « ملكي ليست من هذا العالم » وهو اتهام بالخروج عن التعاليم<sup>(٣)</sup> . يضاف إلى ذلك حملة المعارضة الواسعة لهم التي تشكلت من البروتستانت ، والجانسنيست Jansénistes (مذهب اخلاقي متشدد) ، الجامعيين ، القضاة ، قسم من الإكليروس ، الموسوعيين ، والفلسفه الجدد . مما أدى في نهاية الأمر إلى صدور قرار من روما نفسها<sup>(٤)</sup> .

---

(١) حول تفاصيل هذه المقاطعات يمكن العودة إلى :

Alain Guillermou st ignace de loyola et la compagnie de Jésus . p.139-149.

f.Ribadeau Dumas: «Grandeur et Misére des jésuites». Paris 1963- p.269. (٢)

Guillermou

f.Ribadeau Dumas p.271

(٣) المرجع السابق :

(٤) المرجع السابق :

منع الجمعية عن العمل . ويلخص الأب فرانسوا ريبادو ديمًا هذه المرحلة التاريخية من عمل اليسوعيين . من صعودهم إلى القمة إلى الانهيار و « المنع » . فيقول : « إن جمعية يسوع في متصف هذا القرن السابع عشر تربع على القمة . فالجميع يحترمها ويقدرها أو يخاف منها . ولطالما استفاد البابا من الخدمات الفعالة لعلماء الجمعية السررين المرنين والشيطين . . . يسيطر اليسوعيون على عدة دول مستقلة ، وكذلك على النخب من خلال كلياتهم ، حيث يدرس الأساتذة المرموقين العقيدة والعلوم والفلسفة ، ويعملون لجعل النبلاء الشباب في خدمة الكنيسة . إن شبكة مدارسهم وجامعتهم وبيوتهم وحلقاتهم الدراسية تزرع البذرة اليسوعية في كل مكان . . . اليسوعيون في مقدمة الاستعمار بعياثتهم الخارقة للعادة التي تستوطن في أقصى بقاع الأرض ويقومون بإدارتها والاستفادة من عائداتها . الجمعية في قمة مجدها . لكن الأحداث تتأثر من كل جانب . . . وفي عام ١٧٥٠ تتلقى الجمعية من روما نفسها من عرش القديس بطرس ، وهذا مذهل ، طعنة السيف الأخيرة . . . »<sup>(١)</sup> .

أدى تضافر هذه العوامل إلى طرد اليسوعيين من البرتغال عام ١٧٥٩ ومن فرنسا عام ١٧٦٢ ، ومن إسبانيا عام ١٧٦٧ . وتوج الأمر Clément الرابع عشر حين أصدر الأمر بمنع الجمعية عام ١٧٧٣ .

إلا أن هذا « الحصار » لم يستمر طويلاً . فقد عاد ملوك أوروبا وسمحوا لليسوعيين مع بداية القرن التاسع عشر ، بتجديد نشاطهم . وعادت جمعية يسوع إلى نشاطها العلني على مستوى العالم سنة ١٨١٤ . أي بعد ٤١ عاماً من الانقطاع ( ١٧٧٣ - ١٨١٤ ) . أما في فرنسا فقد استمر منع اليسوعيين إلى فترة أطول من ذلك بكثير . و تعرضوا عام ١٨٨٥ إلى حملات عنيفة من العداء أحرقت بيوتهم ومتلكاتهم وأدت إلى طردتهم من أنحاء فرنسا كافة . ولم يسمح لهم بزاولة نشاطهم مجدداً إلا بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩٢٣ . إذن ،

f.Ribadeau Dumas. p.269-271

(١) المرجع السابق :

عاد اليسوعيون إلى استئناف نشاطهم في مطلع القرن التاسع عشر ، عصر التوسيع والاستعمار الأوروبي ، كما ذكرنا ، ولم يتم ذلك في أنحاء العالم كافة دفعة واحدة ، وإنما في فترات متلاحقة<sup>(١)</sup> : فهم لم يعودوا إلى سوريا ولبنان إلا عام ١٨٣١ في ظل ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية مؤاتية .

ومن المفارقات ذات الدلالة الواضحة في النشاط اليسوعي ، إن عودتهم «التربوية» والتبشيرية ، والحماية التي وفرتها فرنسا لنشاطهم ومؤسساتهم فيها بعد ، والدعم والتعاون المتبادل بينهما ، حصل كل ذلك في وقت كانت فيه جمعية يسوع لا تزال منوعة في فرنسا .

فكيف نجح هؤلاء المبشرون ، مع الصعوبات التي اعترضت عملهم في بداياته ، في إرساء علاقاتهم مع موارنة الجبل بشكل خاص؟ وكيف استطاعوا غرس بذور نظام تعليمي - اجتماعي سيحدد مستقبل الصراعات والتناقضات في الكيان اللاحق في لبنان؟ وكيف انتقوا وأعدوا «نخبة» من الموارنة لقيادة هذا الكيان؟ وهل كان الوضع التعليمي أو الثقافي لدى الطوائف المختلفة يسمح للموارنة بالتميز عن أقرانهم ويهد لهم سبل الارتفاع والعزّة؟ بينما يفرض الجهل والأمية على الآخرين حتمية الانقياد والولاء؟ .

---

f.Ribadeau Dumas (١) . المرجع السابق . ص ٢٧١ - ٢٧٥ .

## الفصل الثاني

### التعليم الرسمي والاهلي

#### ● مؤشرات التعليم والثقافة عند الموارنة

- مقررات «المجامع» وصعوبة التنفيذ
- مقررات «مجمع اللوبيزه»
- خريجو روما «وتأثير الصائغ
- «تحت السنديانة»

#### ● التعليم الرسمي العثماني

- الكتاب
- مراحل الدراسة المنظمة

#### ● التعليم عند المسلمين

- جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت
- التعليم في جبل عامل



ما لا شك فيه ، ان تاريخ التعليم في لبنان ، على اختلاف مستوياته لا يبدأ مع وصول بعثة اليسوعيين او سواها منبعثات التي توافدت تباعاً وفي فترات زمنية مختلفة . فالبعثات لم تأت إلى أرض قاحلة جدأ ، ليس لاهلها اي صلة مع الحروف والكلمات ، رغم وصمة الجهل التي اطلقها اليسوعيون على من حلووا بينهم من اهالي البلاد . كما ان مركز النشاط الارسالي في جبل لبنان لا يبرر معظم الدراسات التي حضرت تاريخ التعليم في لبنان في تاريخ هذا الجبل ، انطلاقاً من اسباب سياسية واضحة تارة ودفينة تارة أخرى . كما ذكرنا في التقديم .

الا ان ما تقدم ، لا يقلل من تأثير اليسوعيين في هذا الميدان الذي ادى إلى تكوين حالة جديدة سياسية ثقافية ، ساهمت فيها عوامل أخرى ، في علاقات الطوائف اللبنانية فيما بينها . فالجهل الذي لاحظه اليسوعيون مثلاً في منتصف القرن التاسع عشر في الاوساط المسيحية والمارونية ، تحول إلى « تفوق ثقافي » وإلى « اصول حضارية متميزة » تضرب في اعمق التاريخ ، وأصبح رriادة وتفرداً منذ « لبنان الكبير ». وإذا كان لهذا التوجه جذراً تاريخياً سياسياً وعسكرياً يشتد حيناً ويضعف حيناً آخر ، فإن نشاط اليسوعيين ، في ظل الظروف الدولية والمحليّة الملائمة ، كما سنرى ذلك ، هو الذي ارسى الدعائم الثابتة وخط السبيل امام هذا الانعطاف الواضح في الفترة المعاصرة . ويكفي

أن نعود إلى تلك الفترة التاريخية ، عشية وصول اليسوعيين ونطلع إلى الوضع التعليمي في لبنان ، خاصة في جبله حيث السكان الموارنة ، لتبين مدى تأثير هؤلاء المرسلين ببعثتهم التعليمية والتبشرية على الطوائف كافة .

ضمن هذا الإطار ، اذن ، سنجاول أن ننظر أولاً إلى ما بلغته هذه الطوائف ، وإلى ما كان عليه حال التعليم الرسمي العثماني ، من اهتمام بال أفكار المدرسية والتربية ، ومحاولات تثبيتها وتنظيمها ، وما أنجز فعلياً على صعيد التنفيذ والتطبيق . وثانياً إلى المتغيرات التي حصلت نتيجة الوجود اليسوعي ، التعليمي والديني والسياسي .

## مؤشرات التعليم والثقافة عند الموارنة .

### مقررات «المجامع» ، وصعوبة التنفيذ

لم تؤد المجامع الدينية المارونية التي عقدت منذ ١٥٥٧ وعلى فترات متقطعة طيلة ثلاثة قرون حتى سنة ١٨٥٦ رغم ما ورد في بعضها من دعوات تربوية واضحة ، إلى نشر العلم والمعرفة وتعليم القراءة والكتابة في أوساط الطائفة . ورغم اختلاف البطاركة في تحديد عدد هذه المجامع ، الذي يتراوح بين الثلاثة عشر والثمانية عشر<sup>(١)</sup> ، « فإنه لم يتخذ سوى في خمسة منها مقررات بالنسبة للأمور التربوية . كان اولها ما صدر عن مجمع « قنوبين » سنة ١٥٨٠ (بعد ٢٣ عاماً على انعقاد المجمع الأول) حيث فرض على الاساقفة والكهنة وجوب تعليم الاولاد الامور الدينية نهار الأحد من كل أسبوع . فقد جاء في القانون العاشر من قوانين هذا المجمع ما يلي :

(١) مجلة المساحة . العدد الأول . ١٩٨٣ . ص ١٩ . نقلأ عن بيبار عيد . الدور التربوي للاكليروس الماروني في جبل لبنان في القرن التاسع عشر . رسالة كفاءة في علم اجتماع التربية . معهد العلوم الاجتماعية . الفرع الأول بيروت ١٩٨٥ .

« يجب على كل مطران أو أسقف أن يأمر في رعيته في البلدان والقرا أن يكون دايماً أحداً من الكهنة في كل أيام الأحد يعلم في الكنيسة جميع أولاد القرية الامور الضرورية اي الصلاة الربانية وصلة العذر والامانة والعشر كلمات واسرار البيعة وما اشبه ذلك . وأنهم يكونوا طابعين للمسيح وللكهنة ولوالديهم وبالجملة يشتوهم في جميع امور الامانة الكاثوليكية »<sup>(١)</sup>

أما أهم تلك المقررات على الاطلاق فهي ما صدر عن المجمع اللبناني الذي انعقد في دير سيدة اللويزة سنة ١٧٣٦ في عهد البطريرك يوسف الخازن وبحضور يوسف السمعاني بصفة مندوب من قبل الكرسي الرسولي<sup>(٢)</sup> .

### مقررات « مجمع اللويزة » :

شدد هذا المجمع في مقرراته على ضرورة تعليم الناشئة أمور الدين ، وطلب من اجل تحقيق ذلك تعين المعلمين ، وارغام الاهالي على ارسال أولادهم إلى المدرسة ، وتقديم المساعدات للايتام والمعوزين . وقد أفرد .

### الباب السادس من مقرراته لهذا الشأن ، وما جاء فيه :

« ... نأمر بأن تقام المدارس في المدن والقرى والأديار الكبيرة وأن تصرف العناية إلى حفظها قائمة فيتعلم فيها صبيان تلك المدينة أو القرى المجاورة الامور الضرورية .. نحث ونناشد باحشاء يسوع المسيح كلا من المتولين رئاسة الابرشيات والمدن والقرى والمزارع والأديار جملة وافراداً أن يتعاونوا وتتضافروا على ترويج هذا العمل الكبير الفائدة ... نريد بهم الاساقفة والخوارنة الاسقفيين والخوارنة ورؤساء الاديارات فيعنون أولاً بنصب معلم حيث لا يوجد معلم ويدونون اسماء الأحداث الذين هم أهل لاقتباس العلم ويأمرون آباءهم بأن يسوقوهم إلى المدرسة ولو مكرهين . وإن كانوا ايتاماً

(١) المرجع السابق . ص ٤٤ نقلاً عن بيار عبد

(٢) عبد . المربع السابق ص ١٨ .

أو فقراء فلتقدم هم الكنيسة أو الدير ضروريات القوت وفي حالة تعذر الكنيسة أو الدير يجمع هم في كل يوم أحد من صدقات المؤمنين ما يفي بمعاشهم أم أجرة المعلم فيترتب جزء منها على الكنيسة أو الدير (على شرط أن لا يكون المعلم راهباً من رهبانه ) والجزء الآخر يقوم بدفعه آباء الأولاد «<sup>(١)</sup> .

أما البرامج التي يتمنى «المجمع» تعليمها للأولاد فتتقسم تدريجياً إلى لغة ، وعقائد مسيحية ، وتعمق في أصول اللغة ، وعلوم فلسفية رياضية لم استطاع ذلك من الأولاد . وقد ورد ذلك في البند الثالث من الباب نفسه وفيه :

«... نأمر هؤلاء المعلمين ... أن يراعوا النظام العام فيعلموا الاحداث في المدارس أولاً القراءة والكتابة في السريانية والعربية ثم المزامير ثم كتاب خدمة القدس والفرض اليومي والعهد الجديد ثم إذا توسموا في بعضهم مزيد من الاهلية لتحصيل العلوم فليعلموهم قواعد النحو والصرف في السريانية والعربية ثم علم اللحن والحساب البيعي ثم يرقوهم إلى درس العلوم العالمية أي الفصاحة والنظم والفلسفة والمساحة والحساب وعلم الفلك وما أشبه ذلك من الرياضيات ثم مبادئ الحق القانوني وتفسير الكتاب المقدس واللاهوت الاعتقادي والادبي ... »<sup>(٢)</sup> .

كما تحدى الاشارة إلى العناية الخاصة التي أبرزها «المجمع» للغة العربية فأمر «رؤساء الاديار ومعلمي المدارس في المدن والقرى والاديار الكبيرة أن يعنوا بتدريس أصول اللغة العربية التي احکم وضعها الطيب الذكر جبرائيل فرجات ... وذلك ليشرب الطلبة في قلوبهم حب التقى مع العلم وصفوة اللغة العربية »<sup>(٣)</sup> .

(١) المجمع اللبناني . ترجمة المطران يوسف نجم . (ص ٥٢٩ - ٥٣٠) نقلأ عن عبد - المرجع السابق ص ١٩ .

(٢) المرجع نفسه (ص ٥٣٥) .

(٣) المرجع السابق (ص ٥٥٠ - ٥٥١) .

وقد تأثرت مقررات هذا المجمع<sup>(\*)</sup> بنظام المدرسة المارونية في روما . فأوصى بإنشاء المدرسة المنظمة ، وقسم الهيئة التعليمية إلى مدير وناظر رئيس ، وحدد مواد المناهج وفصلها إلى مراحل تعليمية . كما شدد على مجانيّة التعليم والزاميته ، واعتبر أن الكنيسة هي المسؤولة الأولى عن نشر الثقافة في البلاد لأن الهدف الأساسي هو التربية الدينية « لتكوين رجال دين يخدمون الطائفة خدمة دينية مثقفة » ، كما ركز على ضرورة تنشئة الأحداث منذ الصغر على الإيمان بالدين المسيحي وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية<sup>(١)</sup> .

كما أوصى بإنشاء أربعة أنواع من المدارس لرعايا الطائفة :

- ١ - مدارس بادارة الاساقفة ورؤساء الاديرة ، الهدف منها تربية رجال دين مثقفين .
- ٢ - مدارس يديرها تلامذة المدرسة المارونية العائدون من روما ، ولها هدف المدارس الأولى نفسه .
- ٣ - مدارس رهبان القديس انطونيوس اللبناني ، هدفها ترويج اعمال الرسائلات وتلقي العلوم وتعليم الاحداث .
- ٤ - المدارس الاكليركية : يتعلم فيها الشبان والاحاديث المرشحين للنذر للرهبانيّة الاسفار المقدسة والتعليم المسيحي<sup>(٢)</sup> .

أما المجامع الأخرى ( مجمع ميفوق ١٧٨٠ ، مجمع دير سيدة اللويزة الثاني ١٨١٨ والمجمع البلدي ١٨٥٦ ) ، فلم تأت بجديد على صعيد

(\*) يختتم أن يكون المجمع الثاني الذي عقد في دير سيدة اللويزة ايضاً عام ١٨١٨ هو الذي أوصى بهذا التنظيم للدراسة ..

(١) نعيم عطيه . « الفكر التربوي في البلاد العربية في القرن الماضي . الجامعة الاميركية . دون تاريخ . ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

(٢) شكري حايك : التنظيم التربوي الماروني . رسالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانيّة . بيروت ١٩٧٢ . ص ٢٨ - ٥٨ - ٦٧ . وكذلك الصليبي . كمال . المرجع السابق ص ١٦٣ -

. ١٦٤

المقررات التربوية ، باستثناء تشديدها على أهمية تعليم الصغار للقراءة والكتابة ، ومبادئ الدين والعقيدة واللغة ، وطلبها من المسؤولين الروحيين فتح المدارس قرب الأديرة . « وقد تميز المجتمع البلدي باعادة تنظيم المدارس المشاعة (مدرسة عين ورقة ، مار عبدا هرهريا ، مار مارون الرومية ، ومار سركيس ريفون) فطالب بوجوب تعيين وكلاء لكل مدرسة من هذه المدارس يعتنون فيها بقضايا المدرسة والتلاميذ الداخلية والخارجية إلى جانب المواد الواجب اعتمادها في تدريس الطلاب »<sup>(١)</sup> .

إلا أن مقررات « المجامع » المختلفة رغم ما تعبّر عنه من حاجة ماسة لـ القراءة والكتابة ورغبة في تأسيس المدارس وتنظيمها ، لم تحول إلى واقع عملي يلي هذه الحاجة ويسد ثغرة الجهل المتفضي بين عامة الشعب ، وذلك بسبب الضغط المعنوي والمادي الذي تعرض له الاكليرicos الماروني من قبل الاقطاعيين .. ما ولد حالة من عدم الاستقرار النفسي والضعف المعنوي إلى جانب الفقر المادي ... فانعكس هذا الأمر شللاً وعدم قدرة على تنفيذ المقررات التربوية التي اتخذت في المجامع الدينية ابتداء من جمع قنوبين ... »<sup>(٢)</sup> .

## خريجو روما : التأثير الضائع

لم يكن خريجي روما<sup>(\*)</sup> الأثر التربوي المشود في اوساط الناشئة أو في

(١) عيد - المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) عيد . المرجع السابق ص ٢٦ .

(\*) تأسست مدرسة روما المارونية في عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٤ ... لتدرس كهنة الموارنة العلوم الدينية .. وقد استمرت مدرسة روما في قبول افراد الاكليرicos الماروني حتى سنة ١٧٩٨ تاريخ احتياج العساكر الفرنسية لمدينة روما بقيادة نابليون بونابرت الذي صادر املاك الكرسي البابوي بما فيها المدرسة المارونية ويعها إلى العلمانيين ، فانقطعت بذلك الصلة بين الاكليرicos الماروني وهذه المدرسة حتى سنة ١٨٩٤ ، تاريخ اعادة استئناف نشاطها التربوي من جديد على عهد البطريرك الحويك واستمرت حتى سنة ١٩٣٩ تاريخ اقفالها النهائي .

ادارة المدارس . ويلخص أحد الرهبان الكبوشيين اسباب عجز هؤلاء الخريجين عن القيام بواجباتهم ، فيقول : « ... بعد أن يقضي هؤلاء الشبان ١٢ أو ١٣ أو ١٤ سنة في روما ، حيث أحرز البعض منهم نجاحاً باهراً ، يعودون إلى بلادهم وليس عليهم من الثياب إلا ما يجود به عليهم فرسان مالطة من الاحسان . وما أن يصلوا إلى البلاد حتى يجد القسم الأكبر منهم أن أباه أو أمه قد غادرا الحياة ، وأن أرضهم قد أصبحت بوراً ... وهكذا فهم مضطرون إلى الشغل للقيام بأدتهم ، الأمر الذي هو جديد بالنسبة إليهم ، لأنهم اعتادوا طريقة العيش في روما ولا يلبث البعض منهم أن يعود إلى أوروبا من جديد ليكسبوا عيشهم هناك ، والبعض الآخر يهجرون الدرس والكتب ليحملوا المعول والمحراث إلى الحقل »<sup>(١)</sup> . كما يؤكّد السائح قولني أيضاً على غياب هذا التأثير التربوي لخريجي مدرسة روما ، فيقول : « خصص الكرسي الرسولي للموارنة نزلاً في روميه ، أتاح لهم أن يرسلوا شبانهم إلى هناك للدراسة مجاناً . ويبدو أن فنون أوروبا وافكارها تسربت إلى الموارنة بهذه الوسيلة . لكن خريجي هذا المعهد ، وقد اقتصرت تربيتهم على ما اتصل منها بالرهبنة ، كانوا يعودون إلى بلادهم وهم لا يعرفون إلا الإيطالية ، فلا يفيدون منها هناك ، ولا يحيطون علمًا إلا بالموضوعات اللاهوتية التي تقودهم إلى لا شيء . ثم أن مستوى سرعان ما كان يهبط إلى مستوى عامة الناس »<sup>(٢)</sup> .

وبالرغم من محاولات الاكليرicos الماروني لتأسيس بعض المدارس<sup>(\*)</sup> في القرى المختلفة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، فإن الوضع

= راجع - الصليبي المرجع السابق ص ١٦١٠ - ١٦١ - ١٦٢ .

راجع - يوسف الدبس : الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ص ٣٣٩ . ذكره عيد - المرجع السابق ص ٢٩ .

(١) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦١ .

(٢) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦٢ .

(\*) منها على سبيل المثال مدرسة عجلتون ١٧٥١ ، مدرسة بحر صاف ١٧٥٦ ، مدارس مشموشة وجبيل ١٧٦٢ ، مدرسة وادي شحور ١٧٨٥ ، ومدرسة دير القمر ١٧٨٢ .

التعليمي والثقافي لم يكن له الأثر الملحوظ على الصعيد الشعبي<sup>(١)</sup> . ولم يبرز من جميع تلك المدارس سوى «عين ورقة» ١٨٧٧ التي اعلن مؤسسها البطريرك يوسف اسطفان أن هدفها «خلق نواة اكليركية متعلمة دون الرجوع إلى مدرسة روما المارونية»<sup>(٢)</sup> . إلا أنها كانت مع مدرسة عين تراز في مطلع القرن التاسع عشر «في حالة حرجة . . . ينقصها المعلمون الاختصاصيون فضلاً عن قلة الوسائل لمعاش التلامذة والمعلمين»<sup>(٣)</sup> .

وما يؤكّد استمرارية هذا النقص الكبير في الانجازات التربوية والتعليمية على مستوى واسع ، والتفاوت في معالجته في كل مرحلة من مراحل نشاط الاكليروس وقوته «أن الكنيسة المارونية استيقظت مجدداً على ضرورة زيادة عدد المدارس في اوائل القرن التاسع عشر ، إذ تم بين ١٨١٢ و ١٨٣٢ تحويل عدد من الاديرة إلى معاهد للتدرس . . . إلا أن انشاء هذه المدارس لم يف بالمطلوب وظل التعليم الشعبي حتى اواسط القرن ضيق النطاق»<sup>(٤)</sup> .

أما النوع الوحيد من المدارس الذي استمر حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فهو ما أطلق عليه «تحت السنديانة» . إلا أنها كانت بشهادة جميع من عاصرها أو تلقى مبادئ القراءة والكتابة فيها ، عديمة الفائدة تقررياً ، وذلك لأسباب فرضت عليها وعلى تلامذتها فمنعتهم جيحاً من تحقيق ما يرجى تعليمياً وتربوياً .

(١) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦٨ . راجع ايضاً الأب لويس بليل : تاريخ الرهبانية اللبنانيّة المارونية . المجلد الأول ١٩٢٤ ، مطبعة كوي مصر . ص ٤٢٣ حيث يقول في وصفه للمتعلم « هو يكتب كما يتكلّم وكلامه ركيك جداً لحداثته فيه لأنّ لغته كانت السريانية . هذا فضلاً عن سوء تصدير ما يكتبه . وكثيراً ما يتعدّر قراءة هذه الكتابات على احذق القراء لما فيها من الاغلاق الكثيرة . . . فيستنتج من هذا أن القرى الكبيرة بل كل القرى ومهمها كثُر عدد سكانها لم يتجاوز عدد العارفين بالقراءة والكتابة ، الاثنين أم الثلاثة » .

(٢) عيد . المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) حقي اسماعيل - لبنان مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني . ص ٥٧ . ذكره عيد . المرجع السابق ص ٤٤ .

(٤) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦٦ .

## « تحت السنديانة » :

هي الوجه المقابل للكتاب لدى المسلمين ، سواء في بساطة الشكل ، أو في طريقة التعليم ومضمونه الديني أساساً . « يذهب الاولاد اليها بعد أن يبلغوا الرابعة أو الخامسة من العمر .. ويتعلمون فيها اللغتين العربية والسريانية ولا يكاد يحسن الصبيان القراءة حتى يحولهم ذووهم إلى العمل ، فلا يلبثون أن ينسوا كل شيء »<sup>(١)</sup> .

اما مواصفات هذه « المدرسة » فتعبر عنها مجلة « المشرق » بشكل دقيق في مقال عن « العوائد اللبنانيّة » نقتطف منه يلي :

« إن مررت في لبنان قرب عين ماء غذب في ظل جوزة أو سنديانة بجوار كنيسة فسمعت ضوضاء ورأيت عصابة جالسين على الأرض متربعين شأن اهل بلادنا ، يقرأ هذا بصوت جهير . ويترنم البعض بلحن سرياني ، ويردد البعض على مسامع الصغار الصلوات أو آيات الكتاب المقدس ، ورأيت في الوسط رجلاً عابساً بيده قضيب ، فقل هذه هي المدرسة وهذا هو المعلم .. لا يكاد الولد يصل الرابعة الا وينزح في المدرسة كال مجرم .. اول يوم يصل الولد إلى المدرسة يكتب له المعلم احرف الهجاء على ورقة ويلصقها على لوحة صغيرة يعلقها التلميذ في عنقه فلا يزال اياماً وللوحة على صدره إلى أن يتعلم الاحرف . بعدها يأخذ بدرس « المزامير » سطراً سطراً وورقة ورقة ، إلى أن يفرغ منه تماماً . وفي ذلك اليوم يكون عيد في المدرسة ، تُشد أيدي الولد المذكور خلف ظهره ويقوده رفقاء مع الأستاذ إلى الوالدين . فتفرق الحلوى على الرفاق وشيء من الدراما للأستاذ .

بعد درس « المزامير » يبدأ الولد بالكتابة . ويأخذ درساً في السريانية لكي يخدم القدس ويشارك الكاهن في صلوات المساء في الكنيسة . غير أنه يقتصر على أن يحسن القراءة دون أن يفقه معنى الكلام . أما الكتابة فلا يدعى

(١) هنري غيز . بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن الجزء الثاني . ص ٦٦ ذكره عيد . المرجع السابق ص ٤٤ .

الرجل معلمًا باهراً إن لم يتقنها . . يأتي الأولاد إلى المدرسة فيدعو المعلم واحداً ويقرأ أمامه امثولته مرة أو مرتين ويصرفة <sup>للكي</sup> يدرسها زماناً ثم بعد حين يدعوه ليختبره أتعلم درسه أم لا .

أما تقسيم المدارس إلى صفوف متماثلة فلا يعرفها الأساتذة عندنا . فإن كل ولد يدرس امثولته لا شريك له ولا وفيق . وقد يحدث أن تلميذاً يفقه في النهار عشر امثولات والمعلم يسمح له قراءتها وغيره لا يتعلم شيئاً . ثم قبل الساعة العاشرة يأخذ الجميع درس التعليم المسيحي . فالذين يحسنون القراءة يدرسون في الكتاب ويخفظون أقوال القديسين ، والذين لا يعرفون القراءة يُفرز لهم الأستاذ ولداً من الفطنيين يردد إمامهم الصلوات كلمة كلمة .

أما طريقة التأديب « فإن الأستاذ يضرب التلميذ المذنب بالقضيب ضرباً يوازي الجرم ولا ترى والداً أو والدة تستككي من استاذ يضرب ولدها ، بل كثيراً ما سمعنا القوم يقولون « هذا ابني العظم لي والله حم لك » .

ومن أراد متابعة تعلم القواعد والبلاغة وبعض المباديء الأولية في العلوم فعلية أن يلتجأ إلى معلم خاص به <sup>(١)</sup> .

ويتذكرة « مارون عبود » هذه الكتايب ، فيكمي صورة المقال السابق عنها . يقول : « قرب الهيكل في ظل السنديانة كنا نقعد ونتعلم . إذا أمطرت هرولنا إلى صحن الكنيسة أحياناً . المدرس في الكنيسة إذا خلا بيت الجسد من القربان . . وكانت مقاعد الدراسة الفروة شتاء ، والحجارة والأرض صيفاً . وللمعلم كرسي الكنيسة وهو من خشب التوت العمر . . أما مدة الدراسة فكانت مختلفة بينها . أما على مدار السنة ، وأما من أول تشرين الأول حتى أواسط تموز . ولا تخلل هذه المدة لا فرص ولا أعياد . وعلى الدبر أن يخص راهباً بتعليم الصغار القراءة والكتابة مجاناً ، مع راتب من الوقف ومع أرغفة من الخبز وبضع بيضات من التلاميذ . . والتلميذ يقبل في المدرسة من

(١) مجلة الشرق ، السنة الثانية ١٨٩٩ . ص ١٦٨ - ١٧٢ .

سن خمس سنوات وما فوق . . . كان الطفل يتعلم الرموز الكتابية حتى يتسلى له القراءة . واما الغرض من الكتابة فكان الخط أو تصوير الألفاظ ، ومن الحساب عد الارقام وكتابتها . ومتى ختم الطفل الانجيل المقدس أو المزامير ، كان ذلك حدثاً عظيماً للأهل يقام من أجله الاحتفال . . . أما ما سمي بالمدرسة فلم يكن حاله أفضل . فهي « عبارة عن قبو واسع ، أشبه بالزريبة منها إلى المدرسة . . . يجلس التلاميذ على الحصير . . . أما المعلم فكان يجلس في صدر القاعة على طراحة وأمامه طاولة . . . وكان المعلم الكاهن يقف على درجة أعلى من الجميع ويجمع إلى يمينه عدة قضبان . . . »<sup>(١)</sup> .

هكذا كان ؛ اذن ، وضع الموارنة التعليمي حتى منتصف القرن التاسع عشر . رغبة في محاربة الجهل المتفشّي بين ابناء الطائفة ، ومقررات تحت على تعلم القراءة والكتابة ، وافتتاح المدارس وتنظيمها ، واعداد الدعاة والمعلمين ، وواقع لا يتفاعل مع كل ذلك ، بل حالة عامة من الجهل تطفى على بعض المدارس التي تأسست هنا وهناك ، واستمرار غلط بسيط من التعليم ، يكاد يكون عديم الفائدة تقريراً في تحقيق الرغبات المرجوة .

هذه السمة الاساسية من سمات الوضع التعليمي لدى الموارنة ، كما بيّنت الواقع التاريخية ومقررات « المجامع » تفني اي ادعاء بتفوق فكري تاريخي ، كما يزعم البعض . كما أن ادعاءات مئات حول التمييز الثقافي أو اللغوي حصرأً لا تمت هي الأخرى إلى الحقيقة بصلة . فالسريرانية كانت محصورة بالطقوس الدينية ، والعربية كانت لغة التواصل الرئيسية بين السكان جميعاً . ولم يكن هناك اي « لغة اوروبية خاصة » يمكن أن تبرر رغبات وواقع الالتحاق السياسي والفكري ، الذي تم فيما بعد ، مع فرنسا بشكل خاص ، وأوروبا بشكل عام .

يقول قولني في تحليله لللغات في لبنان في القرن التاسع عشر :

---

(١) ذكره محمد جليل نور في . « المدارس المارونية في لبنان في نهاية القرن التاسع عشر » . رسالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٢ . ص ٦٣ وص ٧٠ .

« إن اللغة الرئيسة في سوريا هي اللغة العربية . يقول Niebuhr أنه سمع أن السريانية لا تزال مستعملة في بعض قرى الجبل ، ولكنني سألت الكثير من رجال الدين الذين يعرفون هذه البلاد بكل تفاصيلها ، فلم اسمع شيئاً مماثلاً لما قاله Niebuhr . ولكن قيل لي أن بلدتين قرب دمشق تتكلمان لغة غير معروفة ومن الصعب فهمها . إلا أن هذه الصعوبة ليست دليلاً على شيء ، لأن اللهجات تختلف وتبدل في سوريا ، كما فيسائر الدول العربية ، من منطقة لأخرى . يمكننا أن ننظر إلى السريانية كلغة ميتة في هذه المناطق . وإذا كان الموارنة قد احتفظوا بها في طقوسهم وقداسهم إلا أنهم لا يتكلمون بها وكذلك الأمر عند الروم . فمن بين الموارنة والرهبان المشقيين والكاثوليك هناك القليل الذين يفهمونها . . . واللغة التركية لا يستعملها في سوريا إلا رجال الحرب والحكم ، وبعض أقوام التركمان . . . »<sup>(١)</sup> .

كما يلاحظ « جيرار دي نرفال » الذي قام برحالة إلى المنطقة السورية عام ١٨٤٣ أن الشيخ الماروني الذي تحدث طويلاً عن أسرته ، عن الرحلات التي قام بها جده إلى أوروبا ، وعن الحفاوة التي لقيها هناك . . . « كان يجيد التعبير بالإيطالية مثل غالبية النساء والمشايخ في لبنان . . . »<sup>(٢)</sup> ويتبع دي نرفال مقارناً : « . . . بشكل عام لا يمكننا أن نميز أي شيء في حياة النساء والمشايخ الموارنة عن غيرهم من الشرقيين . إنه المزيج نفسه من العادات العربية وبعض سلوكيات عصورنا الاقطاعية . . . »<sup>(٣)</sup> .

كما يؤكّد لاما تين ، في اشارة غير مباشرة ، إلى أن الضرورة والظروف ، قد تفرض لغة ما في التواصل ، وذلك حين يتحدث عن الفنصل الفرنسي الذي استقبله عام ١٨٣٣ ، « وكان يرتدي ثياباً من الزي الشرقي ويتكلّم العربية والإيطالية . وهذا يعني كم كانت هذه اللغة الأخيرة ضرورية

volney -Voyage en Egypte et en syrie. Paris Lahaye-1959- cité par: Naaman (١) A.in «Le français au Liban». edition Naaman. Paris-Beyrouth 1979-p.45-46.

Gerard de Nerval.«Voyage en Orient»- juillard. Paris. 1964- Tome II. p.9. (٢،٣) cité par Naaman. p.55.

ولا غنى عنها في ذلك العصر<sup>(١)</sup>. اذن ، لم يلحظ هؤلاء الزوار والرحالة ، أن للمسيحيين أو للموارنة لغة خاصة أو عادات مميزة ، بل هم « كغيرهم من الشرقيين » .

إلا أن « التميز » المعاصر الذي يُتمسك به وينسب إلى الماضي ، لم يكن مجرد وهم أو ادعاء بالطلق . بل اقتربن بفترة تاريخية معينة هي منتصف القرن التاسع عشر حين أصبح الموارنة مركزاً لتلقي التأثيرات الثقافية والاقتصادية والسياسية الفرنسية<sup>(\*)</sup> . خاصة وأن فرنسا أصبحت صاحبة « الحق » في « حماية مسيحيي الشرق » فتدخل آنذاك هذا الموقع المتقدم لفرنسا ، قياساً إلى الدول الأوروبية الأخرى ، مع علاقتها التاريخية مع الموارنة التي يعرب كل طرف عن شدة تمسكه بها وفقاً للظروف السياسية والدولية<sup>(\*\*)</sup> .

---

(١) نعمان . المرجع السابق ص ٥٣ .

(\*) راجع الفصل القادم ، اليهوديون في سوريا ولبنان .

(\*\*) تختلف الروايات التاريخية في تحديد هذه العلاقة ، ما بين الدعم العسكري المتداول أو الحماية المعنية : فيقول بوديكور مثلاً : « عندما انطلق ملكنا سان لويس في حربه الصليبية ، توقف في قبرص حيث لاقاه دعم من ٣٥ ألف ماروني خاض معهم معركة مصر .. »<sup>(١)</sup> .

« كما أرسل إليهم بونابرت مبعوثه قائلاً لهم : « اعترف ان الموارنة فرنسيين منذ الأزل »<sup>(٢)</sup> . ووجه ملك فرنسا إلى أمير الموارنة الرسالة التالية : « .. نحن مقتدين بأن هذه الأمة التي تنتمي إلى القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية »<sup>(٣)</sup> . كما كتب وزير البحرية الفرنسية عام ١٧٥٠ إلى القنالين الفرنسيين في الدولة العثمانية : « إن الرهبان الموارنة الذين يؤلفون رهبنة مار انطونيوس في جبل لبنان قد شملهم الملك بحمايته الخاصة في كل وقت . وقد توسعوا إلى جلالته ان يجدد تلك الحماية ويشتهاها لهم . فتنازل جلالته واستحباب طلبهم وأوصاني ان اكتب اليكم ان تعاملوهم كما تعاملون المسلمين الفرنسيين الموجودين في الشرق من قبل جلالته ... »<sup>(٤)</sup> .

---

Baudicour. Louis de: La France en Syrie-Paris 1860- p.6

(١)

Rochemonteix . C.P.J: Le Liban et l'expédition française en syrie 1860-1861

(٢)

(Documents inédits du Général A.Ducroit) Paris 1921- p.79.

(٣) المرجع نفسه ص ٧٠ .

(٤) الخورس بطرس غالى - « فرنسا صديقه ومحامية » . ص ٣٢٦ - ٣٢٧ . ذكره كوثاني المرجع

السابق ص ٤٤ .

اما الطوائف المسيحية الأخرى فلم يكن وضعها التعليمي أفضل من وضع الموارنة . فقد أسس الروم الارثوذكس معظم مدارسهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . كما كانوا كذلك محط انتظار الدول الكبرى ومشاريعها في « الحماية » و« كسب النفوذ»<sup>(١)</sup> عبر التعليم والبعثات .

وقد انتشرت مدارسهم في مناطق عدّة من لبنان . في الشويفات ، صور ، حاصبيا ، راشيا ، الشوف ، طرابلس ، سوق الغرب ... و أشهرها College de trois Docteurs التي تأسست في بيروت عام ١٨٦٦ ، وبات لها فروع في مختلف أنحاء بيروت وعمومها جمعية الاحسان الارثوذكسيّة . « اما نظام التدريس في المدارس الارثوذكسيّة ف شبّه بالمدارس الأوروبيّة »<sup>(٢)</sup> .

اما الروم الكاثوليك فعرفوا انتشاراً للمدارس الابتدائية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ايضاً ، إذ بلغ عددها حوالي ستين مدرسة بين ١٨٩٤ و ١٨٩٥ . وذلك بعد أن خطفت مدارس البعثات بريق التعليم فيها في الفترة الأولى من قدمها « فالدير الذي علم ابناء الطائفة سنوات عديدة ، بدأ بالانحدار في منتصف القرن التاسع عشر وذلك مع ظهور مدارس الارساليّات »<sup>(٣)</sup> . اما البروتستانت فأشهر مدارسهم ، هي مدرسة عبيه التي تأسست عام ١٨٤٦ ، وقد دفعتهم الصلات الدينية نحو كلية الاميركان البروتستانتية .

يسمح ما تقدم بلاحظة أمور ثلاثة تميز بها الوضع التعليمي لدى الموارنة بشكل خاص حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر :

(١) حاول المرسلون الاميركان كسبهم الى جانبهم ، فقدم قنصل روسيا عام ١٨٤٠ احتجاجاً الى القنصل البريطاني على هذا التدخل الاميريكي في شؤون الارثوذكس محاولاً استعادة الطائفة الى وصاية الروس .

(٢) « المدارس الارثوذكسيّة في بيروت » . مجلة المديّة . تصدر عن جمعية التعليم المسيحي في بيروت لابناء الطائفة الارثوذكسيّة . سنة ١٨٨٨ . السنة السادسة . عدد ١٤٨ . ص ٣٨٤ .

(٣) Victoria Khozami. L'enseignement au Liban. Thèse d'université. Paris 1952- p.19.

- حالة عامة من الجهل ترافق مع بساطة في تعليم ذي اهداف دينية واضحة .

- بطء شديد في انتشار التعليم وندرة الكتب المدرسية<sup>(١)</sup> .

- تركيز على الرغبة في تعلم اللغة العربية<sup>(٢)</sup> ، وغياب أي لغة أخرى أساسية غيرها .

## التعليم الرسمي العثماني ..

ادى الضعف العام الذي بدأ ينخر في جسد الدولة العثمانية ومهدّ لانهيارها ، إلى سياسات متعددة ومرتبكة شملت مؤسساتها كافة ، بما فيها المؤسسة التعليمية . كما اختلفت هذه السياسات بين حاكم وآخر . وقد حاولت الدولة مقاومة الانهيار الذي تغذى من التدخل الأوروبي ، « بالاصلاح والتحديث » . فأرسلتبعثات التعليمية إلى أوروبا لتعلم اللغات الأجنبية من فرنسية وإيطالية . كما استُخدم الأستاذة الأجانب في التعليم . ونشطت حركة الترجمة لمحظوظ العلوم إلى اللغة التركية . ولم يكن توافد الارساليات والبعثات الأجنبية هو السبب الوحيد لأندفاعة المسؤولين نحو « الاصلاح » في الميدان التربوي ، فقد شكّلت « حركة التحديث » التي نشطت في مصر على يد محمد علي حافزاً آخر ، لما مثلته من تهديد حقيقي لنفوذ الدولة ووحدتها . ففي سوريا سعى ابراهيم باشا ، اتباعاً لسياسة والده ، إلى إنشاء المدارس الابتدائية الحديثة على النمط الأوروبي ، التي عرفت باسم « المدارس الجهادية » . واصدر أوامره بعدم ترقية الجنود ما لم يتعلّموا القراءة والكتابة . وعيّن رواتب شهرية لابناء الجنود الذين التحقوا بالمدارس<sup>(٣)</sup> . في هذه الفترة كان التعليم الرسمي

(١) حيث مقررات جمع اللوبيزية أيضاً على تعليم الاحداث القراءة والكتابة في السريانية والعربية .. وعلى التأليف في العربية ، او الترجمة من اللاتينية الى العربية على الأقل ..

(٢) راجع الصليبي . المرجع السابق . ص ١٦٤ .

(\*) المرجع السابق . ص ١٦٧ .

(٣) فكتوريا خرامي . المرجع السابق ص ٧ .

العثماني يقتصر في لبنان كما في سائر المناطق السورية ، على نمط التعليم القديم في الكتاتيب . ولم يبدأ تنظيمه فعلياً إلا بموجب نظام المعارف الذي صدر عام ١٨٦٩ . وبموجب هذا النظام قسمت الدراسة إلى خمس مراحل . لكن الكتاتيب بقيت رغم ذلك على حالها ولم تندثر إلا تدريجياً وفي فترة متأخرة نسبياً عن ذلك التاريخ . وقد يرجع ذلك إلى عدم التدخل الرسمي في شؤونه ، وهي سمة حافظ عليها الكتاب الإسلامي منذ قرون .

## الكتاب :

تعود التسمية إلى فعل الكتابة وتعلمها ، أو إلى مكانها . لذا اطلق عليه في بعض الأحيان اسم « مكتب ». وقد عُرف هذا النمط من التعليم ، كما تروي بعض المصادر التاريخية منذآلاف السنين<sup>(١)</sup> . ومنذ فجر الدعوة الإسلامية ارتبط الكتاب بتعليم القرآن أولاً ، ومبادئه الصرف والنحو والكتابة ثانياً ، لضرورتها في ذاك التعلم . وقد اختلفت بعض مواد التدريس في الكتاب باختلاف الامصار الإسلامية ، إلا أنها حافظت جميعاً على طابعه الديني القرآني .

أما طريقة التعليم والتأديب في الكتاب فلا تختلف عنه لدى المسيحيين ، وكذلك شكله الذي اتسم بالبساطة ، فهو في غالب الأحيان غرفة صغيرة قرب المسجد ، أو في بيت المعلم ، حيث يتربع الطلاب على الحصير أو على جلود المواشي . وتمتد فترة الدراسة من ثلاثة إلى أربع سنوات يُعلن بعدها « تخرج » الطالب وختمه للقرآن ، ويليه ذلك احتفال خاص يشارك فيه أهل الطالب ورفاقه ومعلمه الذي يحظى بهدية خاصة .

ويمكن القول أن كتاتيب القرى تستقبل الأولاد في سن متأخرة نسبياً عن كتاتيب المدن . فالأولى يأتيها هؤلاء بين السابعة والثامنة ، والثانية بين الرابعة

(١) د. ملكة أبيض . التربية والثقافة العربية - الإسلامية . دار العلم للملاتين . بيروت ص . ٢٤١

والخامسة . كما تفتح كتاتيب القرى أبوابها في فصل الشتاء ، حتى لا يتعارض ذلك مع اعمال الفلاحـة التي يشارـك بها الأولاد مع اهـاليـهم في فصـليـ الـربيع والـصـيف<sup>(١)</sup> .

هذه المـواصفـاتـ العـامـةـ لـلـكتـابـ لمـ تـشـذـ عـنـهاـ الكـتـاتـيبـ فيـ سـورـيـاـ وـلـبـانـ هـدـفـاـ وـضـمـونـاـ<sup>(٢)</sup> .

## مراحل الدراسة :

أما نظام المعارف الذي قسم مراحل الدراسة إلى خمس فـكـانـتـ كـمـاـ يـلـيـ :

١ - المرحلة الابتدائية : وتشمل مدارس القرى . حيث التعليم فيها الزامي ومدته اربع سنوات . تتضمن مناهجها العلوم الدينية والقراءة والكتابة باللغة التركية .

٢ - المدارس الرشدية : مدة الدراسة فيها اربع سنوات . تشمل مناهجها العلوم الدينية واللغة التركية ومبادئ اللغتين العربية والفارسية .

٣ - المدارس الاعدادية : مدة الدراسة فيها ثلاثة سنوات . تؤسس في مراكز الأقضية التي يتجاوز عدد سكانها ألف بيت . يخصص لها ستة معلمين يحملون شهادة من دار العلمين مع مساعدיהם . تدرس فيها الفرنسية والتركية وتغيب اللغة العربية عنها .

٤ - المدارس السلطانية : تستقبل طلاب المدارس الاعدادية . والدراسة فيها قسمان :

قسم عال يتفرع إلى شعبتين : الآداب والعلوم ومدته ست سنوات . وقسم عادي مدته ثلاثة سنوات . تغيب العربية أيضاً عن مواد التدريس .

(١) عبد العزيز محمد عوض . الادارة العثمانية في ولاية سوريا . ١٨٦٤ - ١٩١٤ . دار المعارف بمصر - ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) نعيم عطية . المرجع السابق ص ٤٧١ .

تعتبر هنا المدارس اعلى مراحل التعليم في ولاية سوريا . أما من اراد متابعة تحصيله فعليه الالتحاق بمدارس استانبول العالية .

٥ - المدارس العالية : تشمل دور المعلمين ودار الفنون في استانبول . مدة الدراسة في كل فرع ثلاث سنوات . يحق للطالب بعد الانتهاء منها أن يعلم في المدارس الرشدية<sup>(١)</sup> .. بـ

إلا أن هذا التنظيم لم يؤد مباشرة إلى زيادة عدد المدارس الحكومية . ولم يرفع من شأن التعليم « فالزامته لم تكن أكثر من حبر على ورق . وب مجرد نظام اقتبس من الانظمة الغربية .. »<sup>(٢)</sup> ولم يتسع عدد المدارس إلا في أواخر العهد العثماني وفي مناطق دون أخرى . ففي سوريا « بقيت المدارس في حالة يرثى لها ، وهي ليست على شيء من العلم والتعليم .. ومن المؤسف أن المعلمين فيها ليسوا على شيء من علم تربية الأطفال ومعرفة طرق التعليم .. »<sup>(٣)</sup> .

اذن لم تفلح الجهد الرسمية التي بذلتها الدولة العثمانية لتبديل الوضع التعليمي وجعله افضل حالاً ، رغم محاولة التنظيم والاكتثار من المدارس . وقد ترافق ذلك مع تركيز على تعليم اللغة التركية وتغييب للعربية عن مواد التدريس ، واقتباس للنظم الأجنبية وللغاتها الاوروبية ، ظناً أن ذلك كله يشكل سداً بوجه القوى والبعثات الأجنبية التي ملأت مختلف أراضي الدولة . كما جأت إلى اسلوب آخر في المواجهة « فمنعت ارسال اطفال المسلمين إلى مدارس المبشرين قبل أن ينهوا التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية .. »<sup>(٤)</sup> إلا أن الأمر لم يؤت ثماره خاصة وأن المسلمين أوجسوا خيفة من تغييب اللغة العربية واستبدالها بالتركية . هذا بالإضافة إلى أن تشتت اماكن التعليم ،

(١) نقلنا بياجاز هذه المعلومات حول مراحل الدراسة ، عن عرض محمد عبد العزيز . المرجع السابق . لمزيد من التفصيل حوالها يراجع فصل التعليم . ص ٢٥٢ - ٢٦٨ .

(٢) عرض . المرجع السابق . ص ٢٥٥ .

(٣) المرجع السابق . ص ٢٥٦ - ٢٦٠ .

(٤) خالدي وفروخ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية . المكتبة العصرية . بيروت . ص ١١٧ .

وعدم اجتماعها في منطقة واحدة ، وحصر التعليم العالي في استانبول ، كان يمنع ، عملياً ، اغلب التلاميذ من متابعة تعليمهم العالي ، باستثناء من تسمح له موارده المادية بذلك .

في هذه الفترة التي ارتبتت فيها سياسة الدولة العثمانية ولم تفلح في رفع شأن التعليمي ، تكشف حضور الإرساليات المختلفة في سوريا ولبنان ، ولم تستطع الدولة صد هذه البعثات أو منع قدمها . أما المسلمون فقد « امتنعوا عن ارسال اولادهم إليها لأنها تنشر الفكر المسيحي والثقافة الأجنبية وتمهد للسيطرة الأجنبية . . . »<sup>(١)</sup> لذا لم يجدوا سبيلاً ، أمام هذا الواقع ، سوى التوجه لبناء جمعياتهم ومدارسهم التي تصون دينهم وتحفظ لغتهم من تهديد المدارس التبشيرية واهمال الدولة العثمانية .

## التعليم عند المسلمين

### تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت :

يشير البيان التأسيسي لهذه الجمعية إلى الأجراء التعليمية العامة التي بدأت تنتشر عقب توافر الإرساليات ، ومعاناة المسلمين منها ومن المدارس الرسمية كآسلفنا ، ففي معرض ذكره لأسباب شوء الجمعية يقول البيان « . . . لا يخفى على كل ذي بصيرة من أبناء الوطن انه منذ مدة ليست بقصيرة اخذت الطوائف المختلفة الموجودة فيه تؤلف جمعيات خيرية تقوم بصالحها الازمة كافتتاح مدارس للذكور والإناث . . . واستحضرت لها معلمين بارعين ووجهت خواطيرها في الدرجة الأولى إلى تعليم اولادها لغات الاجانب . . . لما كانت تلك الجمعيات طائفية محضة كانت اعمالها الخيرية أيضاً قلما تتخطى دائرة طائفتها غيرها اما الطائفة الإسلامية فإنها كانت غافلة عن ذلك نحو خمس عشرة سنة مقتصرة من المدارس على بعض زوايا مهجورة . . وبقيت محرومة

(١) خالدي وفروخ . المرجع السابق ص ١١ .

من الفوائد التامة بالمدارس الملقبة بالعمومية لأن مبادئ تعليمها لا تتوافق  
المشرب الإسلامي من وجوه معلومة . . . « وهكذا اتحدت الهمم الشبانية في  
بيروت على تأليف جمعية إسلامية خيرية فتم ذلك بالمساعدات الأهلية ليلة غرة  
شعبان المعظم لسنة خمس وتسعين ومائتين وalf من الهجرة النبوية (١٨٧٨ م )  
على صاحبها أفضل التحية اجتمعنا نحن أعضاؤها العجزة في منزل أحدنا  
السيد عبد القادر قباني . . . وقدمنا بذلك عريضة لجانب الحكومة السنوية  
واستدعينا مساعدتها ليحيط علمها بعملنا الخيري كما اتنا بادرنا لطبع تلك  
التعليمات وعرضها على الحكومة والأمة . . .

« وأخذنا في أول الأمر نبحث عن الأشد لزوماً لطائفتنا فوجدنا أن  
احسن وسيلة لنشر المعارف فيها هو تعليم الإناث طرق التربية . . . »<sup>(١)</sup> .

بدأت الجمعية نشاطها في بيروت بافتتاح مدرسة مجانية للإناث ضمت ما  
يقارب ٢٠٠ فتاة ، تلتها بعد مدة مدرسة ثانية بلغ عدد تلميذاتها ٢٥٠  
فتاة ، ثم مدرستين للذكور . اجتمع بها من التلاميذ ما ينوف عن  
اربعمائة . . . ومدرستين في محلة رأس النبع مع التصميم على بناء جامع ف  
جوارها<sup>(٢)</sup> . .

« والحقيقة أن جمعية المقاصد نمت نمواً مضطرباً في فترة رئاسة الشيخ عبد  
القادر قباني في ١٨٧٨ - ١٨٧٩ . . . »<sup>(٣)</sup> إلا أن الخلافات السياسية بين  
الحكومة العثمانية وبين والي سوريا مدحت باشا ، في ذلك الوقت ، الذي كان  
يدعم الجمعية ويهم باصلاح المدارس<sup>(٤)</sup> ، انعكس على وضع الجمعية إذ  
« اهتمت بأنها جمعية سياسية سرية تعمل علينا في التربية والتعليم ، مما دعا  
الحكومة إلى اصدار فرمان حل جمعية المقاصد ولما يض على تأسيسها است

(١) الفجر الصادق . جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت . اعمال السنة الأولى . طبع  
بمطبعة ثمرات الفنون .

(٢) المرجع السابق . ص ٨ - ٩ .

(٣) د. حسان حلاق . جمعية المقاصد الخيرية . جريدة النهار ١١ - ٥ - ٨٣ .

(٤) عرض . المرجع السابق ص ٢٦٣ .

سنوات . . . ومن ثم الحقت بالمعارف وسميت « شعبة المعارف الأهلية » في رئاسة القاضي الشرعي عبد الله الجمال ، وذلك الفرمان كان بداية اضمحلال دور الجمعية وتأخر مدارسها<sup>(١)</sup> . وقد تراوح وضع الجمعية منذ تلك الفترة وحتى اواخر أيام الدولة العثمانية ، وببداية عهد الانتداب الفرنسي في لبنان بين الاخاق والاعتراف بها كجمعية مستقلة .

ورغم هذا الوضع الذي اضعف الجمعية كثيراً بعد انطلاقتها بفتره وجيزه ، فإن المسلمين مؤسسي الجمعية لم يروا في الدولة العثمانية عدواً أو نقضاً ، كما كانوا ينظرون إلى المدارس التبشيرية . بل يتوجهون إليها بالشكر « لقبو لها خمسة اولاد من نبهاء تلامذة الجمعية في المدرسة الطبية المقامة في مصر . . . »<sup>(٢)</sup> هذه الرغبة في تحطى « الزوايا المهجورة » اي الكتاتيب فيها يبدو ، ومواجهة سيل المدارس التي انشأتها الطوائف المسيحية أثر نشاط البعثات الإرسالية تعكس اجواء القلق التي عصفت بال المسلمين في بيروت من جراء هذا الأمر وتمسكهم بالولاء للدولة العثمانية رغم المضايقات التي تعرضت لها جمعيتهم في مراحل لاحقة والحاقة بالمعارف .

اما المسلمين الشيعة في جبل عامل : فقد عرفوا الكتاب نفسه الذي عرفه سائر المسلمين ، حيث يدرس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة واللغة والحساب .

وتحلّف الاجواء التعليمية التي عرفها هذا الجيل خاصة فيما يتعلق بالدولة العثمانية والارسلاليات الاجنبية عمّا كانت عليه حال المسلمين في بيروت معهم . فلقد تعرضت الحياة العلمية فيه إلى حقبة سوداء عل يد أحمد باشا الحزار والي عكا الذي اضطهد العلماء « وقتك فتكاً ذريعاً بأديبيات البلاد ومعنىاتها »<sup>(٣)</sup> ، فاغلقت المدارس واقتلت معاهد العلم وانقطعت سلسلة التدريس بعد أن

(١) د. حلاق . المرجع السابق .

(٢) الفجر الصادق .

(٣) محمد جابر آل صفا . تاريخ جبل عامل . دار النهار للنشر . ص ١٠٦ .

تبوات منزلة رفيعة واحرزت شهرة واسعة يقرن معها اسم جبل عامل بالاجلال والاعظام . . .<sup>(١)</sup> . واعظم حادثة اتلت معظم كتب جبل عامل هي حادثة الجزار فقد نقلت منها الاموال الكثيرة الى عكا على ظهور الجمال وغيرها اياماً عديدة . . . فأوقدت بها الافران في عكا اياماً وسرق منها الكثير . . وذهب كثير من كتب جبل عامل في حروبهم مع اللبنانيين التي غلبهم فيها اللبنانيون فنهبوا واحرقوا<sup>(٢)</sup> .

لكن القرن التاسع عشر ، حمل بشائر نهضة جديدة بعد موت الجزار « فدخلت الحياة العلمية في عهد آخر »<sup>(٣)</sup> تميز بكترة المدارس التي توزعت على كافة قرى جبل عامل تقريباً ، عرف منها مدرسة الكوثيرية ، ومدرسة جبع ، ومدرسة حنوية ، ومدرسة بنت جبيل ، اضافة إلى مدارس مجدل سلم وشقراء وج gioia وكفرة وعيناثا وانصار والنميرية والنبطية . وقد ارتبط وجود واستمرار هذه المدارس بمؤسسها . فكانت تغفل او تتوقف حين تخطف المنية المؤسس إلى حين يتولى فاضل آخر أو عالم جليل متابعة المهمة وتأدبة الرسالة<sup>(٤)</sup> . وقد نشرت هذه المدارس معارفها وتخرج منها العلماء ، طيلة الفترة المتدة ما بين وائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حتى بدايات القرن العشرين .

إلا أن الجمود خيم مجدداً على الحياة الفكرية والعلمية في جبل عامل وذلك يعود كما يرى بعض المؤرخين الى « الخطط السياسية التي سرى عليها الاتراك . . وبذر الخلاف بين الطوائف . . وتدمير معاهد العلم ودور الثقافة واهمال التعليم حتى البسيط اهالاً فاضحاً . . »<sup>(٥)</sup> فلم يبق في جبل عامل من ادناء الى أقصاه ما يقال له مدرسة دينية ولم يبق فيه طالب واحد من طلاب العلوم الدينية ومن ي يريد طلب العلم الديني من أهله يذهب إلى النجف

(١) المرجع نفسه . ص ٢٤٠ .

(٢) السيد محسن الامين . خطط جبل عامل . الدار العالمية . ص ١٩٢ .

(٣) آل صفا . المرجع السابق ص ٢٣٩ .

(٤) يمكن العودة الى تفاصيل هذه المدارس وتاريخها في آل صفا . المرجع السابق من صفحة ٢٣١ الى ٢٥٢ وفي خطط جبل عامل . المرجع السابق من صفحة ١٨٢ الى ١٩٥ .

(٥) آل صفا . المرجع السابق ص ٢٧٢ .

بالعراق . . . وانشىء في جبل عامل مدارس عصرية ، وكتاتيب بعضها اهلية وببعضها على نفقة الحكومة . . .<sup>(١)</sup>

ولم يتقدم هذا الوضع في ظل الانتداب الفرنسي الذي خيم على المناطق اللبنانية ، بل ازداد سوءاً خاصة وان علماء جبل عامل واهله وقفوا موقفاً متشددأً رافضاً للفرنسيين وقاوموهم باشكال مختلفة . فلم يحظوا « بنعمة » هذا الانتداب و« برkatه » . وقد استمر هذا الاهمال المتمدد في « دولة لبنان الكبير » التي رفض العامليون في بداية الأمر الانصياع للانضمام اليها والانفصال عن الوحدة الكبرى التي تمسكوا بها . وقد كانت تلك الفترة بداية عهد للارساليات الاجنبية في تلك المنطقة ، بعد نشاطها المبكر قبل عشرات السنين في جبل لبنان وببيروت .

اما الدروز فلم يكن وضعهم التعليمي منيّزاً ، او أفضل حالاً من الطوائف الإسلامية الأخرى . ولم يعرف عن مدارسهم شيء الكثير . باستثناء ما يذكر عن مدرسة عبيه التي أصبحت اليوم دار الحكمة . « ففي مطلع سنة ١٨٦٢ تقدم سعيد بك تلحوق وكيل الطائفة الدرزية في مجلس وكلاء الطوائف الكبير من داود باشا مبيناً حاجة طائفته للمدارس . . مشيراً الى امكانية تحويل « خلوات » الشيخ احمد امين الدين في عبيه الى مدرسة تدعى المدرسة الداودية اعتراضاً بفضل المتصرف واهتمامه « بتقديم جميع الطوائف وتمنيتها . . » . فاستصوب المجلس رأي وكيل الطائفة »<sup>(٢)</sup> وأقر الاقتراح مفصلاً سير عمل المدرسة وادارتها . وهكذا انشئت المدرسة الداودية في قرية عبيه « لأنها متوسطة بين قرى الطائفة . . . »

يسمح لنا هذا الالتجاز للوضع التعليمي الرسمي والاهلي أن نتبين الملاحظات التالية :

- انتشاراً للكتابات الرسمية العثمانية والأهلية وتشابهاً في بساطة شكلها

(١) خطط جبل عامل . المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٢) اسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية . دار النهار . بيروت . ص ١٠٨ .

وأهدافها وطبيعة مضمونها الديني لدى الطوائف المسيحية والإسلامية . وذلك كسمة عامة مشتركة من سمات التعليم حتى متتصف القرن التاسع عشر .

- تميزات عامة بين الطوائف على الصعيد نفسه . فقد بقيت مدارس الموارنة حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، رغم تحول عدد كبير من الأديرة إلى مدارس ، لا تفي بالمطلوب . وتلخص هاتين الشهادتين لبعض الراغبين في العلم في تلك الفترة واقع الحال المذكور ، يقول الأول : « كان التعليم ، في ذلك الوقت ، يعتبر خطراً . وكان صعب المنال ، حتى لأشد الراغبين . . . وكانت قراءة العربية البسيطة . بحد ذاتها ، صعبة المنال . . . اما الآخر فيذمر حوالي عام ١٨٤٩ من أن ابناء قريته كانوا عمياناً من شدة الجهل »<sup>(١)</sup> اما المسلمين ، في الفترة نفسها ، فكانوا أكثر الماماً بالقراءة والكتابة نظراً لارتباطهم الوثيق بالقرآن الكريم وما يفرضه هذا الارتباط من معرفة بالقراءة والكتابة . ويؤكد ذلك الدكتور الصليبي بقوله :

« من الخطأ القول ، اذن ، بأن قيام المدارس المارونية في لبنان ، قبل القرن التاسع عشر ، ادى إلى تعميم العلم والمعرفة في البلاد . . . كان الجهل سائداً في مناطق الجبل ، حتى بين طبقة الاعيان من نصارى ودروز . . . وكان الإمام بالقراءة والكتابة اوسعاً انتشاراً بين مسلمي بيروت وطرابلس ، وذلك بفضل الكتاتيب التي استمرت تعلم الصبية قراءة القرآن . وكان في المدن الثلاث وخصوصاً في طرابلس علماء مسلمون يدرسون الفقه وبقية العلوم الإسلامية التقليدية لفئة صغيرة من المربيين ، كما يفعل علماء الشيعة في جبل عامل »<sup>(٢)</sup> . هذا الإمام الأوسع بالقراءة والكتابة عند المسلمين قياساً الى سيادة الجهل لدى المسيحيين اصابه التحول طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وامتداداً حتى عهد الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان . ولم يكن ذلك التحول نتيجة ثور داخلي طبيعي ، أو انكفاء ذاتي ارادي ، ادى الى زيادة المدارس هنا ، وقلتها وضمورها هناك ، بل كان تعبيراً عن العلاقات الجديدة

(١) الصليبي . المرجع السابق . ص ١٦٦ .

(٢) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦٥ .

بين اليسوعيين والموارنة ، وعن الدعم الفرنسي « والحماية » التي ظللت مسيحيي الشرق<sup>(\*)</sup> . ولم يقتصر الأمر على انتشار المدارس المسيحية ، بل تحولت البرامج فيها ، اثر هذه التغيرات ، لتصبح على غرار تلك المعطاة في المدارس اليسوعية والفرنسية . ففي مدرسة الحكمة مثلًا التي تأسست في بيروت عام ١٨٧٦ أصبحت الفرنسية لغة رئيسة ، بعد أن كانت تدرس العربية والإنكليزية والتركية والسريانية والفرنسية . ويؤكد هذه الحقيقة Villeneuve بقوله : « أن برامج المدرسة هي نفس برامج اليسوعيين في بيروت والعازاريين في عينطورة . . . والفرنسية هي أساس التعليم ، يُجبر التلامذة على التحدث بها أثناء الفرصة . . حتى مدير المدرسة أيضًا كان رجل دين فرنسي »<sup>(١)</sup> . وحتى المدارس « العلمانية » أو « الوطنية » « كانت تدافع أيضًا عن قضية الثقافة الفرنسية بطريقة لا مثيل لها »<sup>(٢)</sup> .

- هذه التحولات في مضامين البرامج واللغة ، هي مؤشرات التداخل والتأثير المتبادل بين التعليم والأوضاع السياسية والاجتماعية . ضمن هذا الإطار كان القرن التاسع عشر محطة تجاذب للموارنة بين صلتين وانتماءين . نلحظهما أساساً من خلال التحول التعليمي الذي اشترنا إليه . الصلة الأولى والانتداء

(\*) راجع فصل اليسوعيون في سوريا ولبنان .

(١) villeneuve . المرجع السابق ص ٢٤٤ .

(٢) هذا ما يؤكده بول هوفلان معدداً إسهامات تلك المدارس :

مدارس المرحلة الابتدائية : مدرسة صبح في جزين . ومدرسة الانسة نجيبة . مدرسة مكاوي في انفه . مدرسة رحمة في بشري . مدرسة خازن في بيت مری . مدارس الطوائف الكاثوليكية الشرقية في طرابلس وبعلبك وزحلة وصيدا والنبطية وبيروت والبترون .  
مدارس المرحلة الثانوية : الكلية البطريركية في بيروت . مدرسة زحلة . مدرسة سان لويس في غزير . مدرسة قرنة شهوان . المدرسة الداخلية في بعلبك .

عن :

paul Huvelin: Congrès français sur la syrie p.37.

ذكره سلام نواف . في  
l'histoire et le rôle de l'influence et de la pénétration française et Anglo-Américaine dans l'enseignement au Liban de 1840-1914. Mémoire de l'histoire sociale-Paris 1974.

الأول ، مع شعوب المنطقة بما هم جزء منها ، لا يميزهم عنها لغة او عادات كما اشار الى ذلك أيضاً الرحالة الاجانب الذين تعاقبوا على هذه البلاد . وقد استمرت حيوية هذه الصلة حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر . اما الصلة الثانية ، فمع الغرب - الخارج ، بما هو حماية ودعم سياسي وعلاقات اقتصادية وإرساليات . هذه الصلة مهدت لذلك التحول الثقافي الذي أطل برأسه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مع عودة اليسوعيين ، وتصاعد قوة الغرب العسكرية والسياسية وتنامي « امتيازاته » ، وضعف الدولة العثمانية . والتدخل في شؤون الطوائف المحلية ودعمها . فتحولت هذه الصلة مع الغرب ، ورمزه فرنسا في ذلك الوقت ، إلى عنصر من عناصر القوة الذاتية الداخلية في علاقة الموارنة بالطوائف اللبنانية الأخرى .

هكذا بدأت الفرنسية تصبح لغة أولى في مدارس الموارنة ، لتماثل مع لغة المدارس اليسوعية ومدارس المرسلين الكاثوليك بشكل عام . وهكذا توحد الانجذاب نحو فرنسا في اللغة والفكر والانتماء ، وبالتالي في الانفصال أو الابتعاد عن الطوائف الأخرى « والتفوق » عليها . بعد أن بات اللحاق بركتب التعليم ذي الأسس اليسوعية « تميزاً » و« تفوقاً » حضارياً وطائفياً ، وغلبة سياسية تظلل من سار في ركبها ، لا من خشي منها وابتعد عنها .

## الفصل الثالث

### اليسوعيون في سوريا ولبنان

- البعثة الأولى
- البعثة الثانية

#### I - اليسوعيون وفرنسا

- مرحلة الاختلاف
- مرحلة الاتفاق

#### II - اليسوعيون بين التناقض الدولي وانعكاساته المحلية .

- دخول رأس المال الأجنبي : مدينة ليون : الاقتصاد والتبشير .
- حماية الطوائف وانتشار البعثات .

#### III - اليسوعيون والموارنة

- الطب / الوسيلة
- إعداد الأكليروس المحلي ومشكلة اللغة .
- « دونية الموارنة » وفحص عقائدهم .

#### IV - ملحق وثائق .



## البعثة الأولى :

هناك اختلاف حول تاريخ وصول بعثة اليسوعيين الأولى إلى بلاد الشام ، كما كانت تسمى في ذلك الوقت . ويتراوح هذا الاختلاف وفقاً لروايات المؤرخين أو المبشرين بين سنوات ١٦٢٥ و ١٦٣٨ و ١٦٥٠ و ١٦٥٦ . كما يشمل ذلك الاختلاف الكبوشيون والسيوعيون الذين يؤكدون ، كل من جهته ، بأنه وصل قبل الآخر إلى هذه المنطقة . يقول الأب جيروم مسؤول بعثة الكبوشيين في سوريا : « إن بعثتنا هي الأولى من بين جميع البعثات والنشاطات الفرنسية التي تغطي الأرض السورية .. ففي سنة ١٦٢٥ أسس كبوشيون فرنسيون من Bretagne أماكن لهم في بيروت وحلب وصيدا ، وفي مناطق أخرى من لبنان »<sup>(١)</sup> . أما اليسوعيون فيقولون بأنهم وصلوا إلى لبنان في الفترة نفسها التي وصل فيها الكبوشيون وقد « أرسلتهم روما لفحص عقائد الموارنة وعاداتهم وكتبهم المربيّة »<sup>(٢)</sup> . بينما يؤكّد هنري غيز أسبقية وصول

---

(١) ذكرت ذلك Giappes christiane .structures communautaires et idéologie politique: au liban à L'époque du Mandat (1919-1946) thèse 3eme cycle. Paris 1974- p.351.

(٢) مجلة الشرق . يصدرها الآباء اليسوعيون بإشراف الأب لويس شيخو . ١٩١٤ عدد ٥ - ص ٧٦٢

الكبوشين إلى لبنان « في بداية القرن السابع عشر .. الذين ارسلتهم جمعية Bretagne .<sup>(١)</sup>

ويبدو أن عدم الوضوح الذي يلف تاريخ وصول البعثات الأولى إلى بلاد الشام ، يعود إلى تقادم عهدها ، والتنافس بينها لتبيان عراقتها . وإلى عدم استمرارية بعضها أو انقطاعها عن العمل ، كما حصل مع اليسوعيين ، مما ولد فجوة في تاريخها عكسها تلك الأرقام والتاريخ المختلفة .

تركز نشاط بعثة اليسوعيين الأولى في حلب . ومنها انتقلت إلى المناطق السورية الأخرى ومن بينها جبل لبنان . ولم تكن الصدفة أو « العناية الإلهية » كما يحاول البعض أن يوحي بذلك<sup>(\*)</sup> ، هي التي دفعتهم إلى تلك البلاد . بل امران حيوان كما يرى اليسوعيون انفسهم : أولاً لأن « حلب نقطة إلقاء الخطوط التجارية القادمة من الهند . وفارس ، ومن آسيا المركزية ، ومن مناطق الشرق الأقصى ، وهي مركز للأسفار والراسلات من الطراز الأول . . . ، لذا توفرت مراكزهم الأخرى أيضاً في طرابلس وصيدا « حيث المرافقين الأكثر أهمية ». وأخيراً في كسروان في جبل لبنان حيث أسسوا كلية عينطورة<sup>(٢)</sup> . ثانياً : « لفحص عقائد الموارنة » « وتحقيق حاجاتهم الروحية » التي يرى الأب اليسوعي اليانو، موقد روما إلى الطائفة المارونية ، « إن أكثر الوسائل فائدة لذلك هي ثلاثة : أولاً ، يجب مساعدتها على تكوين اكليروسها بأن نرسل إلى روما عدداً من الشباب لتعلم الآداب الدينية . ثانياً ، إيجاد مطبعة في روما

---

henri Guys<sup>(١)</sup>  
esquisse de l'état politique et Commercial  
de la syrie Paris 1862. p.129.

(\*) يقول جان ميليا : « في عام ١٦٢٥ طرحت العاصفة لأول مرة ثلاثة يسوعيين على الشاطئ السوري . . . فقبض عليهم بعض القراءة وسلموهم إلى الشيخ أبو نوبل الخازن ، حاكم كسروان الماروني . وقد استقبلهم هذا الأخير استقبلاً حسناً لأنهم فرنسيين ، وقدم لهم مسكنًا في عينطورة . . . وهكذا عرفت جمعية يسوع طريق الشرق . . . (!!) .

jean Mélia. chez les chrétiens d'Orient. Paris 1929. p.84.  
revue d'histoire des Missions. Tome III. 1926. p.360.<sup>(٢)</sup>

طبع كتاباً بالحروف العربية والسريانية لحاجة الموارنة إليها في كنائسهم ، وتحل هذه الكتب محل الكتب المكتوبة بخط اليد وما فيها من أكاذيب دينية . ثالثاً ، تجهيز الكنائس المارونية الفقيرة بالكتؤس والأقداح والمعدات الأخرى ليتمكنوا من ممارسة القدس . . . بطريقة لائقة »<sup>(١)</sup> .

وبناء على هذا التقرير من الأب اليانو ، قرر البابا Urban أوربيانوس الثامن إنشاء مدرسة للموارنة في روما يديرها الآباء اليسوعيون<sup>(\*)</sup> . وقد اصطحب هؤلاء عندما عادوا إلى روما . شaban Maronian . الأول له من العمر خمسة عشر عاماً . والثاني سبعة عشر ، لدراسة العلوم الدينية . هذا التداخل بين « فحص العقائد وتحقيق الحاجات الروحية » وبين « المدن الشهيرة والمرافق المهمة » كان المحرك للبعثة الأولى . إلا أن الأوضاع العامة للعمل التبشيري عموماً ولليسوعيين بشكل خاص ، أثر حلات النقد والطرد التي توجت بقرار منع جمعيهم عام ١٧٧٥ انعكست على مشاريعهم في سوريا ولبنان فغادروا هذه البلاد تاركين مراكزهم للمرسلين العازاريين . ولم يعودوا إليها إلا مع استئناف النشاط التبشيري عام ١٨٣١ في ظل ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية مغايرة تماماً لظروف عمل البعثة الأولى .

## البعثة الثانية :

تم التحضير لهذه البعثة عبر رحلة استطلاعية إلى الشرق قام بها الأب Ryllo والأب Riccadonna ، لدراسة أفضل السبل لعودة اليسوعيين . حل الأب ريللو إلى روما ، بعد هذه الرحلة ، مقتراحات جديدة

(١) مجلة الشرق . المرجع السابق . ص ٧٦٢ .

(\*) سبق ذلك ، إنشاء مدرسة أكيليريكية في جبل لبنان ، في الفترة نفسها تقريراً ، هدفها إعداد الطلاب لمتابعة الدراسة في روما . إلا أن الروايات التاريخية المتعددة « لا تتحدث عن هذه المدرسة ، ولا حتى عن دورها فيها بعد . ومن المرجح أنه لم يكتب لها النمو والتطور . (يمكن مراجعة نص الوثيقة التي تتحدث عن إنشاء هذه المدرسة في كتاب : « وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث » . عبد العزيز سليمان نوار . جامعة بيروت العربية ١٩٧٤ . وثيقة رقم ١٠ .

ص ٦١ - ٦٥ ) .

لعمل الإرساليات في الشرق ، وعمل إرسالية الدومينيكان في العراق<sup>(١)</sup> . كما ساهم في عودة اليسوعيين تقدم جيوش إبراهيم باشا من سوريا وإطلاقه لحرية الإرساليات . يروى أيضاً أن الأب مكسيموس مظلوم ساهم هو الآخر بدوره في تسهيل عودة اليسوعيين بعد اتفاق عقده مع البابا غريغوار السادس عشر ، سمح له بموجبه هذا الأخير بالعودة إلى بلاده بعد نفيه منها لاتهامه بالتعامل مع البروتستانت<sup>(٢)</sup> .

حطت بعثة اليسوعيين الثانية رحالها في لبنان وقوامها ثلاثة : الأب ريكادونا إيطالي ، والأب بلانشيه فرنسي ، والأخ هانز الماني من المانوفر . ووصلوا إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٣١ . أما هدفهم «فيختلف قليلاً عن هدف البعثة الأولى»<sup>(٣)</sup> . نظراً لاختلاف الظروف التي أحاطت بعودتهم من جهة ، وبنشاطهم من جهة ثانية .

عكف اليسوعيون منذ وصوفهم على ممارسة التعليم وتأسيس المدارس ، واستقروا في غزير «لأنه لم يبق من مؤسسات الماضي شيء . لا كلية عينطورة ، ولا كلية Ravenne ، ولا حلقة St Elie في عينطورة أيضاً .. وهذا أصبحت غزير مركزاً للبعثة»<sup>(٤)</sup> وقد بدأوا التدريس فيها بشكل بسيط ومتواضع جداً من خلال مدرسة للغتين العربية والإيطالية<sup>(٥)</sup> . وما لبث نشاطهم أن امتد وتوسع وبدأ التعليم يتنظم . فأوجدوا عدة مدارس في بكفيا في جبل لبنان ، وفي زحلة في البقاع ، وكذلك في غزير في كسروان ، ووصلوا إلى بيروت وصيدا ودير القمر ..

١) Hajjar Joseph L'Europe et les destinées du proche Orient (1815-1948) Belgique. 1970. p.229.

٢) المرجع السابق ص ٢١٧ .

٣) اليسوعيون في الشرق الأقصى والعالم . المرجع السابق . ص ٦٣ .

٤) Levenq G.S.J. La nouvelle Mission de la Compagnie de jesus au Liban et en syrie- 1831- Beyrouth. 1925- p.10.

٥) les jésuites en syrie-1831-1931- Fascicule I- séminaire Orientale. p.8.

استمر التدريس في هذه المدارس باللغتين العربية والإيطالية. الأولى لأنها لغة السكان والثانية لأنها لغة مرسل روما. إلا أن تحولاً هاماً في علاقات اليسوعيين أدى عام ١٨٤٨ إلى أن تصبح الفرنسية لغة التعليم الأولى في مدارسهم وإلى أن تصبح البرامج فيها على غرار تلك المعطاة في فرنسا.

لم يكن هذا التحول الذي طرأ على اللغة والبرامج في مدارس اليسوعيين إلا انعكاساً لصفحة العلاقات الجديدة والطيبة، ولالقاء الأهداف بينهم وبين فرنسا، بعد فترة خصام واختلاف دامت حوالي سبعة عشر عاماً، كانت في الوقت نفسه فترة صراع على النفوذ داخل فرنسا وخارجها ، وتبالين في المشاريع السياسية .

## اليسوعيون وفرنسا

### ● مرحلة الاختلاف :

« وصل ثلاثة يسوعيين إلى بيروت .. فاستدعاهم قنصل فرنسا وعبر لهم عن دهشته من مجئهم إلى هذا البلد لأن اتفاقاً بين الباب وملك فرنسا يقضي بعدم إرسال يسوعيين إلى سوريا»<sup>(١)</sup>.

يكشف امتعاض القنصل الفرنسي من حضور اليسوعيين ذلك الخلاف بين مواقف حكومته وبين سياسة روما . ويبدو أن للأمر أسباباً ثلاثة :

أولاً : « إن فرنسا تعتبر نفسها مسؤولة عن حماية مسيحيي المشرق أمام الباب العالي. وأن هذه المسؤولية تشكل دعماً أساسياً لقوتها في المشرق ولا يمكن لرجال الدين الذين ترسلهم روما أن يتجاوزوا هذه الحماية القانونية والعملية»<sup>(٢)</sup>.

(١) levenq المرجع السابق . ص ٩ .

Abougit-Les Nouvelles Missions de la cie de jesus en syrie.

(٢)

ذكره شفاليليه دومينيك ص ٢٦١ .  
في كتابه : مجتمع جبل لبنان . . .

ثانياً : «أن الحكومة الفرنسية ترغب في أن يتولى اللعازاريون المسموح بنشاط جمعيتهم في فرنسا والتي يتولى إدارتها فرنسي أيضاً ، استئناف نشاط المسلمين . لكن هذه الرغبة لم تلق استحساناً من روما . وبدا البابا غريغوريوس السادس عشر أكثر حرصاً في الدفاع عن الكنيسة من إشعاع دولة ليبرالية . وقد استخدم طلب اسقف الروم الكاثوليك مكسيموس مظلوم ، لإدارة حلقة دراسية لابناء طائفته بواسطة يسوعيين ، حجة وذريعة لارسال ثلاثة يسوعيين إلى جبل لبنان »<sup>(١)</sup> .

ثالثاً : موجة العداء القوية لليسوعيين في فرنسا . «ففي تلك الفترة هوجمت منازلهم ودمرت . واضطرب الآباء للاختباء خارج الحدود في أماكن آمنة»<sup>(٢)</sup> .

وبالرغم من العداء اليسوعي الفرنسي المشترك للبروتستانت الذين ينشطون بين المسيحيين ويهذدون التفوذ المباشر لكليهما ، فإن وجهات النظر لم تتوحد وبقي لكل منها مشروعه السياسي الخاص به . ففرنسا تدعم محمد علي باشا . وهذا في الوقت نفسه علاقات طيبة مع موارنة لبنان باسم الصداقة التاريخية بينها وبينهم . أما يسوعيون فاتجهوا نحو إقامة دولة مسيحية مارونية . وهذا السبب كانوا مستاءين من رؤية القنصل بواريه Boireé يقيم باسم ملك فرنسا ، علاقات مباشرة مع الأكليرicos الماروني الذي كان جاهلاً بنظرهم ، ويجب أن يبقى تحت وصايتها ، وينع من أي علاقة مع الحكومة الفرنسية . إلا أنهم لم يفلحوا في تحقيق رغبتهم بسبب الضغط الذي مارسته الحكومة الفرنسية والرفض الذي واجههم به الموارنة آنذاك «فلم يزدهم هذا الفشل إلا تصميماً . وعندما غادر Boireé بيروت كثروا نشاطهم وأكدوا على موقفهم من الدولة المسيحية . وطالبو باستعادة كلية عنيطرة التي انتقلت إلى أيدي العازاريين . وقام الأب Ryllo بتحريض الفلاحين الموارنة للثورة من أجل دولة

(١) المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٢) guichard المرجع السابق . ص ٩٥ .

مسيحية .. واتهم الحكومة الفرنسية بمساندة الباب العالي ضد المسيحيين»<sup>(١)</sup>.

كما جلأوا لمواجهة الضغط الفرنسي ، إلى الاتصال بالنمسا كقوة كاثوليكية تواجه قوة فرنسا ونفوذها ، وتومن لهم الحماية الالزامـة . وقد كتب القنصل الفرنسي الجديد دي ميلواز Deméloize رسالة عام ١٨٣١ إلى السفير الفرنسي في القسطنطينية ، تعبر بوضوح بالغ عن هذا الصراع اليسوعي الفرنسي ، وتلخص جوهر المواقف والسياسات المتناقضة بينها . يقول « ... لقد امتنعت لغاية الآن عن البحث في أمور اليسوعيين والتعرض لمواقفهم غير الوطنية .. وأجد الآن أنه لا مفر لي .. من إبداءرأيي بصراحة فأقول أن مصلحة فرنسا وسلامة نفوذها تقتضيان سحب جميع المسلمين اليسوعيين من هذه البلاد . أو على الأقل استدعاء الأب ريللو الذي قام في أيام الثورة وما زال يقوم اليوم بنشاط معاد لفرنسا ولسياستها ومصالحها . أن اليسوعيين ينشئون سـم القلق في نفوس اناس هنا فطروا على الشغب وحمل السلاح .. يعلم اليسوعيون أنه لا يمكن حماية الملك أن تأرجح بينهم وبين العازاريين . وهم لهذا السبب مستاءـين من العازاريين الذين يشغلون في سوريا ، المناطق والمراكز التي كانوا يرغبون هـم بالتواجد فيها لتطوير مؤسساتهم وإعلاء شأن جمعيـتهم .

إلا أنه لا يمكن تحقيق ذلك إلا بعيداً عنا ورغمـاً عـنا . إنـي مـتأكد من أن مؤسسات مرسليـنا ، والأمالـ التي تـعلـقـها عـلـيـهـم حـكـومـةـ المـلـك ، وـالـنـفـوذـ المـرـتـجـيـ ، كلـ ذـلـكـ لـنـ يـتـحـقـقـ طـلـماـ سـيـقـيـ الـيـسـوعـيـونـ فيـ بـيـرـوـتـ وـبـكـفـياـ . وـفـيـ كلـ مـرـةـ كـنـاـ تـحـاـوـلـ الـقـيـامـ بـعـمـلـ لـاـ يـسـتـيـغـونـهـ كـانـواـ يـنـفـصـلـونـ عـنـاـ وـيـخـلـقـونـ لـنـاـ العـرـاقـيـلـ . أـخـيـراـ عـلـيـنـاـ أـنـ بـعـدـ مـنـ الـبـلـادـ السـوـرـيـةـ أـوـ عـلـىـ الأـقـلـ مـنـ لـبـانـ ، جـمـعـيـةـ تـحـقـرـ العـازـارـيـنـ وـفـرـنـسـاـ ، وـتـرـزـعـ التـفـرـقـةـ خـلـفـنـاـ ، وـتـحـاـوـلـ دـائـيـاـ مـهـاجـمـةـ مـشـارـيعـنـاـ . أـمـاـ اـدـعـاءـ الـيـسـوعـيـونـ هـنـاـ بـأـنـهـمـ يـزاـحـمـونـ الـأـمـيرـكـيـنـ فـقـدـ بـاتـ بـدـونـ أـسـاسـ ، لـاـنـ الـأـرـثـوذـكـسـ الـذـيـنـ كـانـواـ لـاـ يـطـلـبـونـ الـعـلـمـ إـلـاـ عـنـدـ الـمـبـشـرـيـنـ الـأـمـيرـكـيـنـ قـدـ اـرـتـدـواـ عـنـ ذـلـكـ وـانـشـأـواـ لـهـمـ مـدـرـسـةـ خـاصـةـ . وـاعـلـنـ رـؤـسـاؤـهـمـ

(١) عـادـلـ اـسـمـاعـيلـ . اـمـيلـ خـوريـ . السـيـاسـةـ الدـولـيـةـ فـيـ الشـرـقـ الـعـرـبـيـ . الـجـزـءـ الـرـابـعـ . ١٩٦٠ - صـ ١٩ - ٢٠ - ٢١ .

الدينيون أن كل رب عائلة ارثوذكسيه يضع أولاده في مدرسة بروتستانتيه يعتبر خارجاً على دينه ومحروماً<sup>(١)</sup>.

استغلت النمسا في غمرة الصراع الدولي على النفوذ هذه العلاقة المتواترة بين اليسوعيين وفرنسا ، فلبت حاجتهم للحماية من « منطلق كاثوليكي » سراً وعلانية . وأعلن مثل النمسا في لبنان أن دولته تحمي اليسوعيين في مشاريعهم الإرسالية والسياسية والتربيوية . كما قدمت حكومة فيينا عام ١٨٤١ إلى الأب « ريللو » خاتماً ثميناً كان يحمله دائمًا ليبرهن أن النمسا تحمي « وأن اليسوعيين سيفيقون في لبنان ، وأن سياساتهم لن تتغير رغم معارضته الفنصلية الفرنسية ، لأن امبراطور النمسا يدعمهم دعماً غير مشروط »<sup>(٢)</sup>.

وقد ازدادت حدة التنافس الدولي حول دعم الإرساليات وتأسيس المدارس ، الخاصة بكل دولة أو قوة أوروبية ، ولم يكن الخلاف اليسوعي الفرنسي بنائي عن ذلك ، بل كان الأمر يزداد بسببه حدة وافتراقاً لأنه بات واضحًا لكلا الطرفين « إن السيطرة على المدرسة تعني السيطرة على الشبيبة وجذب النخبة في أقصر مدة ممكنة . ومن يمسك النخبة يمسك الجماهير ». وبسبب هذا الوضوح انفجر الصراع بشكل حاد عند تحقيق أول مشروع لليسوعيين وهو تأسيس كلية في بيروت . فقد خشيت حكومة فرنسا أن تتجاوز هذه الكلية ، كليات العازاريين في عينطورة والكبشيين في بيروت ، وأن تكون محصلة عمل اليسوعيين ونفوذهم في اتجاه مضاد لنفوذ فرنسا . لذا يقول القنصل الفرنسي Cochelet :

« كان كل شيء هادئاً في بيروت ، وكان لقنصل الملك أفضل العلاقات مع السلطات التركية . لكن المرسلين اليسوعيين في بكفيا يرغبون أن يبنوا في سوريا ، وفقاً لرغبة البابا كما يزعمون ، كلية ومدرسة للفنون والمهن ومزرعة نموذجية .. لكن تنفيذ المشروع لا يناسبنا . لأن التعاطف مع اليسوعيين ليس

(١) عادل اسماعيل - المرجع السابق . ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٢ - ٢٣ .

تعاطفًا معنا ؛ وعلينا أن ندعم جمعية العازاريين بكل نفوذنا»<sup>(١)</sup>.

## مرحلة الاتفاق

خشيت فرنسا بعد ثبات اليسوعيين في مؤسستهم واقترابهم من النمسا ، وتقدم المسلمين البروتستانت نحو بيروت ونشاطهم الملاحظ فيها ، من تهديد حقيقي للنفوذ الفرنسي الكاثوليكي . وبات القلق من فقدان جمعية يسوع هاجساً من تحولها هي الأخرى إلى قوة معادية . فلجمأت فرنسا أمام تضافر هذه العوامل إلى تبديل سياستها مع اليسوعيين ، خاصة وأن هؤلاء أكدوا للعازاريين وللقتناصل الفرنسيين بأن مدارسهم لا تستهدف منافسة العازاريين . وبأنهم لن يقبلوا في مدرستهم الأكيليركية في غزير إلا الأطفال الذين انحوا دراستهم في عنيطورة . وعقدت فرنسا اتفاقاً مع روما ، تم بموجبه تسوية تنظيم توزيع مدارس اليسوعيين في لبنان « لكي لا يصبح النشاط اليسوعي منافساً ، بل متمماً»<sup>(٢)</sup> . ولم تر فرنسا ، بعد ذلك في اليسوعيين قوة معادية ، بل رسل حضارة تتوافق مع المصلحة الفرنسية ». يقول القنصل بواريه عام ١٨٤٢ : « .. أصبحت مصالحنا هنا مرتبطة بكل ما يمكن أن يقدم بذوراً للحضارة ، فإذا لم تكن اليد التي تنشر هذه الحضارة معادية لنا مباشرة ، فإن الإيجابيات تزيد على السلبيات .. إن السؤال ليس في معرفة إذا كان اليسوعيون سيفون ، ولكن السؤال أين وكيف؟ ». لبى اليسوعيون هذه الرغبة الفرنسية ، وانتقلوا بعملهم من التحرير والتثويب على فرنسا إلى طليعة المدافعين عن « القضية الفرنسية » ولم يعد سراً في الشرق « خصوصاً في سوريا فلسطين إن رجال الدين أساساً ، بمؤسساتهم المدرسية ، هم الذين رفعوا إلى أعلى درجة النكرة الفرنسية»<sup>(٣)</sup> . وكان من الطبيعي أن يجد كل من اليسوعيين

(١) رسالة من القنصل الفرنسي cochelet إلى غيزو في ٢٥ ك، (يناير) ١٨٤١ . ذكرها hajjar في المرجع السابق . ص ٥٦٧ .

(٢) شوفاليه المرجع السابق ص ٤٦ .

(٣) jean Mélia المرجع السابق ص ٢٨ .

والفرنسيين مصلحته في هذا الاتفاق » . . فهو حقل جديد نفتحه لنشاط المسلمين ، وفي الوقت نفسه أن الناس الذين تكسبهم كل جمعية يشكلون انصاراً متفانين في سبيل مصالحنا ، يمكننا أن نمارس عليهم حمايتنا الرسمية أو على الأقل وصايتها «<sup>(١)</sup> .

## اليسوعيون بين التناقض الدولي وانعكاساته المحلية

اشتد التصارع بين القوى الأوروبية الاستعمارية استعداداً لوارثه « الرجل المريض » كما أطلق على الدولة العثمانية في أواخر أيامها ، بعد أن دبت في عروقها أمراض الضعف والوهن التي ساهمت هذه القوى في تكوئها على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية . واحتدم التناقض على سوريا لأنها تشكل بالنسبة لفرنسا مثلاً « موقعها الجغرافي بين آسيا الصغرى ومصر ، مركز هذه الامبراطورية ، لا بل قلبها . كما تحمل في داخلها إمكانية لتلك الحياة التي انحسرت عن اطراف هذا الجسم الكبير . . »<sup>(٢)</sup> وبالنسبة للسفير البريطاني في القدسية عام ١٨٦٠ : « قاعدة لكل الفتوحات الشرقية ، وحلقة وصل بين أفريقيا وأسيا » .

وقد توج هذا الصراع والتناقض بالاحتلال العسكري المباشر لراضي ودول «الأمبراطورية» ، بينما كانت تلفظ انفاسها الأخيرة . وتقاسمت انكلترا وفرنسا المناطق العربية فيها . فاحتلت الأولى عدن والعراق والسودان وفلسطين وشرق الأردن ، واحتلت الثانية الجزائر والمغرب ، وتونس وأخيراً سورياً ولبنان في نهاية الحرب العالمية الأولى . وقد مهدَّ لهذا الاحتلال المباشر «امتيازات» عدَّة اقتصادية ، وتجارية ، وسياسية ، حصلت عليها الدول الأوروبية على

villeneuve H. Les écoles françaises et étrangères en syrie. In revue des Universités du Midi. Tome III. No2- 19emé année. 1897 p.209.

راجع ترجمتنا لهذا المقال في مجلة الفكر العربي الصادرة عن معهد الاماء العربي في بيروت عام ١٩٨٠ ، عدد ٢١ . بعنوان «المدارس الفرنسية في سوريا في نهاية القرن التاسع عشر» .

(٢) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية - مراسلات القنصل السياسي - تركيا بيروت . مجلد رقم ٢ - (راجع نص الرسالة كاملاً في ملحق الوثائق) .

فترات متلاحقة منذ القرن السادس عشر وسمحت لها بالتدخل والحماية في بادئ الأمر ، وبالاحتلال والتقسيم فيما بعد .

« وكان من نتيجة تطبيق هذه الامتيازات .. أن وصلت بنا إلى الخد الذي أصبح فيه تجار الدول الأوروبية يشكلون مع قنصلياتهم جاليات قوية تتمتع بسلطات مستقلة عن السلطة العثمانية المحلية . وتشكل عملياً « دولاً داخل الدولة »<sup>(١)</sup> .

ولم تكن الهيمنة التجارية وحدها ، التي أتاها هذه « الامتيازات ، هي التي مكنت الدول الأوروبية من التغلغل والتدخل في شؤون الدولة والطوائف والقوى الاجتماعية المختلفة . فقد كان لانتشار الإرساليات التبشيرية والبعثات التعليمية رغم تصارعها فيما بينها ، دوراً لا يقل أهمية على الاطلاق عن وظيفة « الامتيازات » بل يفوقها خطورة نظراً للطابع « الإنساني » « والحضاري » الذي يلف نفسه به . وقد سار هذان الأمران جنباً إلى جنب يردد أحدهما الآخر سراً وعلانية ، فها هي فرنسا تعمد كي تختل سوريا في الوقت المناسب إلى سلوك اتجاهين : « اتجاه ثقافي ي يقوم على نشر اللغة والثقافة والتاريخ والحضارة الفرنسية ، واتجاه اقتصادي من خلال الحصول من الباب العالي على امتيازات اصلاح مرافع أزمير وبيروت وإنشاء الطرق الحديدية في سوريا »<sup>(٢)</sup> .

وكذلك فعلت سائر الدول ، فتناقضت البعثات التي أرسلتها « لكتسب الناس وثقيفهم » فيما بينها « وأدركت كل دولة من الدول الست الكبرى ذات المطامع الشرق أوسطية أن إحدى أهم الوسائل لتكوين جماعة لها في الشرق هو في انتشار التعرف على لغتها»<sup>(٣)</sup> هكذا نجح المشروع الأوروبي الاستعماري لا

---

weinstock N:Le Mouvement révolutionnaire arabe. page 22.

(١)

ذكره :

د. وجيه كوثري في الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي - ١٨٦٠ - ١٩٢٠ معهد الاغماء العربي . بيروت ١٩٧٦ . ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) عادل اسماعيل . المرجع السابق . الجزء الرابع . ص ١١٦ .

(٣) villeneuve ، المرجع السابق ص ٢١٠ .

في تقسيم السلطة وحسب، بل وفي تحويلها إلى دول وكيانات تدعمها هذه الدولة الأوروبيّة أو تلك . وإذا كان النجاح في التفتّت قد نهض على اكتاف تغلغل ثقافة التبشير والأخلاق الاقتصادي ، فإن خصوصية المناطق والطوائف التي تعرضت لكل ذلك لعبت دوراً هاماً في رفضه ومعاندته وإما في التهليل له وتحويله إلى صراعات اجتماعية ومذابح طائفية وولاءات سياسية وثقافية . ضمن هذه الحالة من التفتّت ، والتدخل ، والخصوصية ، أُعلن الجنرال الفرنسي «غورو» ولادة «دولة لبنان الكبير» عام ١٩٢٠ بعد اقتطاع مناطق من سوريا وضمها إلى جبل لبنان . وكان من الطبيعي أن يتم ذلك ، وفي إطار المشروع الاستعماري العام ، بعد اعداد طويل كانت ركيزته الأساسية تلك البعثات الدينية التعليمية التي احتل اليسوعيون موقع الريادة فيها ، حيث يتداخل معها ويكملاها دخول رأس المال الأجنبي وسياسة حماية الطواف ودعمها .

### - دخول رأس المال الأجنبي ، مدينة ليون : الاقتصاد والتبشير

إزدادت حاجة فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر إلى خيوط وشرانق الحرير ، فتأسست بين ١٨٤٠ - ١٨٥٠<sup>(\*)</sup> في جبل لبنان ، المأهول بشكل أساسي بالملارنة ، خمس حللات حديثة فرنسيّة ، أو تعمل برأسمال فرنسي ، كذلك دفع ازدياد الطلب الفرنسي لخيوط وشرانق الحرير إلى زيادة المساحة المزروعة توتاً على حساب زراعات أخرى (زيتون - تبغ ، خضار ..) وأدى إلى نوع من شخص زراعي لجبل لبنان ..<sup>(١)</sup> وقد كانت مدينة ليون الفرنسية مركزاً رئيسياً لشراء هذا الحرير ، لذا تقاطرت الأموال الليونية لدعم تلك الصناعة وتوسيع مرفأ بيروت وإقامة سكة الحديد ، وسيطر تجارها على صناعة الحرير السوري من خلال القروض الطويلة الأمد ، وبالإضافة إلى الشبكة

(\*) اي بعد تسع سنوات على مجيء بعثة اليهوديين الثانية عام ١٨٣١ .

(١) chevallier D.«aux origines des troubles agraires libanaise en 1858. Annales (E.S.C) XIV 1959. p.35-64.

ذكره كوثاني المرجع السابق ص ٤٨ .

الصناعية والمالية المتمركزة في ليون ، « كان هناك شبكة اخطبوطية من نوع آخر هي شبكة البعثات التبشيرية والجمعيات الدينية .. وكان للشبكتين تقليد عريق في تنسيق نشاطها ، وهذه احدى السمات الأساسية للشخصية الليونية التي يرتبط فيها الرابع « بعمل الخير » والحياة الدينية بالمصالح المادية ». . وهكذا ، بعد أن ولد طريق الهند - ليون نتيجة متطلبات تجارة الحرير ، أصبحت سوريا ، بالنسبة لهاتين الشبكتين ، أهمية مركزية »<sup>(١)</sup> .

وفي هذا الوقت بالذات ، الحقن بعثة يسوع في سوريا بأقاليم ليون « Province de Lyon الذي كان نشيطاً جداً في فرنسا . هكذا أصبحت ليون « مركزاً لنشاط روحي واقتصادي موجه نحو سوريا ». ووجد التجار « الليونيون » في بيروت نخبة تجارية ذات تعليم فرنسي .. ضمن هذا الإطار أيضاً يمكن أن نفهم : الترابط بين جامعة ليون وجامعة القديس يوسف في بيروت من أجل تطوير التعليم العالي ، وكذلك إنشاء « الجمعية الليونية لتطوير التعليم العالي والتكنولوجيا في الخارج » التي ضمت إلى جانب الجامعيين كبار تجار الحرير »<sup>(٢)</sup> .

كما أدت هذه الأوضاع الاقتصادية الجديدة المرتبطة بفرنسا إلى تعميق أزمة مجتمع الجبل ، « وتحريك التوتر الطائفي الكامن » ذلك أن أغلب التجار الكبار .. المرتبطين بشكل وثيق بالتجارة الأوروبية هم من المسيحيين ، بينما كان أغلب المسلمين يعانون من ذلك ، ولا يرون في الغرب المنافس الدعم أو الأمل الذي يبحث عنه المسيحيون »<sup>(٣)</sup> .

Michel seurat: Le rôle de Lyon dans l'installation du Mandat français en syrie: (1) intérêts Economiques et culturelles, Luttes d'opinion (1915-1925)- in Bulletin d'Etudes Orientales 1980, Volume 31.

(يصدرها المعهد الفرنسي بدمشق ) .

ورد ذكر هذه المقالة في مجلة « المتنبي » الفصلية . العدد الأول ١٩٨٣ - ص ٦٥ - ٦٦ . chevallier D.Lyon et la syrie en 1919. Les bases d'une intervention. in Revue Historique. oct. dec. 1960 p.281. 292. 304.

(٣) إشغاليه| دومينيك . مجتمع جبل لبنان ، المراجع السابق ص ٢٠١ .

## حماية الطوائف وانتشار البعثات

يلخص القنصل الفرنسي Boireé في تقرير رفعه في ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٤١ ، سياسة الدول الأوروبية في « اخترق » الطوائف وتوجيهها بما يتلاءم مع مصالحها ويلبي صراعاتها فيما بينها. يقول: «أن القنصل في بيروت قد تبنوا ذهنية الطوائف في لبنان وسوريا وأصبح كل منهم مصدر الوحي والتوجيه والإرشاد والحماية لطائفة معينة . فكلما حدثت هزة روحية أو اكثار الجو السياسي تتجه انظار العرب الكاثوليك إلى القنصلية الفرنسية . فإليها دون سواها يقصدون طلباً للرأي فأما أن يسمعوا كلام التشجيع وإما أن يزودوا النصيحة بالصبر والتأني . ومثل هذا تفعل الطوائف الأخرى من غير الكاثوليك لدى قنصليتي روسيا وبريطانيا إذ تدق أبوابها طالبة الحماية من مظالم تعلم أن مثلي الباب العالي يدبرونها . وإن لي في غنى عن التأكيد بأنني لا أرسل هذا القول اعتباطاً أو استوحى فيه خيالي . إنه وصف صحيح للحقائق المادية كما تجلت لي . وإذا انحدر شيخ معمم أو غير معمم من قريته الجبلية ودخل بيروت من بابها الجنوبي أو من بابها الشرقي فكل انسان يعرف إلى أي قنصل هو ذاذهب وماذا هو آت ليقول » .<sup>(١)</sup>

في أجواء هذه التحولات الاقتصادية السياسية والتدخل في شؤون الطوائف المحلية انتشرت بعثات التبشير والتعليم اليسوعية لتجعل لتلك التحولات ولذلك التدخل اسساً فكريّة « وجذوراً تاريخية » ، « ففتحت نفوس الأهالي على الأفكار الفرنسية ، وعلى العواطف الفرنسية ، وأصبحوا فرنسيين نوعاً ما .. هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة »<sup>(٢)</sup> .

وهذا التوكيد لتلك السياسة ولدور البعثات فيها يكرره أكثر من مسؤول وقنصل وسفير فرنسي . ولم يقتصر الأمر على فتح نفوس الأهالي على الأفكار

(١) عادل اسماعيل . المرجع السابق ، الجزء الثالث ص ١٣ - ١٤ .

Paul Huvelin-Congrès Français sur la Syrie- Fascicule III. chambre de commerce de Marseille. 1919-p.7.8.

والعواطف» ، بل اتجه التعليم اليسوعي من خلال مدارسه الابتدائية وجامعته فيما بعد إلى إعداد «قادة انسانيين ومستنيرين» من بين عائلات اعيان الموارنة الذين تقيم معهم فرنسا علاقات قديمة أي «تكوين نخبة قادرة على استيعاب سياسة جديدة وتنفيذها بما يتلاءم مع المصالح المسيحية والفرنسية...»<sup>(١)</sup>.

كان لابد وأن يؤدي هذا التعليم بما يصبو إليه ، إلى تعميق الهوة بين الطوائف . أي بين الطوائف المسيحية ، المارونية خصوصاً ، وبين الطوائف الاسلامية التي كانت تتبع عملية إعداد هذه النخبة وتحويلها إلى قيادة ، وما يشكل ذلك من تهديد لوجودها وانتمائها ، دون أن تتمكن من صد ذلك وأحيطه ، نظراً لموازين القوى الجديدة التي كانت في غير صالحها . فلجمات إلى الدفاع السلبي في بادئ الأمر وقطاعت مدارس الارساليات بما هي رمز لل الفكر والثقافة الأجنبية . وتشددت لفترة في التمسك بهويتها الإسلامية العثمانية في وجه الثقافة المسيحية الفرنسية التي بدأت تحول إلى ثقافة غالبة . وحاولت أن تؤسس مدارسها الخاصة . إلا أن ريح أوروبا كانت اعتى وأعنف ، فتقدمت ثقافة المبشرين على مدارس المسلمين . «ولدت فكرة القومية اللبنانية المسيحية . هذه الفكرة التي شجعها الأوساط السياسية والدينية الفرنسية ، ميزت تلك الفترة من تاريخ لبنان»<sup>(٢)</sup> وارتبطت فكرة «القومية» بالدولة «الجديدة» . ونمّت معها وترعرعت في ظلها . وبعد أن كان التعليم تمهد لهما ، بات توكيداً بذورها «الحضارية» « والتاريخية » ، التي تحولت كتبًا مدرسية وقصائد وأناشيد تربى الناشئة على حب «الأم الحنون» التي حملت الجينين وقامت برعايتها خير رعاية .

إلا أن السعي اليسوعي لإنجاز تلك الأهداف لم يكن يسير المنال ، في بادئ الأمر بل واجه بعض العوائق والصعوبات حتى من الموارنة أنفسهم

(١) شفاليه دومينيك . مجتمع جبل لبنان . المرجع السابق ص ٢٦٥ .

(٢) كمال الصليبي . تاريخ لبنان الحديث . دار النهار للنشر . بيروت ١٩٧٨ . ص ١٥٢ .

لكن اليسوعيين تمكنوا بعد جهود مضنية من تجاوزها ، ومن تبنّي أسس العلاقة التي ستحدد مصير التوجّه السياسي والثقافي في الكيان القادم .

فكيف حصل الاتصال الأول بين اليسوعيين والموارنة ؟

## اليسوعيون والموارنة

ما يدعو للستغراب ، إنه رغم الإقرار النهائي لاتحاد الكنيسة المارونية مع روميه عام ١٧٣٦ ، ورغم مساهمة مرسلي الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في لبنان من الفرنسيسكان واليسوعيين وسواهم في الرقابة على الكنيسة وفي إدارة شؤونها<sup>(١)</sup> ، فإن عودة اليسوعيين ثانية في بعثه استهدفت « النضال ضد المبشرين البروتستانت ». و« حماية عقائد الموارنة » ، واعدت فيما بعد « القادة الانسانيين والمستنيرين » لم تتمكن من الانتشار في وسط الموارنة عبر إعلان هذه الأهداف . بل لجأت في بادئ الأمر إلى سبل أخرى لا علاقة لها البتة بما أعلن .

ويبدو أن الخلافات داخل الموارنة التي استمرت حتى ١٨٤٥ ، وتحول الكنيسة المارونية إلى أهم قوة مالية في الجبل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ووقوفها إلى جانب الفلاحين ضد المقاطعية لاضعاف نفوذ العائلات الكبيرة وتأكيد سيطرتها على الطائفة ككل<sup>(٢)</sup> ، لعبت دوراً في بروز موقف غير موحد من اليسوعيين الذين استقبلتهم الأعيان الكبار بينما كان للكنيسة ورجال الدين موقفاً حذراً منهم ، وواجهوهم « بعقلية عشائرية » كما رفض بعضهم الاعتراف للأب Estève الذي كان يدرّسهم<sup>(٣)</sup> .

ضمن هذا الإطار يمكن أن نفهم أيضاً اختلاف الموقف الفرنسي الذي كان يدعم الكنيسة مستفيداً من العلاقات الاقتصادية الجديدة التي نسجها

(١) الصليبي . المرجع السابق ص ٤١ .

(٢) شفاليه ، مجتمع جبل لبنان . المرجع السابق ص ٢٥٦ .

(٣) المرجع نفسه . ص ٢٦٦ .

التجار الفرنسيون في ليون ، عن الموقف اليسوعي الذي تجلّى في سياسة الأب ريللو ، بالدعوة إلى إمارة مسيحية مارونية مستقلة ، خلافاً للمشروع الفرنسي آنذاك . ( وذلك قبل الاتفاق بينهما ) .

لهذا لجأ اليسوعيون إلى عدة سبل تميز بها عملهم في أنحاء العالم كافة . وتمكنوا من تحويل وجودهم إلى حاجة لا يمكن للموارنة التخلّي أو التفكير بالابتعاد عنها ، وجدبوا الموقف الفرنسي ليتصالح معهم ، وذلك كله بعد أن نجحوا في نشر مدارسهم في مختلف مناطق الجبل ، وفي تأسيس المدارس الأكليروكية لأعداد الأكليروس المحلي ... إلا أن ما يتقدّم إلى الأذهان هو : كيف تمكن اليسوعيون من تجاوز الخلاف داخل الموارنة ؟ وكيف استطاعوا النفاذ من نقطة الاحتكاك الأولى مع مجتمع جبلي يجهلون الكثير عن تفاصيل حياته اليومية وعن عاداته وتقاليده ؟

### الطب / الوسيلة :

حول ذلك يحيّب أحد اليسوعيين موضحاً الأمر التالي .

« في بلاد الشرق هذه ، وأكثر من أي مكان آخر ، يعتبر الطبيب شخصاً هاماً . أن تعليمه والاحترام الذي يحيط بهته وحياته الكريمة ، يكسبه ، خصوصاً في القرى ، سلطة معنوية وحجة لا تناقش تمكنه من الدخول إلى أكثر الأماكن انغلاقاً بسبب الدين والتقاليد . أن « الحكيم » Le Sage أي العاقل أو الطبيب ، وهذه الأسماء معانٍ متشابهة في اللغة العربية ، يستطيع أن يمارس تأثيراً حقيقةً »<sup>(١)</sup> .

وتبيّن أهمية هذا الفراغ الذي نفذ منه اليسوعيون ، حين نعلم أنه لم يتأسس حتى سنة ١٨٨٠ سوى كلية للطب . واحدة في القسطنطينية وأخرى حدّيثة العهد في بيروت هي « الكلية السورية الأنجليلية » ( التي أصبحت الجامعة الأميركيّة فيما بعد ) . كما ساهم في تعميق الحاجة للعناية الطبية « انتشار

---

les jésuites en syrie. (1831-1931) Tome II. p.40

(١)

اعراض الكوليرا وظهور مرض الطاعون في بيروت بين عامي ١٨٣١ - ١٨٣٢<sup>(١)</sup> ، أي عشية وصول اليسوعيين .

لهذا كان ثالث اعضاء بعثة اليسوعيين الثانية ، « الأخ هانز » ، من المعرف الطبية ما حل شهرته بعيداً ، خصوصاً عندما عالج الأمير بشير الثاني فكسب بذلك خطوة له ولرفاقه ، وتالت استشارته من كل جانب . ولنفس السبب أيضاً يلح الأب ريكادونا في رسائله إلى الأب العام ، ليبين أهمية الطب كوسيلة تأثير على الجماعات<sup>(\*)</sup> . كما ألحق بالبعثة فيما بعد ، عام ١٨٣٤ ، وبعد إرسال كمية كبيرة من الأدوية المطلوبة ، مرسل يسوعي جديد بصفة طبيب .

هكذا استطاع اليسوعيون بعد أن أمنوا جانب الأمراء والأعيان والعائلات ذات النفوذ ، ومن خلال تلك الخدمات الطبية بشكل أساسي أن يتوجهوا لمختلف فئات الشعب ، ويتجاوزوا إلى حد بعيد كثيراً من العقبات . إلا أنهم لم يقتصروا على هذا الجانب التمهيدي لترسيخ وجودهم بل كان جله همهم « إغواء الشرق بواسطة الشرقيين أنفسهم » .

### إعداد الأكليروس المحلي ومشكلة اللغة :

بلغ اليسوعيون بعد سنوات من العمل المتواصل والدؤوب إلى إعداد « الدعاة المحليين » أملأاً في تشويت مستقبل العمل التبشيري في الشرق ، وسعياً لتجاوز عائق اللغة الذي كان يقلق مرسلיהם ويعرقل صلتهم اليومية بالذين يتوجهون إليهم لأن المبشرين لا يعرفون العربية لغة السكان في هذه المناطق . هذه الحاجة الماسة والمتناهية هؤلاء « الدعاة » يعبر عنها أحد الآباء المسؤولين في دمشق بقوله عام ١٨٦٠ : « لا أكليروس محلي بدون مدرسة أكليركية . ولا

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .

(\*) وقد فكر الأب ريكادونا بارسال بعثة طبية يسوعية إلى الجزيرة العربية لجذب « غير المؤمنين » بواسطة الطب . راجع شفاليه . مجتمع جبل لبنان . المرجع السابق ص ٢٦٢ .

مستقبل للإرساليات في المشرق في غياب الأكليروس المحلي . أن إرسال البعثات مفيد ولا شك ، خاصة وسط هذه الأمم الجاهلة والكسولة . لكن المؤسسة الأوروبية ليست مؤسسة صلبة بشكل كاف لأن جذورها لا يوجد في البلد نفسه . . . والسبب الذي يدعونا لتكوين أكليروس محلي ، هو عينه الذي يدفعنا لاعداد اساتذة محليين أيضاً . إن المعلم أو المعلمة العريبان يستطيعان الذهاب ، وكل بمفرده ، إلى أي قرية . فهما متكيفان مع اللغة ، والمناخ ، والعادات ، والغذاء ، ومع بؤس البلد . كما يكفي الواحد منها مئة فرنك في السنة . . . «<sup>(١)</sup>

لذا ، وتبنياً لمستقبل هذه الإرساليات ، ضم اليسوعيون مساعدين لهم من أهل البلاد . بعد اختيارهم بدقة وعناية « لأن بامكانهم ممارسة نفوذ وتأثير يعجز عنه الآجانب غالباً . لقد كان ذلك تطبيقاً للقاعدة الحكيمية التي طالما نادى بها البابا ليون الثالث عشر وهي اغواء الشرق بواسطة الشرقيين انفسهم »<sup>(٢)</sup> .

وقد تنبه اليسوعيون لخصوصية العادات والتقاليد في هذه البلد « فتهيأوا منذ وصولهم لارتداء الزي المحلي : رئيس حليق ، لحية طويلة ، شريطة ضخمة على الرأس . حفاة الأقدام ، يلف جسمهم حزام عريض تزيشه الخناجر والمسدسات »<sup>(٣)</sup> إلا أن كل ذلك لم يمنع اصطدامهم باللغة . فلم يتمكنوا من تجاهلها أو تغييبها في بادئ الأمر ، فهي ليست ثوب يسهل تبديله ، أو قبعة يلين اعتمارها . إنها إرث الماضي والفكر والحضارة والتاريخ . وهذا ما جعل معاناة اليسوعيين شديدة وصعبة . ولا عجب أن يسقط عليها الأب ريكادونا ، أحد افراد البعثة اليسوعية ، موقفاً « حضارياً » متعالياً ، فيصفها بأنها « لغة حلقية ، يبدو أنها صنعت خصيصاً للجمال »<sup>(٤)</sup> .

(١) شفاليه ، مجتمع جبل لبنان ، المرجع السابق ص ٢٦٧ .

bulletin d'œuvres des écoles d'Orient-1862. p.210-212.

(٢)

les Missions catholiques Françaises au XIX s. p.312.

(٣)

(٤) المرجع السابق ص ٣١٢ .

وتتأكد هذه الصعوبة، ومعاناة المسلمين من اللغة و حاجتهم للاكتليروس المحلي في وصف أحد القنائل لنمط عملهم إذ يقول : « ... يصل الراهب إلى سوريا ، فأظنه عالماً باللاهوت رغم حداة سنه غالباً . يدرس هذا الراهب اللغة العربية . وبعد ستة أشهر يتمكن من القراءة دون أن يفهم شيئاً . ثم يزور بيوتاً مختلفة ليكتسب عادة التحدث بلغة يشكل لفظها حاجزاً لا يمكن تجاوزه . بسهولة وكانت الحاجة ورغبة رؤسائه ، تدفع المرسل لقراءة الأنجليل أمام الناس دون أن يفقه منه شيئاً . وكان يعطي لائحة بجميع الخطايا يحفظها عن ظهر قلب ثم يكلّف بسماع الاعتراف . لكن منطقياً ، ما كان ينبغي القيام بمثل هذا العمل قبل انقضاء عدة سنوات على دراسة اللغة التي يبدو أنها الأكثر صعوبة بالنسبة للأوروبي . ففي اللغة العربية يمكن التعبير عن موضوع واحد بعشرين طريقة . والمرأة التي لا تحمل من الدين إلا القشور يمكنها أن تخدع من تعرف له بسهولة ، فيمنحها المغفرة ، لأنها تقوم بواجباتها ظاهرياً ، أما عملياً فتعيش في الخطيئة .. وهذا السبب أن كهنة البلاد أكثر استعداداً من المسلمين الفرنجة لممارسة الشعائر الدينية مع إخوانهم »<sup>(١)</sup>.

وقد أدت هذه الرغبة اليسوعية في أعداد « الدعاة المحليين » وتعليمهم إلى اكتشاف ما وصفوه بحالة « جهل تامة » عند الموارنة .

### ـ « دونية » الموارنة « وفحص عقائدهم » .

أظهر الرهبان الموارنة حذراً من الآباء اليسوعيين في بداية اتصالهم بهم ، خاصة بعد أن تمكن هؤلاء من التقرب من الأمهات والأعيان والعائلات الكبيرة<sup>(\*)</sup> . إلا أنهم استطاعوا بما بلغوه من أهمية أن يتتجاوزوا هذا الأمر<sup>(٢)</sup> ؛

(١) مرجع سابق ص ١٣٥ . henri Guys. Esquisse de l'Etatpolitique.

(\*) تتضمن احدى الوثائق شكوى رجال الدين في الشام ، إلى البابا بيوس السابع ، من ممارسة الجزوويت الذين « كانوا يضعون أنفسهم فوق رجال الدين المحليين .. » .

راجع نص الوثيقة كاملاً في « وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث » . المرجع السابق رقم ٥٦ - (ص ٢٠٥ - ٢١٧) .

(٢) شفاليه ، المرجع السابق ص ٢٦٦ .

لكن نظرتهم إلى الموارنة ورهاياهم كانت نظرة العالم المتعالي الذي أى إلا أن ينقل الشعوب من « الجهل والتخلف » إلى « الحضارة والمعرفة ». « فاليسوعيون في حالة جهل تامة ، ولا يملكون الموارنة مميزات خاصة يختلفون بها عن غيرهم من العرب الشرقيين » . . . . ويتبع هذا اليسوعي حديثه ، بعد وصفه للقداس والترتيل في كنسية زحلة فيقول : « علينا أن نعمل كثيراً لنعلم العرب النظام ، والنظافة »<sup>(١)</sup> . وكذلك توصف مياتم الفتيات : « علينا أن نعمل كثيراً في كل الاتجاهات . أن عادات النظام ، والنظافة ، واللبس التي لا يعرف البنات عنها أدنى فكرة ، كانت أولى القضايا التي جهدنا في تعليمهن إياها »<sup>(٢)</sup> . حتى القرى تطبق عليها الموصفات عينها « خصوصاً في دير القمر ، فلا أحد يعرف ما هي اللطافة ، ولا الأدب ، ولا المجاملة ، ولا النظافة »<sup>(٣)</sup> .

هذا كله لا يرى اليسوعيون في مسيحيي سوريا عموماً إلا جماعات تتنكر للعلم والثقافة والحضارة « فقد كان يبدو لأول وهلة أن إنشاء مدرسة سيعتبر في قرى سوريا هبة من السماء . . لكن الجهل المتفشي بين مسيحيينا منعهم من إدراك أهمية أن يبذلو ولو جهداً بسيطاً في سبيل الحصول على التعليم . . أن تخدتهم عن المدرسة ، وإن تطلب منهم تصحية بسيطة في سبيل ذلك ، يعني أن تسبب لهم الاضطراب وتزعج نومهم بـ كابوس لا يطاق . حتى الخوارنة ويا للأسف ، ليسوا سوى فلاحين كالآخرين ، جاهلين ، عاجزين عن الرؤية أبعد من الحقل الذي يزرونونه ، أو من المهنة التي يمارسونها »<sup>(٤)</sup> .

ومن الطبيعي ضمن هذا الإطار لا تنجو القيم والتقاليد من التهكم والسخرية والاحتقار : « علينا ألا نعود مسيحيينا الاعتماد على مساعدة أوروبا كحق ثابت . . ومن أجل ذلك كنا نقول لهم : « إن كرمكم أيها السادة ذاتع

bulletin d'œuvres des écoles d'Orient. 1863. p.20

(١).

١٠ - ص ١٨٦٢ - المرجع نفسه.

jullien (R.P.M) La Nouvelle Mission de la Compagnie de jésus en syrie (1831- 1895) Tome I. Paris 1899. p.18.

bulletin... 1862. p.206-208.

(٤)

الصيت . أن يدكم ممدودة للعطاء دائمًا ، ولا تردونها إلا فيما ندر . يجب على كل طفل أن يحضر معه طعام معلمه ، ويكتفي من ثم ثلاثة قرش للثياب ». فيجيبون : « هذا لا شيء ، يا آباءنا ، لا شيء ، إنكم تقدمون لنا خدمة ». ولكن بما أنه لاشيء يلزم العربي في كل هذه الأحاديث ، فقد كنا نقدم لهم بطريقة مبتذلة ، ورقة ليوقعوا عليها . لكنهم كانوا يتمعنون ويقولون : لا داع مثل هذا الأمر ... لم نقنع منهم أبدًا ، وسيقولون عرباً إلى الأبد ... إلا أننا في اليوم التالي جينا البلاد نحمل ورقة ، تمكنا بعد جهد طويل أن نجمع عليها بعض الواقع » ...<sup>(١)</sup>.

يماثل موقف اليسوعيين هذا من الموارنة أو المسيحيين العرب ، على حد تسميتهم لهم ، موقف المستعمر من المستعمر ، الذي يرى دائمًا أعلى مقاماً ، لا تاريخ له ولا فضائل . حاضره جهل ومستقبله ديحور . اللهم إلا إذا ارتبط بثقافة المستعمر و« حضارته ». حينها تتمزق الحجب وتشرق « الأنوار ». « ولا يكتفي المستعمر بأن يؤكّد غياب القيم ، أو عدم وجودها أصلًا في العالم المستعمر ، بل يعلن أنّ البلد غير قابل لاستيعاب القيم . إنه يجب أن نعرف بذلك ، عدو للقيم ، وهو بهذا المعنى شر مطلق »<sup>(٢)</sup>.

هل كان الموارنة يشعرون بهذه الحالة من « الجهل » المتفشية بينهم وبين رهبانهم ؟ وهل كانوا يدركون حقيقة النظرة اليسوعية إليهم وإلى عاداتهم وتقاليدتهم وقيمهم ؟

إن عدم معرفتنا بذلك ، لافتقار الكتابات في هذا الشأن ، لا يغير من أهمية اقتراب الموارنة من اليسوعيين فيما بعد ، واعتبارهم سندًا وعضداً لهم . ويبعد أن « الخطر البروتستانتي » عجل كثيراً في ذلك التقارب أملاً في درء الخطر عن العقيدة . يقول بطريرك دير القمر الماروني ، إلى الأب المسؤول في صيدا : « كنا نكفي سابقاً للمحافظة على إيمان الناس . في ذلك الوقت كان

bulletin... 1862 p.210-212

(١)

fonon. F. Les Damnés de la Terre. Maspero. Paris 1970-p.10.

(٢)

هؤلاء أكثر بساطة ، ولم تكن البدع الغربية قد دخلت إليهم .. نحتاج اليوم إلى مساعدة المرسلين الأوروبيين ... مساعدة لا غنى عنها .. عليهم أن يفعلوا كل شيء لدعم الكاثوليك بهم سوف تضيع البلاد قريباً .<sup>(١)</sup>

هكذا اذن ، وبالاضافة إلى الامكانات المادية الضخمة التي رصدت لاعمالها « استطاعت هذه الارساليات تجاوز الاكليروس الماروني على الصعيد التربوي ، لا بل يمكننا القول أنها استطاعت تذويبه في خطها التربوي العام »<sup>(٢)</sup> .

يمكن ، استناداً إلى ما تقدم إن نلحظ سمتين اساسيتين في نشاط اليسوعيين بشكل عام ، وفي علاقتهم بفرنسا والمارونة بشكل خاص . سمتان تعبران عن مرحلتين مختلفتين تماماً . فال الأولى تعكس مرحلة صراعهم مع الفرنسيين ، وحاجتهم وبالتالي للاقتراب من الناس واكتساب موذهم ، مما دفعهم لنشر مؤسساتهم التعليمية ، وخدماتهم الطبية ، والتزي بزي أهل البلاد ، وقبول عاداتهم رغم ما يحملوه في أنفسهم من احتقار لهذه العادات والتقاليد ، كما كان ذلك أيضاً سبيلاً لمنافسة البعثات الأخرى التي تدعمها فرنسا ، كاللغازاريين على سبيل المثال .

أما السمة الثانية ، فتعتبر عن مرحلة الانقلاب في الموقف اليسوعي بعد تبدل العلاقات مع فرنسا ، واتجاهها نحو التصالح والتقارب . فكان ذلك سبباً رئيساً لتبدل سلوكهم . ومظاهرهم ، وبرامجهم التعليمية وأصبحت الفرنسيبة لغة التدريس الأولى في مدارسهم ولا ترافق مع تبدل اللغة تغير في العادات ، وولي الزمن الذي كان يجبرنا لكي نسافر أن نرتدي الزي العربي ، أو على الأقل زي رهبان الموارنة ، لقد أصبح ثوب الكاهن والقبعة لا يثيران أية حشرية »<sup>(٣)</sup> .

---

jullien- Nouvelle Mission- p.255.

(١)

les Missions Catholiques... p.320

(٢) عيد - المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣)

هذا التبدل كان ايداناً بسعيهم «لتغيير نفوس الطبقات العليا عبر التربية ، أي لقيادة القادة وخلق النخبة»<sup>(١)</sup> .

إذن بين المراحلين الأولى والثانية اتسم الموقف اليسوعي بالانقلاب . فبينما نراهم «يخضعون» لمتطلبات الثقافة في اللغة والزي والعادات في المرحلة الأولى ، إذا بهم يتوجهون نحو فرض اللغة الفرنسية بما هي ثقافة وأفكار وقيم ، في المرحلة الثانية . «ذلك أن الثقافة أكثر اتساعاً وتتنوعاً وتعقideaً من اللغة ، فمادتها أغنى ... لكنهما مترابطتين في الواقع . اللغة جزء من الثقافة ، وهي شرط سابق لوجودها»<sup>(٢)</sup> . هذه العلاقة المتينة بين الثقافة واللغة ، وهذا التداخل بينهما لم يكن خافياً على اليسوعيين أو على الفرنسيين ، فها هم يعترفون « بأنه من غير الممكن أن يتعلم السوريون والموارنة لغتنا دون أن يحملوا بعضاً من تقاليدنا وعاداتنا وينشرون كذلك نفوذنا»<sup>(٣)</sup> .

لذا شهد الرابع الأخير من القرن التاسع عشر تحولاً في السياسة التربوية التي انتهجتها الارساليات الاجنبية ، خاصة اليسوعية منها ، «إذ بدأ التركيز على النخبة الاجتماعية ذات النفوذ السياسي ، وقد تم التخلص بشكل تدريجي عن المناطق الشعبية من ضمن خلفية سياسية تعتبر أن السيطرة على الرأس يمكن من إدارة الجسم بأكمله .. وهلذا يتساءل Jean Mélia :

ما زال يريد اليسوعيون؟ .. إنهم يحاولون بواسطة العلم تحويل نفوس الطبقات العليا من المجتمع ليستطيعوا من خلالها السيطرة على المسيطرین .. . إنهم يخلقون النخبة .. وما زالوا يحضرون للعالم الشرقي مستقبلاً؟ .. »<sup>(٤)</sup> .

Maurice Barrès: Une enquête aux pays du Levant. Paris 1924 p.36. (١)

charles F. in Revue «Politique Etrangère». No5-1971- (Le monde arabe et la culture occidentale) p.589. (٢)

malherbe. R: L'Orient 1718-1845. Histoire Politique Religion. Mœurs. Tome I- (٣) p.6.

. المرجع السابق . ص ٩٤ ذكره عيد ايضاً . ص ٧٥ jean Mélia (٤)

## ملحق وثائق الفصل الثالث

- (١) تأسيس كلية في سوريا وأثرها الإيجابي على مصالح فرنسا . وتلبيتها حاجات المسيحيين . تولى اليسوعيين إدارة هذه الكلية . نشر اللغة الفرنسية يعني خلق نواة متفانية في سبيل فرنسا .
- (٢) مشروع يسوعي لبناء كلية للاطفال في بيروت . قلق فرنسي من النشاط اليسوعي ومن منافسته للبعثات الفرنسية .
- (٣) شك فرنسي في النشاط اليسوعي .
- (٤) دعوة فرنسية لطرد بعثة اليسوعيين من سوريا .
- (٥) حسناًت وسيئات استقرار اليسوعيين في بيروت . المقارنة بينهم وبين العازاريين . ضرورة إبعاد اليسوعيين .
- (٦) توجه اليسوعيين نحو التمسا . تصفيتهم على مهاجمة فرنسا . توسيع مشاريعهم .
- (٧) الخوف الفرنسي من منافسة البعثات الأخرى . تأسيس الكليات لمواجهة النفوذ . أهمية مدينة زحلة مسيحياً . ضرورة تأسيس كلية فيها .
- (٨) استعداد فرنسي للتقارب من اليسوعيين .

- (٩) اصرار فرنسي على جعل اليسوعيين تحت سلطتهم .
- (١٠) اتفاق بين روما وفرنسا حول جمعية يسوع .
- (١١) مدرسة غزير اليسوعية . رغبة اليسوعيين في دعم حكومة الملك . أهمية الكاثوليك في مدينة زحلة . ضرورة تحويل بعثة اليسوعيين إلى بعثة فرنسية .
- (١٢) قدوم بعثة اخوات القديس يوسف . تحذير من النشاط اليسوعي . المؤسسات التعليمية أفضل خدمة للمسيحيين .
- (١٣) نداء فرنسي لوضع حد لمنافسة اليسوعيين .
- (١٤) أهمية سوريا وأهمية المسيحيين فيها لنشر الحضارة الفرنسية من خلال المدارس .
- (١٥) الموارنة أكثر الطوائف استعداداً للعمل مع فرنسا . البعثات تخدم النفوذ الفرنسي .
- (١٦) دعم فرنسا للكاثوليك والظاهر بالحياد .
- (١٧) موارنة لبنان يتlossen حماية فرنسا .

## مراسلات القنصل السياسي

تركيا - بيروت

مجلة رقم (٢)

١٨٤٠ - ١٨٤١

بيروت ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ .

من ج . دي بريتون إلى الوزير غيزو سكريتير الدولة في وزارة الشؤون الخارجية . .... كنت قد قدمت في شهر أيار عام ١٨٤٠ ، إلى حضرة وزير الشؤون الخارجية ، بعض الملاحظات حول انشاء كلية في سوريا . وكانت الموافقة قد قدمت على تصميم المشروع في روما في بداية عام ١٨٣٩ . .... هذه المؤسسة ستؤثر بشكل إيجابي جداً على مصالح فرنسا راهناً ومستقبلاً . لأنها ستلبي حاجة ملحقة لدى المسيحيين ، وستنشر بينهم ، تحت الاشراف الفرنسي ، المعارف الأخلاقية ، والعلمية ، والصناعية . . إن مسيحيي لبنان وسوريا بأكملها يتمنون افتتاح كلية آسيوية لأنهم يشعرون بأنها ستكون نواة انبعاثهم الاجتماعي .

إن رجال الدين الذين سيتولون إدارة هذه الكلية يعرفهم الناس منذ زمن طويل . كما تثق بهم طبقات المجتمع كافة ، ثقة لا حدود لها . فالامراء ورجال الدين ، وحتى الفلاحون يطالبوننا باللحاج أن نباشر في افتتاح هذه الكلية . . أما عدد تلامذتها فلن يكون محدوداً إلا بمقدار حاجتنا المادية . إن شرط تسجيل الاسماء مسبقاً على لوائح القبول يشكل تناقضاً صارخاً مع ضخامة الجهد الذي يبذله مدراء المدارس الأميركية والإنكليزية في القدس وبيروت لزيادة عدد تلامذتهم . . ويجب أن يكون التعليم مجاناً ، وهو شرط لا غنى عنه لنجاحه .

حين نشر في هذا البلد بواسطة اللغة الفرنسية ، التعليم ، والأخلاق ، والفنون المفيدة ، والزراعة ، فإننا سنسيطر على الشعب ، وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت جيش متفان .

وثيقة رقم (١)

## السفارة الفرنسية في بيروت

بيروت ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ .

حضره السفير :

لقد طلب مني المرسلون اليسوعيون في بكفيا أن اساهم في المشروع الذي ينطوي تحقيقه ، وهو بناء كلية في بيروت لتعليم الأطفال ، وتعليم المهن ، والفنون والزراعة .

إن مشروع الآباء اليسوعيون مشروع ضخم . لكنه وللأسف قد يتطلع المؤسسات التربوية الأخرى الموجودة في بيروت . إن مؤسسة اليسوعيين منها كانت ظاهراً ، تحت الحماية الفرنسية ، فإنها فعلياً ليست كذلك . كما أنها جديرة بممارسة نفوذ مباشر على الأهالي قد لا يسير في اتجاه واحد مع نفوذنا .

إن الآباء اليسوعيين مستقلين جداً . وقد أظهروا ذلك بشكل خاص أبان الأحداث الأخيرة . لكن لدى من الأسباب الوجيهة ما يجعلني أقول . . . أنهم يرتضون بأن يكونوا ، ولو مؤقتاً ، وسائل سياسة خارجية ، حتى لو كانت هذه السياسة بروتستانتية ، لكي يصلوا بطريقة غير مباشرة ، إلى ما يعجزون عنه مباشرة .

إن دير الكبوشين الفرنسي هو أقدم مؤسسة تعليمية في بيروت . وهو معد للتعليم الابتدائي ويضم حوالي خمسة عشر طفلاً ، أما المؤسسة التعليمية الثانية ، وهي الاهم ، فلا يزيد عمرها عن ثمان سنوات ، وتضم حوالي خمسين تلميذاً ، وتقع في عينطورة في لبنان . تديرها بعثة العازاريين الفرنسية ، وتدرس فيها لغات ثلاث : العربية ، الفرنسية ، الإيطالية .

إن الكبوشين والعازاريين ينظرون بحزن وقلق إلى التنافس الذي يشتد قرهم ، والذي ستكون أقل نتائجه انتزاع قسم من طلابهم . . . من المفيد أن نضع في اعتبارنا أن الحلول مكان هاتين المؤسستين يدخل ضمن نطاق المشروع العازاري .

التوقيع : دي ميلوا

Dé Mélois.

وثيقة رقم (٢)

## فصلية فرنسا في بيروت

بيروت ١٥ اذار (مارس) ١٨٤١

حضره السفير

... إذا أخذنا بعين الاعتبار ما ي قوله المسؤول اليسوعي ، من .أن مؤسستهم هدفها اعداد الاكليروس العربي فقط ، فإن ذلك لا يشكل عائقاً أمام بنائهما أو تطورها ... أن كلية اليسوعيين المزعومة ل التربية الاكليروس فقط ، لن تكون ضمانة لكلية عينطورة ، لأنه لا يمكن تحديد ميول الطفل مسبقاً .

... ولا داع لأن أضيف أن تعليم اللغة الانكليزية في برامج اليسوعيين يعتبر أيضاً تهديداً مماثلاً لكلية عينطورة ، كما يحمل في الوقت نفسه اساءه رئيسه لنفوذنا الكاثوليكي .

وثيقة رقم (٣)

## قنصلية فرنسا في بيروت

بيروت ٥ تموز (يوليو) ١٨٤١

حضره السفير

سعادة الكونت دي لاتور موبور ، سفير جلالة ملك الفرنسيين

... إن اليسوعيين لا يخفون أن حماية حكومة الملك ، سوف تميل إلى جانب العازاريين . لأن هؤلاء يتلذبون مراكز هامة في سوريا بينما يريد اليسوعيون أن يستقرروا فيها أيضاً ، وينشروا مؤسساتهم ومشاريعهم وتسود جمعيتهم . ابني اتساع ، كيف سيصلون إلى ذلك إذا لم يكن رغماً عنا أو ضدنا ؟

باختصار ، حضره السفير ، ابني اعتقد أن مؤسسات مرسلينا في لبنان والأمال التي تعقدها حكومة الملك على نشاطهم ، ومشاريعهم التي تعتمد عليها لبث نفوذها ، كل ذلك كُن يكون مجدياً طالما سيكون اليسوعيون في بيروت أو حتى في بكفيا .

... وفي كل مرة تعارض فيها مصالح هذه الجماعة مع ما يمكن أن تعتبره مصلحة لنا ، ينفصلون عنا . وأخيراً من المهم أن نزيل من سوريا أو على الأقل من لبنان بعثة معادية للعازاريين ولفرنسا ، تثير الاضطراب في أعمالنا وتشعر دائمًا لشن فاعليتها .

... ليس لدى اليسوعيين اليوم ، حجة منافسة الأميركيين ، لأن الروم الذين يشكل اطفالهم قاعدة هذه المدارس ، قد أسسوا مدرسة خاصة بهم وحرموا على الآهالي ترك اطفالهم بين أيدي البروتستانت .

التوقيع

دي ميلواز

Dé Mélois

وثيقة رقم (٤)

# قصصية فرنسا في بيروت

الإدارة السياسية

رقم ٥٦

بيروت ١٣ تموز (يوليو) ١٨٤٢

حضره الوزير

سعادة السيد غيزو وزير الشؤون الخارجية في باريس .

.... ساحاول أن أشرح بشكل دقيق ما هي الحسنات والسيئات العامة لاستقرار اليسوعيين في بيروت ، وما هي الاضرار التي قد تنجم عن مجاورتهم لكلية عينطورة .

منذ سنة واليسوعيون يقدمون لنا الاعتراضات حول ارتباطهم ... . فهم يعلمون أين تتوقف الثقة التي فنحها لهم . وأن مشاعرهم نحونا لا تستحق المزيد من الارتباط بنا ، وأن الحماية التي نوفرها لهم ولباقي رجال الدين . ليست في نظرهم سوى عقبة أمام جوئهم إلى حماية أخرى .

.... إذا حصلت القطيعة من جانبنا ، فمن الواضح أنهم سيسارعون إلى الاتصال بحلف أكثر تعاطفاً . وإذا كانت الوضعية الحالية لا تفيد شيئاً ، فهي ، برأيي ، أفضل من عملية القطع . إن المؤسسة التي ستبنى في ظل هذه الهيئات لن يكون لها حتماً الطابع الفرنسي للبحث ، كما هو حال المؤسسات الأخرى التي تديرها جمعية القديس لازار St Lazar . ولكن مصالحنا هنا ترتبط بكل ما يمكن أن ينشر الحضارة ، فإذا كانت اليد التي تفعل ذلك غير معادية لنا مباشرة ، فإن مجموع الحسنات يفوق دائماً مجموع السيئات . كان من الممكن أن أفكر بشيء آخر لو أن جمعية العازاريين وحدتها القدرة على متابعة نشاطها الحضاري الذي بدأته ، لكن ميدان العمل واسع ، ووسائلها محدودة .

.... إن مجموعة من المؤسسات ، يديرها فكر واحد ، وتتوحد فيما بينها

من أجل مصلحة الجميع ، ويتولى مسؤوليتها رجال معروفون بولائهم لنا ،  
أفضل بكثير من صراع خفي ومزعج . . . إلا أننا لا نملك الاختيار .

يبدو أن سعادتك تغير قضية إلحاد روما بعض الاممية . والفقرة الاخيرة  
من البرقية التي أجبت عليها ، تبين لي أن المشكلة في نظركم ليست فيما إذا  
كان اليسوعيون سيبقون أم لا ، بل أين وكيف سيتم ذلك .

... إن مسألة الاختيار ليست أمراً صعباً بالنسبة للعرب ، لأنهم لا  
يعبرون التربية شأنهاً كبيراً . وأنا ارى أنه من المؤكد أن العائلات العربية في  
بيروت تفضل مدارس لا تحرمها من أولادها كتلك الواقعة على بعد أربعة  
أميال .

... بالإضافة إلى ذلك تبدو بيروت وكأنها مهيئة ولمدة طويلة لأن تكون  
مركزًا للتحريض ، الذي يبدو أن اليسوعيين على استعداد كبير للانخراط فيه .  
وهذا من الأفضل إبعادهم بحكمة .

التواقيع

بوريه

# قنصلية فرنسا في بيروت

الإدارة السياسية

رقم ٩٢

بيروت ١٧ توز - يوليو - ١٨٤٣

المجلد الرابع ( ١٨٤٣ - ١٨٤٤ )

حضره الوزير

سعادة السيد غيزو ..

لقد علمت أنه تم التغاضي كلياً عن مشروع السماح لليسوعيين بقسم من خان صيدا ، نتيجة رفضهم المطلق للتخلص عن مؤسستهم في بيروت .  
... اعتقد أنه من واجبي أن أنقل لسعادتكم بعض التفاصيل حول الوضع الحالي وما يدور في خلد اليسوعيين في سوريا .

لقد وصلتني شكوى من الانشاءات غير المرخص لها بفرمان ؟ وقد طلب اليسوعيون دعم القنصلية ... إلا أنهم ادركوا أنني لن ادفع عن قضيتهم بقوة .. ولن أساعدهم في متابعة مشاريعهم ؛ فتوجهوا إلى قنصل النمسا العام الذي أجابهم بأنه لا يستطيع التدخل في خلافاتهم مع السلطة المحلية إلا إذا كانت الحماية الفرنسية قد توقفت عنهم نهائياً ... وحاول الآباء من ميزانتيتهم الخاصة ، عبر الاتصالات التي قاموا بها في السراي أن يحولوا الانظار عنهم ويشيدوا البناء ..

... ومنذ أن وصلت الاخبار من روما التي تعلن قطيعة المفاوضات حول خان صيدا ، بدأ اليسوعيون موقفهم مباشرة دون أن يسبق ذلك أي مظاهر عدائية ، ويبدو أنهم صمموا على الهجوم .

وقد وضعت الجمعية في خدمتهم الموارد ورؤوس الاموال التي لا

يُضاهيها ما أعطى لبعثة سوريا . واشتري الاب بلانشيه قصر الامير عبد الله في غزير ، أهم منطقة في كسروان ، وهو يفاوض في الوقت نفسه لشراء بيت مرموق في ضاحية بيروت لأخوات القلب القدس ، المهيئات دون شك ، لمنافسة أخوات المحبة اللوالي بات قدومهن إلى بيروت مؤكداً ووشيكاً .

التوكيع

بوريه

وثيقة رقم (٦)

### جانب قنصل فرنسا في بيروت .

خلف نجاح الدعاية الدينية يسير النفوذ الانكليزي . أن الاميركيين هنا ، وبشكل لا إرادي ، يطلق عليهم الانكليز .

... هناك خصم آخر أكثر عنفاً ، أقى قبل عدة سنوات ليزعزع الكاثوليكية في هذه المناطق . أنه الدعاية الروسية .

... لا يمكننا أن نعمل لنصرة وفائدة هذه الشعوب إلا من خلال إفشال محاولات الجمعية الاميركية ومواجهتها جهداً بجهد ، ومؤسسة مؤسسة ، وأن نعطل وسائلهم بأن نلجم إلى مثلها . من جهة أخرى يجب علينا أن نعمل لوقف تقدم النفوذ الروسي بأن ننمّي حب الدين في نفوس مسيحيينا ، ونطور العقائد والأخلاق ، ونثّن الاواصر التي تربطهم بالعائلة الكاثوليكية الكبيرة .

من أجل هذا الهدف نشأت بعثتنا وكليتنا في بيروت - هذه المدينة ، كما نعلم يا حضرة القنصل ، بمثابة المركز للشياطين الروسي والانكليزي - هذا بالإضافة إلى مؤسستنا في بكفيا وفي زحلة . وقربياً ستفتح في غزير مدرستنا التي ستستقبل طلاباً من جميع الطوائف حيث يُحضرُون للوظائف الكنسية ، ويدرسون العلم ، وفكِّر المحبة والتضحية والاندفاع ، التي ترافق وظيفة الوعظ الراقي .

... إن زحلة قرية كبيرة ، تقع في وسط مسيحي لا يأس به عددياً ، وعدد سكانها حوالي أربعة الآف نسمة جميعهم من المسيحيين . تقع هذه القرية على السفح الشرقي من جبل لبنان مقابل سهول بعلبك الواسعة .. لقد أصبحت أكثر أماكن جبال لبنان أهمية ومركزاً للمسيحية في سوريا .

هناك لا ينافسنا أحد منبعثات الأخرى . فنحن نعمل لوحدهنا داخل المدينة منذ عشر سنوات . وقد اكتفينا لغاية الآن بممارسة الوعظ العادي ، ولكن لكي تصبح بعثتنا أكثر أهمية ، قررنا أن نؤسس كلية في هذه المدينة .

### التوقيع

الاب . ب . بلانشيه

رئيس بعثة الآباء اليسوعيين  
في سوريا

وثيقة رقم (٧)

نحن لا نصر على استدعاء اليسوعيين من سوريا ، ولا على ابعادهم من بيروت والساحل ، ولكن إذا شاءت روما أن تؤمن لهم الحماية الفرنسية ، وهي الحظ الوحيد الباقى لهم ، فيجب أن تضمن لنا ، أن يكونوا على مستوى هذه الحماية ، احساساً وسلوكيّاً .

... أما بالنسبة لنا ، ومع استيائنا من هذا الوضع ، فنحن ورغم كل شيء ، على استعداد لجعل اليسوعيين إلى جانبنا ، بل ومنحهم حماية فرنسا كسائر الرسائليات الكاثوليكية في الشرق . ولكم يتبيّن لنا ، من جوانب عدّة ، بشاعة وخطورة أن نبدو في نظرهم أعداء ظاهرين ، غارس عليهم العنف أو الاضطهاد . نحن على استعداد ، كما ذكرت ، للتسامح معهم في بيروت وحتى لحمايتهم ، لا كيسوعيين ولكن - كمرسلين ورجال دين ، ولكن شرط أن يلتزموا القوانين مع الباب العالى ومع السلطات المحلية ، وأن لا يتآمروا ضدنا ، وأن لا يستخدمو نفوذهم لخدمة قوة أخرى كالنمسا مثلاً ، وأن يقيموا العلاقات الحسنة مع عملائنا . بهذه الشروط ، نحميهم ونشرف عليهم ، وبهذا المعنى كتبت لوزير الملك في القسطنطينية ، ولقنصلنا في بيروت .

غizaro .

وثيقة رقم (٨)

يدعى الاب بلانشيه . . . أن بعثة سوريا أصبحت تحت السلطة المباشرة لمسؤول اليسوعيين في سوريا .

أما بالنسبة للقرار الذي يجعل هذه البعثة تحت سلطة مسؤول اليسوعيين في فرنسا ، فانك ستدرك بسهولة أننا لا نقبل شيئاً كهذا . نحن نقوم بحماية جميع المرسلين الكاثوليك في الشرق دون تمييز بين جمعياتهم وأنظمتهم . ولكن بما أننا لا نعترف باليسوعيين في فرنسا ، فلا يمكن أن نعترف باليسوعيين الفرنسيين في سوريا . . .

غizer و .

وثيقة رقم (٩)

## حول إقامة جمعية يسوع في سوريا

تم الاتفاق مؤخراً في روما بين ابرشية جمع التبشير وبين سفير فرنسا حول مؤسسات جمعية يسوع في بيروت وغزير .

وبناء على هذا الاتفاق تحفظ الجمعية بمؤسساتها وفقاً للشروطين التاليين :

أولاً : لا مدارس داخلية في بيروت ، بل مدارس عامة .

ثانياً : لا يتم استقبال من هم دون الرابعة كأطفال داخليين في غزير ، أي أن تكون مدرستها أكليركية الطابع .

وقد طلبنا موافقة الرئيس العام لجمعية يسوع على ذلك ، ففعل .

يدير هذه المؤسسات في سوريا يسوعيون فرنسيون . وتأمل جمعية يسوع ضمن هذا الوضع ، أن تحظى بحماية الحكومة الفرنسية التي تتمتع بها باقي المؤسسات الكاثوليكية في المشرق .

إن حماية القوة الأوروبية ، أمر ضروري للمرسلين في سوريا للحصول على فرمان من الباب العالي ، أو للحصول على المساعدات التي تتطلبها مؤسسة غزير .

وقد تقبل جناب وزير الشؤون الخارجية ، بكل لطف ، بعض الملاحظات التي تقدم بها الاب أفينيون Avignon من جانب المسؤول العام لجمعية يسوع .

إن الوزير يعلم أيضاً أن قناصل انكلترا والنمسا عرضوا حماية حكوماتهم

على اليسوعيين في سوريا ، إلا أن هؤلاء رفضوا أملًا في حماية فرنسا ، وطنهم الام .

وقد ألحوا في طلب ذلك ، مؤكدين ، بكل صراحة ، أنهم لن يتخلوا عن هذه الحماية إلا مكرهين ، نظراً للحاجة الملحة لدعم قوة أوروبية أخرى .

دون توقيع .

وثيقة رقم (١٠)

١٠٤

# قنصلية فرنسا في بيروت

الادارة السياسية

رقم ٨

بيروت ٢٧ حزيران ١٨٤٤

جانب السيد غيزو وزير الشؤون الخارجية في باريس .

... لقد عبر لي الأب بلانشيه عن احباطه من عدم موافقة حكومة الملك لغاية الآن على الاتفاق الذي تم في روما بين سفير الملك والكردinalين فنسوا ولومبروتشيسي . كما ألح علي أن أعرض المسألة أمام فخامتكم . وقد زرت مؤسسة غزير ومدرسة زحلة لاتتمكن من أن أعرض أمامكم رأياً معقولاً :

تقع غزير على بعد خمس ساعات من بيروت في قلب كسروان . اشتري فيها الآباء اليسوعيون من الأمير عبد الله بناء كبيراً يقع في مكان جيل ، يقومون الآن باصلاحه وتوسيعه . ويمكن تحويله بسهولة إلى مؤسسة متازة . يقطن هذا المنزل اثنان من الآباء اليسوعيين ، ويشرفان فيه على مدرسة أحصيت فيها من خمسين إلى ستين تلميذاً يدرسون العربية والإيطالية . لكن مدرسة غزير ليست هي الهدف الذي يسعى إليه الآباء . فمشروعهم ينص على إنشاء مدرسة اكليركية ، وحتى لا ينافسوا العازاريين فلن يستقبلوا فيها إلا الطلاب الذين انهوا دراستهم في كلية عينطورة ، أي من هم في سن الخامسة عشر تقريباً . أن اكليروس الجبل سيتجدد باستقباله هؤلاء الذين سيملاون حتى المراكز الاسقفية في لبنان فيما بعد .

هذا هو ، حضرة الوزير ، مشروع الآباء ، الذي يبدو أنهم يعلقون عليه أهمية كبيرة . وقد عبر لي الأب بلانشيه عن عدم مقدرته وعدم رغبته في تنفيذه دون دعم حكومة الملك .

لا اعتقاد ، سيدي الوزير ، أن مدرسة اكليركية في غزير يمكنها أن تسيء إلى كلية عينطورة . هذا بالإضافة إلى أن التخصص فيها سيكون مختلفاً .

وحتى العازاريون الذين كلمتهم لم يظهروا خشية من المنافسة . وقد وجد الأب بلاشيه باقفال مدرسة غزير في اليوم الذي تُقبل فيه هذه الانفاقية .

بعد غزير انتقلت إلى زحلة . وهي مدينة صغيرة فيها اربعة آلاف نسمة . تقع على طريق دمشق . وتبعد يوماً عن بيروت وعن عينطورة ، ونصف ساعة عن سهل البقاع . بني فيها اليسوعيون متزلاً يشبه منازل أهلها لكنه لم ينته لغاية الآن . أن المدرسة ليست في رحلة تماماً ، بل في المعلقة ، وهي قرية كبيرة يقطنها الموارنة والكاثوليك *greecs unis* *Mètoulis* والمتاوّله . ولليسوعيين فيها متزلين صغيرين على الطراز المحلي ، وكنيسة صغيرة أيضاً . وقد بدأوا منذ شهر تقريباً العمل في مدارسهم التي أحصيت فيها ثلاثة وخمسين تلميذاً وتلميذة دون سن العاشرة . يتعلم الطلاب الذين يأتون من جميع القرى المجاورة ، العربية . وبعضهم يتّهجاً الإيطالية . وهم من جميع المعتقدات .

وقد فوجئت بطوعية وبهدام هؤلاء الأطفال الذين ينتمون بمعظمهم إلى الطبقة الأكثر فقرًا . واعترف أني تأسفت لرؤيه هذه النفوس الطيبة المحرومة من الثقافة والتعليم الدينين .

إن موقع زحلة هام جداً . فهي في صلة منع لبنان ومع سهل البقاع في وقت واحد . كما أن عدد الكاثوليك *Greecs unis* فيها غير قليل . يجب أن تربطنا بهؤلاء صلة قوية من الناحية الدينية . أما السكان فيها فعاكفون بقوة على التجارة .

... إن التعليم في مؤسسات اليسوعيين في سوريا لا يزال في بداياته . وهم يتتظرون دعم فرنسا ليتمكنوا من تطويره ؛ واعتقد أنهم لن يفعلوا شيئاً هاماً إذا منعنا عنهم هذا الدعم ؛ كما أن لا مبالاة الحكومة الفرنسية تضعف موقعهم في نفوس الناس ؛ لقد اظهر فنصل النمسا كثيراً من التعقل في كلٍ ما يتعلق ب موضوع حمايتهم الدينية ، وإذا وافق الآباء على دعم انكلترا لهم ، كما يلمحون أحياناً إلى ذلك ، فإنهم سيخسرون انفسهم في نظر الأهالي الكاثوليك .

ولا اعتقد ، سيدى الوزير ، أن دعمنا للأباء اليسوعيين سيعود علينا بالمؤازرة نفسها التي نتلقاها من العازاريين . لأن طبيعة جمعيتهم لا تسمح لهم بتضحيه حاسمة ، ولكن يمكنهم أن يقوموا حتىًّا بعمل جيد للاهالي في سوريا . ويكفيانا أن يعرف الناس أن الخير مصدره فرنسا . وذلك سيكون سهلاً إذا تحولت بعثة اليسوعيين في سوريا إلى بعثة فرنسية يرأسها فرنسيين وتتبع لفرنسا ، وقد أكد لي الأب بلانشيه أن هذه هي رغبة الأب المسؤول عن الجمعية .

التوقيع  
أوجين بوجاد .

E. Poujade

وثيقة رقم (١١)

## القنصلية العامة لفرنسا في سوريا

الادارة السياسية رقم (٢٩)

بيروت ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٦ .

سعادة السيد غيزو وزير الشؤون الخارجية في باريس .

أتاني السيد بلانشيه ليخبرني فجأة أن أخوات القديس يوسف قادمات إلى بيروت وهن الآن في مالطة . ولم يكن قد لمح إلى مجئهن قبل ذلك مطلقاً . وسوف يصلن على متن أول سفينة نمساوية بإشراف الأب ريللو . هذا الأب الذي وقف ضدنا عام ١٨٤٠ عندما تحول إلى رجل حرب يقود المسيحيين التمردرين بتواطئ مع العميد نابيه Napier الذي استدعيته سعادتك عام ١٨٤١ .

... إن الانسحاب الخجول أمام الأب ريللو ، وتجاهل استدعائه لأخوات القديس يوسف ، والتفاوض مع روما لاستدعاء القادمين الجدد ، يعني بكل بساطة ، أن ننسحب ونترك جميع فوائد الاحتلال لليسوعيين ...

اعتقد أن هناك أمراً غير مسألة الجنسية Nationalité . هذا الأمر هو سيطرة عملاء القوة الحامية وتحريكهم قبل أن تنتظر ذلك منهم . وأظن ذلك صحيحاً إلى حد ما بالنسبة لمختلف الجمعيات الدينية في سوريا ، خاصة بالنسبة لليسوعيين ، رغم جنسيتهم الفرنسية .

... إن لليسوعيين هنا عليني كبارين : إلغاء العازاريين حيث وجدوا ، والتقدم عليهم أينما أرادوا أن يحلوا . إلا أن العازاريين هم الممثلين الحقيقيين والوحيدين للأكليروس الفرنسي في سوريا . أعدادهم قليلة . يتبعون مهمتهم بتواضع ، وعلى استعداد دائم لتجنب الفضيحة والانسحاب أمام منافسة اليسوعيين العدوانية ، وهم بحاجة ماسة للدعم . أن يسوعيي بعثة لبنان فرنسيين .. لكنهم ينزعجون من قنصليتنا ... وقد أجباني الأب

بلامنشيه بأن له جنسيات ثلاث : يسوعي أولاً ، خوري ثانياً ، وفرنسي ثالثاً .  
هذا النوع من التفكير لا بد وأن يكون موجوداً في مؤسسات التعليم التي  
يشرف عليها اليسوعيون . وبما أنه لا يمكن تولي إدارة هذه المؤسسات فمن  
الضروري أن أعمل لحصر نطاق الأرض التي يمارسون نشاطهم عليها ، ومن  
المهم أن نبعدهم عن بيروت أساساً .

إن كلية عينطورة تقدم كل سنة فوائد ملموسة أكثر فأكثر . ويكتسب  
تلامذها جنسية جديدة ويلتفون حول الحضارة الفرنسية .

... وقد أنشئت مؤخراً في خان صيدا مدرسة فرنسية ... إن  
مؤسسات من هذا النوع هي أفضل خدمة يمكن أن يتلقاها المسيحيون من  
جانبنا .

التوقيع : بوريه .

Bourréé.

وثيقة رقم (١٢)

القنصلية العامة لفرنسا في سوريا  
الإدارة السياسية

رقم ٣ / ٣٠

بيروت، ١٦ كانون الثاني ١٨٤٧.

سعادة السيد غيزو وزير الشؤون الخارجية - باريس .

... لا أعلم لماذا عزم اليسوعيون على تركيز وسائل نشاطهم في سوريا ، في القسم المسيحي من لبنان . وقد تركوا نهائياً القسم المختلط حيث يشكل دعم الاكليروس الروماني ضرورة للأهالي ، وحيث لا تريد السدة البابوية ترك المجال مفتوحاً أمام دعاية الجمعيات التوراتية .

... إن الآباء الكرام يبحثون عن نفوذ خاص بهم ، ويودون انتزاع قسم ما بحوزتنا . وما يتلقوه منا لا يكفيهم . ولا يرضيهم أن يكونوا إلى جانب العازاريين ، والفرنسيسكان ، والكتوشيين ، وباقى الجمعيات الدينية .

... أني أقر حضرتكم أني بأمس الحاجة لوضع حد لهذا الصراع الخفي الذي يقوده ضدنا خوارنه فرنسيون ، يعملون بدأب وصمت ليحلوا محل الاكليروس المحلي الذي ترتكز عليه قوتنا المعنية ونفوذنا السياسي .

التوقيع : بورييه .

- ١٣ - وثيقة رقم

## مراسلات القنصل السياسي

تركيا - بيروت

مجلد رقم (٢) .

إن الامبراطورية العثمانية تتلاشى . لكن سوريا بموقعها الجغرافي بين آسيا الصغرى ومصر ، تعتبر مركز هذه الامبراطورية ، لا بل قلبها . كما تملك في الوقت نفسه إمكانية لإعادة الحياة التي انحسرت عن أطراف هذا الجسم الكبير .

أما أمر ذلك فمنوط بفرنسا ، بأ تو سر وسط الشعب السوري كلية كبيرة دينية ، مدنية ، وزراعية ، يكون هدفها إدخال الحضارة الفرنسية إلى سوريا ، وتعظيم اللغة الفرنسية فيها ، وتأمين هيمنة بلدنا على منطقة خصبة ومنتجة . ومن خلال علاقاتنا المزدوجة ، السياسية والتجارية ، مع هذا البلد ، يمكن أن نجني أكثر العلاقات نفعاً .

إن فرنسا ستتحقق هذا الهدف بسهولة ، لأنها ستجد في سوريا ذلك التعاطف العميق المكتسب منذ زمن طويل ، والذي لا تزال التقاليد الدينية تحافظ عليه رغم مساواه سياستنا .

لقد آن الأوان لفرنسا ، كي تشن مقاومة نبيلة ضد جهود الأمم الأخرى التي تسعى لتنزع منها نفوذها الذي يشع به اسمها في الشرق منذ زمن طويل .

إن اسم « روسي » الذي لم يكن معروفاً في سوريا قبل هذه السنوات الأخيرة ، قد اكتسب فجأة أهمية كبرى من خلال الحماية الفعالة التي قدمتها حكومة سان بطرسبرج إلى إكليروس الروم ، خاصة عندما كانت مصالحها تتعارض مع مصالح الكنيسة الرومانية ، التي كما نعلم ، هي مصالح فرنسية أيضاً .

إن روسيا لم تعتمد على هذه الوسيلة فقط لنشر نفوذها . فقد أرسلت

العديد من الرحالة الذين درسوا البلد ونشروا فيه الكثير من الذهب ، وبالرغم من غياب مصالحها التجارية فقد عينت لنفسها قناصل وعملاء قناصل في مختلف مدن سوريا .

أما إنكلترا فأظهرت نشاطاً أكثر اتساعاً . وحصلت على نتائج كبيرة . وإذا لم يكن ذلك بفضل تعاطف الناس معها ، فهو على الأقل بفضل تجاراتها التي عرفت منذ سبع سنوات اتساعاً ملحوظاً في هذه المنطقة من آسيا . إن الجناح البريطاني الذي كان بالكاد معروفاً على الشاطئ السوري أصبح اليوم أكثر بروزاً ؛ لكنه لم يسع لازدهار البلد ، بل فعل العكس تماماً ، فأخفى ما هو ثمين من ذهب وفضة وحلى . ورفض أن يأخذ مقابل حولة بضائعه الحرير والقطن السوريين . . .

لقد وجه الانكليز أنظارهم نحو سوريا ، فأرسلوا إليها قناصل يشهد لهم بالكفاءة ، بينهم قنصل عام سكن أربع سنوات في دمشق . . . والجهد الكبير الذي بذلناه لمنع دخوله إلى العاصمة ترك أثراً عميقاً في نفوس المسلمين .

إن العيون اليقظة ستلاحظ قريباً أن الوسائل غير الكاملة التي يستعملها السوريون لانتاج الأقمشة تبشر بفوائد كبيرة للصناعة الانكليزية ، فصناعيو مانشستر يقلدون الأقمشة المصنوعة في دمشق وحلب ودير القمر ، ثم يبيعونها بنصف الثمن الذي تباع فيه في بلد انتاجها الأصلي .

... ولكن هل تستطيع فرنسا أن تمنع إنكلترا من إنتاج الأقمشة التي تبيعها إلى سوريا ؟ بالطبع لا . كما أنها لا تستطيع أن تغلق أبواب سوريا ؟ ولكنها تستطيع بث الحياة في السوريين ، بأن تجعلهم صناعيين ، وتتقندهم من الضريبة القاتلة التي يدفعونها لغرباء يرهقونهم ويستغلون بلدتهم كأنه منجم .

إن عدد سكان سوريا يبلغ حوالي مليون وأربعين ألف نسمة . بينهم ثلاثة ألف مسيحي . على هذه الأقلية أن تعيد الحياة للأكثرية التي تعيش بينها . وذلك بأن يُشاد مؤسسة كبيرة تحت حماية فرنسا ، تستقبل أطفال هؤلاء المسيحيين ، وتعلّمهم مجاناً ، وتدربهم لكي يصبحوا حين انخراطهم في

المجتمع رجالاً أخلاقيين ، وصناعيين يتكلمون جميعاً اللغة الفرنسية ، ويدينون لفرنسا بما هم عليه من نعمة .

... إن إنشاء مؤسسة تكون في الوقت نفسه كلية دينية ، ومزرعة نموذجية ، ومدرسة للفنون والمهن ، ليس خرافه ؟ فقد وافق الأب القديس غريغوار السادس عشر على تصميم المشروع وأمر بتنفيذها . والأساتذة حاضرون . أنهم رجال كرام من جمعية يسوع تطوعوا بملء إرادتهم لهذا العمل .. هكذا نجعل من سوريا حليفاً أكثر أهمية من مستعمرة . لأنها ستكون ممتدة لنا دون أي تضحيه في المال والأنفس .

... إذن يجب ألا نناقش مسألة إرسال اليسوعيين إلى سوريا . بل علينا أن نعمل بجعل وجودهم في هذا البلد مفيداً لمصالح فرنسا . على أي حال ، يجب الاعتراف بأن اليسوعيين هم خير العاملين ، والدليل على ذلك أن إنكلترا البروتستانتية تقر لهم به ، وتطلبهم إلى الهند .

ومن بين جميع الجمعيات في آسيا ، لا تشير جمعية يسوع حسد أو شكوك الأكليروس المحلي .

... وينبغي أن نضيف بأن المشروع الذي قدمناه يمكن أن يستكمل بمؤسسة زراعية إلى جانب الكلية المذكورة .

ويعتبر محيط صور ، الأرض الأكثر ملائمة لبناء هاتين المؤسستين ، سواء من حيث الموقع الجغرافي ، أو من حيث التربة الغنية ، أو المياه الوفرة ...

... من غير المعقول ألا نرى ما يمكن أن تقدمه هاتين المؤسستين من خدمات في الوقت القريب للقوة الناشئة لمحمد علي ، وللنفوذ الفرنسي في المشرق .

دون توقيع ودون تاريخ ومن المحتمل أنها  
كتبت بين عامي ١٨٤٠ - ١٨٤٤ نسبة إلى  
وثائق أخرى  
وثيقة رقم - ١٤ -

تركيا - سياسة داخلية .

سوريا - لبنان .

الملف العام . تموز - كانون الأول (يوليو - ديسمبر ) ١٨٩٧

١٠٥ عدد

ملاحظات للوزير : الطوائف الكاثوليكية في سوريا . آب (تموز ) ١٨٩٧

... يمكننا ، بالشدة وبالتكليك ، أن نستخدم اليسوعيين بطريقة مفيدة جداً لتوسيع دائرة نفوذنا .

إن دور أخوان العقيدة المسيحية Fréres de la doctrine المسيحية chrétienne ... يتلخص في طموح وحيد ؛ أن يجعلوا من طلابهم رجالاً لا رهباناً .

أما إخوات المحبة فقد تمكنوا من كسب تعاطف فعلي من المسلمين والمسيحيين نظراً للطابع الانساني الحقيقي لاعمالهم .

إن الموارنة هم دون منازع ، من أكثر الطوائف الشرقية الموحدة ، الذين يمكن أن نعتمد عليهم .. لقد برهن غالبية مطارنتهم عن رغبة في العمل لتطوير التعليم ونشر أفكارنا الفرنسية بين رعيتهم .. نحن نموّل كلية مار مارون (في شمال لبنان) وقرنة شهوان (قرب بيروت) ... إلا أن جميع هذه المؤسسات لا يمكنها أن تنتج بشكل جدي إذا بقيت ادارتها محصورة في أيدي أهالي البلاد .

... يشكل الروم الكاثوليك طائفة شرقية ، ذات مشاعر غير مضمونة نحونا .. وقد عبر بطريركهم واساقفتهم في مناسبات عدّة عن غيرة لا مبرر لها من ارسالياتنا اللاتينية ... أما الكلية البطريركية التي نموّلها في بيروت ، والتي تربى رئيسها في حلقاتنا الدينية في فرنسا ، فهي مخلصة لنا تماماً ...

باختصار ، يمكننا أن نعتبر أن خدمة النفوذ الفرنسي في لبنان تتم بشكل

مفید ، خاصة من جانب الطوائف الدينية الالاتينية ، ووفقاً للترتيب التالي .  
اخوات العقيدة المسيحية ، اليسوعيون ، اخوات المحبة ، سيدات الناصرة ،  
راهبات القديس يوسف - العازاريون .

التواقيع غير واضح

- ١٥ - رقم وثيقة

١١٥

# المراسلات السياسية للقناصل

تركيا - بيروت  
المجلد الرابع

باريس ٢٨ تشرين اول - اكتوبر ١٨٤١

السيد بورييه Boureeé

بيروت .

... لا يسعني الا مباركة النهج الذي اعتمدته اثناء الوضاع الدقيقة التي عشتموها اثر احداث السنة الماضية . لقد ادركتم جيداً أنه مع دعمكم الحازم لقضية الكاثوليك في سوريا ، ينبغي تجنب كل ما يمكن أن يثير حفيظة الآتراك . كما يجب ان نبدو ، قدر الامكان ، في نظرهم ونظر مواطنיהם ، أننا اصدقاء وحمة ووسطاء .

هذا الموقف المزدوج ، الذي يبدو اليوم اكثراً صعوبة منه في عصور خلت ، يجب ان نحافظ عليه بعناية أشد من الماضي لأنه كان المبدأ والقاعدة لنفوذنا في الشرق .

دون توقيع .

. - رقم ١٦ - وثيقة

# المراسلات القنصلية والتجارية

تركيا - بيروت

( مجلد (١) - مكرر )

بيروت ٣١ كانون الثاني - يناير ١٨٣٥

قنصلية فرنسا في

عكا وضواحيها

الادارة التجارية رقم ٨٠

موارنة لبنان يتلمسون حماية فرنسا التي

كان يتمتع بها اجدادهم .

السيد وزير الشؤون الخارجية في باريس .

.... لا يمكنني شخصياً أن أعطي جواباً نهائياً فيها يتعلق بقرار حكومة الملك في حماية الموارنة كما كان الأمر في السابق .

... إذا شاءت سعادتكم إعادة أحياء حماية فرنسا للموارنة ، فسوف يكون لذلك فائدة كبيرة لمصالحنا السياسية والتجارية في سوريا .

التوقيع :

هنري غيز .

- ١٧ - وثيقة رقم



## الفصل الرابع

### التعليم اليسوعي واعداد الخبطة

- المدرسة الابتدائية واسلوب التربية اليسوعي .
- مدارس الفتيات .
- التعليم الثانوي .
- التعليم الجامعي « جامعة القديس يوسف » .
- ملحق الوثائق .



## المدرسة الابتدائية واسلوب التربية اليسوعي :

تمكن اليسوعيون ، حتى قبل الاتفاق مع فرنسا ، من تأسيس عدة مدارس ابتدائية للبنين والبنات ، وبعض المدارس الاكليركية لاعداد الاكليروس المحلي ، توزعت على غزير ، وبكفيا ، تعنائيل ، كسارة وزحلة . وفي عام ١٨٤٦ انشأوا المدرسة الاكليركية المركزية الآسيوية التي ضمت رجال الدين وابناء كبار عائلات الجبل امثال : الخازن ، حبيش ، دحداح ، وخوري . وقد احتفظ اليسوعيون بعدد وافر من المدارس في جبل لبنان ، رغم مغادرتهم لغزير وانتقالهم إلى بيروت عام ١٨٧٥ .

ومع الدعم الفرنسي الذي اعقب الاتفاق الثاني ، ضاعف اليسوعيون مدارسهم الابتدائية في مختلف مناطق لبنان لأن « المدرسة الابتدائية هي افضل الوسائل لتغلغل النفوذ ، وتتفوق في هذا المضمار على الكلية وحتى على الثانوية ، لأنها توجه إلى أكبر قسم من الناس وتدخل إلى الأوساط التي يصعب الوصول إليها . . . . »<sup>(١)</sup> . هذه الأهمية السياسية للمدرسة يؤكّد عليها « هنري غيز » أيضاً الذي يرى « ضرورة تكثيف المدارس في سوريا حتى

---

(١) بول هوفلان . ذكرته Giappesi . المرجع السابق ص ٣٤٧ .

بتمكن جميع الأطفال من القراءة والاستفادة من التعليم الديني والأخلاقي الذي نشره بينهم ولا يزال ينفعهم «<sup>(١)</sup> .

امتد نشاط اليسوعيين التعليمي إلى صيدا وصور وحتى صفد في فلسطين . ومن زحلة تقدموا إلى بعلبك ورأس العين والقانع . اسسوا عام ١٨٧١ ميتم تعنائيل الزراعي ، وفي عام ١٨٧٥ كان هم مدارس في جبل لبنان شملت حوالي ثلاثين منطقة وقرية<sup>(٢)</sup> . وقد كان لتعاليم « ليولا » مؤسس جمعية يسوع أثره البارز في التشدد على مدارس الأطفال والاعتناء بهم وتربيتهم « تربية مسيحية جيدة » ، لأنه يرى :

- ان كل ما كان جذراً كان له قوة كبيرة .
- ان كل ما كان لدينا ، كان لديه الاستعداد للتطويع .
- وان التقليد والعادة لها دائمًا تأثيراً قوياً .

ولذلك يجب أن يبقى الطفل أطول مدة ممكنة تحت رعاية الآباء وفقاً لمبادئ ثلاثة تنظم العلاقة بينها :

- ١ - مبدأ السلطة : التي تمارس أبوياً باسم الله .
- ٢ - مبدأ التكيف : الذي يعتمد على تمييز قدرات كل طفل .
- ٣ - مبدأ النشاط : الذي يرفض طريقة التبشير أو الوعظ التي تؤدي إلى سلبية المستمعين<sup>(٣)</sup> .

والهدف من كل ذلك دفع الطفل « نحو الحقيقة » . عبر تشجيعه ، ومراقبة تاريته ، والتأثير الشخصي عليه . هذه الصلة التوجيهية « الروحية » لم تلغ العقاب ، كطريقة للعلاج أيضاً ، الذي يتراوح من النقد المعنوي أمام الآخرين ، إلى الضرب والعقوبة المادية ، وصولاً إلى الطرد<sup>(\*)</sup> .

(١) مرجع سابق ص ١٣٦ . . . henri Guys Esquesse revue « Histoire des Missions » Tome III. 1926. p.22-25

(٢) charmot. F.sj: La pédagogie des jésuites. paris 1951. p.163.

(٣) (\*) تشير بعض الروايات إلى استخدام اليسوعيين للعقاب الجسدي بشكل قاس وعنيف يصل أحياناً

وقد عرف اليسوعيون مرحلتين في تنظيم العمل المدرسي : تبدأ الأولى مع بدايات ظهور الجمعية وتنتهي مع قرار الغائها عام ١٧٧٣ . في هذه الفترة لم تعرف مدارسهم نظاماً داخلياً معيناً ، فالתלמיד يمتنعون خارج الصف بحرية كبيرة ، لا تسمح بمراقبتهم والشراف عليهم بشكل متواصل . اما المرحلة الثانية فتبدأ مع استئناف نشاط الجمعة عام ١٨١٤ . ويبدو أن ذلك الانقطاع الطويل كان حافزاً لتنظيم التعليم على أسس متينة ، يسمح لهم « باعداد التلميذ اعداداً شاملأا للحياة » كما يرغبون . فقد قسم الجسم التعليمي الى مدير ونظار واساتذة ، يتلذون قدرة عالية على الاعداد الاخلاقي ، ويتبعون تلاميذهم خارج اوقات التعليم ، بحيث يجعلون من المدرسة عالماً صغيراً قائماً بذاته <sup>(١)</sup> .

وتؤكد تعاليم « ليولا » على أن يكون التعليم اخلاقياً قبل كل شيء . لذا دعت الى غرس العقيدة الدينية في قلوب الاطفال قبل تعرفهم على العلوم الانسانية ، لأن التعليم ليس سوى وسيلة ، « وكما أن هدف المعارف التي نكتسبها في الجمعية أن تكون ، بعون الله ، نافعة للذات والآخر ، سيكون ذلك أيضاً القاعدة والمقياس لاختيار الدراسات لاطفالنا ، ومدى الزامهم بتطبيقها <sup>(٢)</sup> .

وقد ترك التنظيم الديني الداخلي للجمعية بصماته على مؤسسات اليسوعيين التعليمية ، التي اتسم الانضباط فيها بالصرامة والشدة والراتب « لأن الطاعة شرط ضروري للتلامذة الدينين .. ولدى اليسوعي شعور ثابت بأنه يتمي إلى مجتمع متراقب بقوة . فهو يتبع مسؤوله المباشر بدقة ، كما يمارس سلطته دون كلل على مرؤوسه . ان الانضباط يخلق لدى التلميذ عادات الدقة

الى حد جلد الطالب المخالف . راجع كتاب :  
la Flagellation chez les jésuites (Mémoires historiques). éditeur: H.Daragon.  
Paris 1912.

Bermoville Gaetan: Les jésuites. Paris 1934. p.274-275. <sup>(1)</sup>

Histoire de la compagnie de jesus. Tome 4-Paris 1859. p.160 <sup>(2)</sup>

النظام . أنه تعبير عن ارادة الله «<sup>(١)</sup> . وهذا ما يعبر عنه أحد الآباء في وصفه لأنضباط الطلاب وترتيبهم امام مسؤول البعثة في لبنان عام ١٨٦٠ ، بقوله : « كنت بالقرب من مسؤول البعثة مع الأب ريكادونا . ينتصب الشباب والبنات صفوأً متلاصقة . انهم نخبة الشعب .. وتم سؤالهم بحضورى . فتقدمو واحداً تلو الآخر . ووفقاً للتقليد المتبع كانوا يجثون على ركبتهم امامي ويسمعون درسهم وهم على هذا الشكل »<sup>(٢)</sup> .

ولم يبلغ الخضوع للنظام ومستوى الانضباط في أي جمعية دينية ما بلغة في جمعية يسوع نظراً لاعتماده أولاً ، على الاتصال الشخصي والتوافر بين التلميذ والمربي . « إذ لا تربية صحيحة دون هذا الاتصال ، ولا ينبغي ترك الطفل لوحده باديء الأمر مطلقاً .. لذا كان المراقب يلاحقه دائمًا ، في الكنيسة ، في الصف ، في الملعب ، في الحي » . وثانياً ، اعتقاد مبدأ المنافسة بين الطلاب<sup>(٣)</sup> وقد سمح هذا النظام الذي اعتمدته اليسوعيون بايجاد قاسم مشترك بين جميع مؤسساتهم التعليمية في مختلف البلدان التي وصلوا إليها ، خاصة في اهتمامهم بالطفولة وتركيزهم عليها . ففي لبنان ، مثلاً ، يقترح احد الآباء « الحصول » على الأطفال لتحقيق ما لم ينجيز مع الكبار فيقول : « أن أهالي زحلة يرفضون رفضاً تاماً أن يكونوا من اتباعنا ؛ لأننا لم نواجه مثل هذه الصعوبة في أي مكان آخر . لكننا عاجلاً أم آجلاً سنحصل على الأطفال الأكثر ليونة من أهاليهم ... هذه المخلوقات البريئة تؤثر عليها الحقيقة بسهولة أكثر ... »<sup>(٤)</sup> . لكن طريقة التعليم لم تكن تختلف من حيث الشكل عمّا كانت عليه في الكتاتيب الاهلية ، فيصفها احد الآباء بقوله :

Schimberg: L'education morale dans les collèges de la cie de jesus en France (١) sous l'ancien régime (XVI, XVII, XVIII<sup>s</sup>) Paris 1913- p.163.

bulletin d'œuvres des écoles d'orient. 1862- p.125. (٢)

Durkeim: Evolution de la pensée pédagogique en France. PUF. p.267-299. (٣)

bulletin d'œuvres des Ecoles d'Orient 1874-1876 p.241. (٤)

« تتطلب الطريقة التي تتبعها في التعليم كثيراً من الصبر ، يفوق التركيز على الفكر . وتعتمد على أن يردد التلميذ في وقت واحد الكلمة التي يلقيها عليهم الاستاذ . . . ويذكر ذلك مراراً مع كل كلمة جديدة إلى أن يتم حفظه . ويقطع الدرس من حين لآخر استاذ شاب ، ليسأل التلاميذ عما حفظوه . . . وإذا حصل وردد أحد التلاميذ درسه دون اخطاء ، يرسله المعلم إلى الرئيس الذي يستمع إليه مرة ثانية ، فإذا نجح في اداء ما حفظه بشكل جيد ، يتم ترقيعه إلى وحدة دراسية أعلى من التي كان فيها . . . هذه الطريقة تسمح لاطفال لا يعرفون مبادئ القراءة ، أن يتعرفوا على العقيدة المسيحية »<sup>(١)</sup> .

### مدارس الفتيات :

لجا اليسوعيون ، إلى جانب مدارس الفتيان التي أسسواها ، إلى إنشاء مركزين نسائيين باسم اخوات مرريم في بكفيا ، وانحوات القلب المقدس في زحلة . ثم أرسلوا في طلب اخوات مار يوسف الظهور اللواثي وصلن إلى لبنان عام ١٨٤٧ . إلا أن الموقف الفرنسي المعارض لليسوعيين آنذاك منعهم من ممارسة نشاطهن ، فاضطربن لغادرة بيروت ، ولم يعودن إليها إلا بعد الاتفاق . وعلى خطى اليسوعيين بدأت بعثة « الاخوات » بإنشاء المدارس والمليات والمدارس الداخلية في بيروت وصيدا وحلب ودير القمر وصور وغيرها من المناطق لتعليم الموارنة بشكل اساسي ومنافسة البعثات البروتستانتية .

فمدرسة صيدا مثلاً « تنبع أهميتها من وجودها المناهض للبعثات البروتستانتية النشطة خصوصاً في تلك المنطقة . . . كذلك مدرسة دير القمر ، هي الوحيدة التي تدرس اللغة الفرنسية في منطقة هامة تكتظ بالموارنة ، وحيث يقوم الانكليز بدعاية ضخمة »<sup>(٢)</sup> . هذا الاستقطاب للموارنة تؤكده احدى اخوات البعثة بقولها : « أتت نساء مختلف القنائل لرؤيتنا ، وأبدت كل

bulletin d'œuvres... 1863-p.18.

(١)

villenenve (٢) . . . المرجع السابق . ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

واحدة منهن اعجاها بتقدم تلميذاتنا العزيزات . . . كان الصف يضم عام ١٨٧٤ مئة تلميذة مارونية<sup>(١)</sup> . وكذلك جدول المدارس المسيحية التي تشرف عليها اخوات مريم ويسوع في مختلف المناطق اللبنانية المسيحية بين ١٨٥٣ و ١٩٣١ . ( عين ابل ، البترون ، بيت شباب ، بكفيا ، بكسين ، قرنة شهوان ، الدامور ، جزين ، غزير ، حمان ، حاريصا ، زحلة ، جونيه ، وغيرها . . . ) التي ضمت اغلبية مارونية واضحة قياساً إلى الارشوذكس والكاثوليك فيها<sup>(٢)</sup> . وفي تواريخ لاحقة بين ١٩٢٤ و ١٩٢٥ يؤكّد Levenq على كثافة انتشار مراكز اخوات يسوع ومريم في لبنان الكبير قياساً إلى مناطق سوريا الأخرى ، حيث بلغت ثلاثين بيتاً ، بينما لم تتجاوز السبعة بيوت في المناطق الباقية<sup>(٣)</sup> . كذلك فعل Piolet في مجلة تاريخ البعثات ، ملاحظاً أن عدد مدارس اليسوعيين في بعض المناطق اللبنانية ( بكفيا ، غزير ، زحلة ، وعين ابل . . . أي المناطق المسيحية ) يفوق عدة مرات المدارس في مناطق سوريا ( حلب ، دمشق وغيرها )<sup>(٤)</sup> . ويبدو واصحاً أن أسباب هذا التمركز الشديد في المناطق اللبنانية ، تعود لكثافة الوجود المسيحي الماروني فيها ، قياساً إلى المناطق السورية الأخرى التي انتشرت فيها البعثات اليسوعية .

### التعليم الثانوي :

تعود بدايات هذا التعليم إلى الحلقة الاكليركية في غزير التي اعدّها اليسوعيون لتكوين الاكليروس المحلي ، حيث أعطيت الدروس باللاتينية ، الإيطالية ، الفرنسية ، العربية ، والتركية . . . قبل أن تصبح الفرنسية لغتها الرئيسة أثر زيارة الأب Maillard مسؤول إقليم ليون ، « الذي اطلع على

luce Camuzet: L'œuvre en syrie des sœurs de st. j de l'apparition. Paris 1931- (١)  
p.30-31.

les jésuites en syrie. fascicule XI-p.33. (٢)

. المرجع السابق ، ص ٥٣ levenq (٣)

piolet: Revue d'histoire des Missions. tome III. 1926. p.63. (٤)

أوضاع هذه المؤسسة الاكليركية .. التي يشكل الموارنة اغلبية طلابها . . . وأمر أن تحل الفرنسية مكان الايطالية في التعليم ، وفي الاستعمال اليومي أيضاً . وقد تم تنفيذ هذا الأمر في السنة التالية ، في الوقت الذي ضُمَّ إلى هذه الحلقة الدراسية قسم للطلاب العلمانيين «<sup>(١)</sup>».

وقد تحول التعليم في هذا الحلقة ، تدريجياً ، إلى تعليم يغلب عليه الطابع العلماني أثر تضاعف عدد الطلاب المسجلين في هذه الدراسات . ففي سنة ١٨٤٣ انشأ الآباء حلقة اكليركية لجميع الطوائف لاعداد الاكليركيين المحلي . وفي ١٨٤٩ بدأوا باستقبال الطلاب العلمانيين ، وخصصوا قسماً لدراسة الفرنسية . وفي ١٨٥٥ أضيفت كلية أخرى إلى الحلقة ، وبعد أربع سنوات أصبح الطلاب العلمانيين أكثر عدداً من الطلاب الاكليركيين .

كان ذلك إيذاناً بتضاؤل الاعتماد على فكرة الاكليروس المحلي ، خاصة وأن « الدعایات المضادة » التي يبيتها الوجود البروتستانتي ، الكثيف في بيروت بعد تأسيس « الكلية السورية الانجليزية » فيها ، باتت تهدد نشاط اليسوعيين ، الذين نقلوا حلقتهم الدراسية من غizer إلى بيروت عام ١٨٧٥ التي أصبحت مركزاً تجاريًّا هاماً بعيداً عن الصراعات والمذاييع الطائفية التي عصفت بالجبل . وقد اتسعت رغبة اليسوعيين « لانشاء مؤسسة كبيرة للدراسات الثانوية والعليا بجميع فروعها لتواجه البرتستانط الذين يهددون الایمان المسيحي التقليدي لسيحيي جبل لبنان . . . وأن تجذب إليها جميع الكاثوليك ، حتى المشقين منهم ، وكذلك المسلمين »<sup>(٢)</sup> . إلا أن هذه الرغبة اصطدمت بمعارضة الحكومة الفرنسية التي رفضت تمويل المشروع رغم اتفاقها مع اليسوعيين ، فلجاً هؤلاء إلى « وسائلهم الخاصة » لجمع المال . « . . . فسافر الأب Linnott إلى أميركا ، . . . وتم جمع المال اللازم عام ١٨٧٥ . . . وتأسست الكلية »<sup>(٣)</sup> ، التي

(١) مرجع سابق : julien-Nouvelle Mission. tome I. p.152.

louis jalabert: La conquête missionnaire par l'influence intellectuelle. in Revue d'histoire des Missions. No I 1931- p.326.

(٢) مرجع سابق : les jésuites en syrie. Séminaire Oriental tome I. p.10.

أصبحت أساساً لتعليم ثانوي تطور طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى بدايات الانتداب ، وقسم إلى أربع مراحل :

١ - التعليم الثانوي الكلاسيكي .

٢ - التعليم الثانوي الخاص .

٣ - الدروس التحضيرية للكلليات العليا .

٤ - الصفوف التمهيدية .

١ - يتضمن التعليم الثانوي الكلاسيكي دراسة الفرنسيّة ، العربية ، الانكليزية ، التاريخ ، الجغرافيا ، الرياضيات ، الفيزياء ، والعلوم الطبيعية والفلسفية . يتقدم الطلاب في نهاية العام الدراسي للدورقى البكالوريا الفرنسية ( فلسفة - آداب وفلسفة - رياضيات ) . وتعين المفوضية الفرنسية مسؤولة الامتحانات التي يشرف عليها جامعيون من فرنسا .. كما يتطابق برنامج التعليم فيها مع برنامج التعليم الفرنسي .

٢ - تقترب مواد التعليم الخاص من مواد التعليم الكلاسيكي . ويسمح نطلابه بالتقدم إلى امتحانات البكالوريا اللبنانيّة بفرعيها الأدبي والعلمي . كما يمكن الذين أنهوا دراستهم بنجاح ، ولم يتقدموا للامتحانات اللبنانيّة ، من الحصول على إفادة من الجامعة اليسوعيّة . يفرد التعليم الخاص مكاناً بارزاً للغات ، خاصة الفرنسيّة والعربية منها . إذ يشرف عليها أستاذ خاص ؛ كما أن هناك اكاديميات لدراسة قواعد اللغة والأدب تتضمّن أفضل تلامذة الصفوف العليا الذين يرغبون في تعميق دراستهم في الفرنسيّة أو العربية أو اللاتينيّة .

٣ - تخصص الدروس التحضيرية للذين لم يتمكنوا من متابعة دراستهم . وتهلهلهم للتقدم من امتحانات القبول في كليات الطب والصيدلة والحقوق والهندسة الفرنسية . ومدة الدراسة فيها سنة واحدة .

٤ - أما الصفوف التمهيدية فهي السنوات الابتدائية الأربع . وتضم عدة أقسام . يشرف على قسم الصغار فيها اخوات يسوع ومريم .

وتستقبل كلية غزير طلاباً داخليين ونصف داخلين أيضاً . ويتراوح سن

القبول بين الثامنة والثامنة عشرة . وقد تضاعف عدد طلاب الكلية حوالي ثلاثة مرات منذ انتقالها إلى بيروت وحتى بدايات الانتداب الفرنسي . . .

إذ ارتفع بين ١٨٧٥ و ١٩٢٤ من ٢٧٦ إلى ٧٣٥ طالباً . كان نصفهم تقريباً من الموارنة والنصف الآخر من جميع الطوائف المسيحية<sup>(١)</sup> . وقد حقق اليسوعيون في مجال التعليم الابتدائي والثانوي تفوقاً ملحوظاً على سائر الارساليات البروتستانتية والفرنسية على حد سواء . أما التعليم الجامعي اليسوعي فكان يواجه عقدة الجامعة الاميركية التي تأسست قبل سنوات من مشروعهم المماثل .

## التعليم الجامعي

### « جامعة القديس يوسف » .

أبصرت « جامعة القديس يوسف » النور ، بعدما وافقت الحكومة الفرنسية على المشروع الذي تقدم به اليسوعيون بهذا الشأن عام ١٨٨٣ . وقد تم الاتفاق على افتتاحها ابتداءً بكلية طب فرنسية ، « لأن كلية القديس يوسف الثانوية » لا يمكن أن تواجه نفوذ المؤسسات التعليمية للبعثة البروتستانتية الاميركية . كما لا يمكن مواجهة هذا النفوذ إلا بجامعة حقيقة . هذا بالإضافة إلى أن تلك الجامعة تفتح مجالات للعمل من خلال الطب ، والحقوق ، والدراسات العلمية للشبان الذين يتخرجون منها<sup>(٢)</sup> .

## كلية الطب :

لم تقتصر أهداف إنشاء جامعة القديس يوسف وافتتاحها بكلية للطب ، على مواجهة النفوذ البروتستانتي المنافس فقط ، بل كانت الرغبة الفرنسية في بسط النفوذ وتطهير العقول ، حافزاً هاماً من حواجز ولادتها . « لأن الشبان

(١) مرجع سابق : revue d'histoire des Missions. tome III. p.67.

(٢) المرجع نفسه . ص ٦١ .

ذوي الثقافة الثانوية الفرنسية ، سيتابعون لمدة ست سنوات دراسة كلمات تقنية تفرض عليهم معرفة عميقة إلى حد ما بلغتنا . هؤلاء الشبان سيتكلمون الفرنسية أيضاً فيها بينهم . . . لكن اللغة معبر للأفكار . فالنظام الطبي سوف يعلمهم بقوة الأشياء ، ويغرس في عقولهم طريقة فرنسية في الحديث والتفكير . . . أن المواد الدراسية ، في الصيدلة ، والأمراض والعلاج ، توجههم نحو الطائق ، والأدوية ، والكتب ، والوسائل الفرنسية ، وإلى فرنسا حتى سيدهب معظمهم للتخصص <sup>(\*)</sup> <sup>(١)</sup> . ويعبر السفير الفرنسي في القدسية عن ذلك أيضاً . بشكل أكثر وضوحاً : فيشيد ب Gambetta وبالكاردينال Lavigerie صاحبا فكرة الكلية اللذان أرادا « إيجاد مدرسة فرنسية في سوريا يؤمها شبان البلد من أجل العلوم الطبية ، والتعمق في دراسة لغتنا ، كي يتشاروا فيها بعد في انحاء الشرق كافة كاصدقاء لنفسنا وحضارتنا . . . » <sup>(٢)</sup> .

سار تطور الكلية ببطء ، لأن الباب العالي رفض الاعتراف بصلاحية الدبلوم الذي تمنحه ، وفرض على الأطباء التخرجين فحصاً يسمى « كولوكيوم » ، يجري في القدسية ، يمنع الناجحون حق ممارسة المهنة في تركيا . ولأن الحكومة الفرنسية أيضاً لم تضف الصفة الرسمية على الكلية إلا

(١) مرجع سابق : les jésuites en syrie , tome II. p.41

(\*) لم يكن التعليم كوسيلة لاعداد عقول فرنسية يختص بفرنسا وحدها . بل كان ذلك أسلوبنا عاماً مارسته القوى الأوروبية الاستعمارية المختلفة في البلدان التي حلت فيها ، خاصة الإسلامية منها . ضمن هذا الاطار انشأ كرومر في مصر « كلية فكتوريا » التي قال عن طلابها اللورد لويد مثل بريطانيا في مصر سنة ١٩٣٦ : « كل هؤلاء لا يرضي عليهم وقت طويل حتى يتبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل الصلة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ ، فيصيروا قادرين على أن يفهموا إساليبنا ويعطفوا عليها . . . ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف عنها في الماضي ، يتباهى الآباء إلى أن تعليم أولادهم فيها ينمّي فيهم من الشعور الانكليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والعربي . . . » . ذكره د. محمد محمد حسين في كتابه : الإسلام والحضارة الغربية . مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٩٨١ ص ٤٦ .

(٢) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة من سفير فرنسا في القدسية إلى وزير الشؤون الخارجية . في ١٨ أكتوبر (ت) ١٨٩٨ .

عام ١٨٨٥<sup>(\*)</sup> ؛ وبعد ذلك « اصبح التنظيم المادي للكلية يتم في بيروت ، بينما تصاغ البرامج والقوانين في فرنسا » .

تولى اليسوعيون ادارة الكلية . وتولت الحكومة الفرنسية الاشراف المالي عليها ، وارسال الهيئة التعليمية من فرنسا . فكانت تزور الكلية كل سنة لجنة فرنسية للتدقيق في الامتحانات والدبلومات . وقد ثبتت صياغة شروط معينة لقبول الطلاب « في هذه الكلية البيروتية التي تمثل النموذج الباهر لما يمكن أن يتحقق التعاون الوثيق بين السلطات العامة والمرسلين »<sup>(١)</sup> فما هي هذه الشروط التي أثارت استياء السفير الفرنسي واعترافه ؟ :

« يُقبل في كلية الطب الشرقيون وال الأوروبيون المولودون في الشرق الذين استقرت عائلاتهم هناك نهائياً . وعلى من يرغب الالتحاق بها أن يكون حائزًا على البكالوريا الفرنسية . أما من لم تتوفر فيه هذه الشروط فيخضع لامتحان أمام لجنة يعينها ويرأسها مندوب من المفوضية الفرنسية العليا . جميع التلاميذ خارجيون . والتدرис باللغة الفرنسية »<sup>(٢)</sup> . أدت هذه الشروط القاسية إلى تقلص عدد الطلاب . فكتب السفير الفرنسي ، إلى مسؤوليه يحتاج على ذلك قائلاً : « أن الهدف السياسي الذي وضعناه لأنفسنا يتراجع اليوم أمام ما يزعمونه من فوائد علمية »<sup>(٣)</sup> .

أما بالنسبة للأب اليسوعي « جولييان » فقد حققت هذه الكلية ، فيما بعد ، اهدافها لأنها « أضعف المدرسة البروتستانتية ، وقاومت ببطولة النفوذ الذي حاولت هذه الأخيرة نشره من خلال المهرطقة أو اللامبالاة الدينية ؛ كما قدمت للبلاد الأطباء الأهليين المثقفين بالشكل الملائم وغالبيتهم من المسيحيين المترافقين الذين يعرفون كيف يستفيدون من ثقة زبائنهم ليوجهونهم نحو

(\*) حول الخلافات بين اليسوعيين والبابا العالى وفرنسا بشأن كلية الطب ، يراجع ملحق الوثائق . les jésuites en syrie fascicule II. p.8

(1) مرجع سابق : revue d'histoire des Missions. tome III. p.323

(2) مرجع سابق :

(3) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة بتاريخ ١٨٨٩ ت، (اكتوبر) ١٨٨٩ .

الأفضل ، وقد قدموا خدمات جلٍ للمرسلين في مؤسساتهم الخيرية . . . . »<sup>(١)</sup>

في عام ١٨٨٩ أُلحق بكلية الطب كلية الصيدلة . ومنذ ذلك الحين الغي التمييز بين الدبلوم الفرنسي وبين الدبلوم المعطى في بيروت . كما أُلحقت كلية الطب في بيروت بكلية الطب في ليون واتبعت ماليًا للمساعدات الحكومية . وهكذا غدت مع كلية الصيدلة « أرضنا رائعة للتوسيع الفرنسي . تخرج منها حوالي ٥٣٥ طبياً ، يحملون الدبلوم الفرنسي ، ويشرون بنفوذنا ، وبفعالية طرائقنا العلمية لا في سوريا فقط ، بل في الامبراطورية العثمانية باسرها ، وحتى في فارس ومصر . . . . »<sup>(٢)</sup>

استمر توسيع الجامعة في فترات متلاحقة ، واضيف إليها عدة قروع . واحد للهندسة وأخر للحقوق عام ١٩١٣ . وقد تأسس هذان الفرعان أثر دراسة قام بها في سوريا بول هوفلان ، استاذ كلية الحقوق في ليون ، و Rigollot ، مدير مدرسة ليون المركزية ، وعمدا دعماً لهذه المبادرة إلى إنشاء « الجمعية الليونية لتطوير التعليم العالي والتكنى في الخارج » التي ضمت إلى جانب الجامعيين بعض رجال الأعمال ، خاصة تجارة الحرير الكبار ، امثال Morel E. ، و Louis Guerier . فكان من أبرز جهودهم ايجاد مدرسة الحقوق في بيروت . التي أشرف اليسوعيون على تنظيم التعليم فيها ، بينما اشرفت جامعة ليون على البرامج والدبلومات<sup>(\*)</sup> . ولا يقتصر هذا الدور « الليوني » على دعم مدرسة الحقوق ، فها هو عميد جامعة ليون بول جولان ، يطلب من غرفة تجارة ليون المشاركة أيضاً في تأسيس مدرسة المهندسين « لأن هدف هذه المدرسة الفرنسية ، اعداد تقنيين لتطور البلاد الاقتصادي في ظل الانتداب ، وتطوير بلاد اخرى في الشرق الأوسط . . . . »<sup>(٣)</sup>

jullien. Nouvelle Mission... p.86

(١) مرجع سابق :

r.Ristelhueber: « Traditions Françaises au Liban» paris 1918 p.279.

(\*) راجع فصل اليسوعيون في سوريا ولبنان (اليسوعيون بين الصراعات الدولية والتحولات الداخلية : مدينة ليون : الاقتصاد والتثمير) .

(٣) ذكره كوثرياني المرجع السابق ص ١٩١

كما تأسس في الفترة نفسها مرصد كساره والمكتبة الشرقية وألحقا بالجامعة . فقدم المرصد خدماته الجغرافية للجيش الفرنسي ، وتولى بالتنسيق مع الطيران والوحدة البحرية ، مسؤولية الاتساع على الأجهزة الجوية في سوريا<sup>(١)</sup> .

وકقسم من مكتبة الجامعة ، انشئت الكلية الشرقية ، التي انفصلت عنها ، فيما بعد ، عام ١٩٠٥ ، وتوسعت بفضل المساعدات الفرنسية لها . أما المدف من الانفصال والتطلع فهو « استقبال الأوروبيين الراغبين بتعلم اللغات والأداب الشرقية ، على غرار الكليات التي أسسها الالمان في دمشق وحلب وحاء . . . » إلا أن الحرب العالمية الأولى أغلقت أبواب هذه الكلية .

### المطبعة الكاثوليكية :

أدى هذا التوسيع في مؤسسات اليهوديين التعليمية ، من المدارس الابتدائية والتعليم الثانوي ، إلى الجامعة باقامتها التي بدأت تتسع وتشعب ، إلى تأسيس هذه المطبعة التي لبت حاجتهم للنشرات الدينية ، والعلمية والكلاسيكية والاسبوعية فكان من أهم منشوراتها الدينية كتب الوعظ الديني ، والصلوات ، والتعليم المسيحي ، وتاريخ القديسين ، وطرق الصليب ، وغيرها<sup>(٢)</sup> .

أما منشوراتها العلمية والكلاسيكية فتوزعت بين كتب القراءة ، القواعد القوميين ، الجغرافيا ، والتاريخ ، وبين التاريخ المسيحي وتاريخ لبنان والموارنة . ومنها على سبيل المثال : مختصر التاريخ المقدس ، تاريخ الكنيسة ، تاريخ آخر اباطرة الرومان ، تاريخ لبنان ، تاريخ اساقفة الطائفة المارونية ، تاريخ بيروت ، تاريخ بعلبك ، تاريخ خان الفرنسيين في صيدا . . . .<sup>(٣)</sup> .

les jésuites en syrie. volume I. No IV. p.10.

(١) مرجع سابق :

u.St. Joseph. Les jesuites en syrie. Volume VI. p.7.

(٢) مرجع سابق :

. ٣٥٩ مجلـة المـشـرق - ١٩٠٠ ص

وأشهر منشوراتها الأسبوعية مجلتي *البشير* والشرق . فالبشير « يشرف عليها مرسلون يتمتعون بالحماية الكريمة لفرنسا . وتحمل ، في الوقت نفسه ، كعرفان بالجميل ، شرف الدفاع عن الأمة التي تستحق أن تسمى البت الكبرى لفرنسا . . . أما « المشرق » ، فتختوضع إلى جانب « البشير » معركة الدفاع عن الحقيقة الكاثوليكية » .

هذا بالإضافة إلى نشرات الكلية « الشرقية Mélanges » في جامعة القديس يوسف .

لم يتوقف النشاط اليسوعي عند أبواب المدارس أو الجامعات ، بل شمل مرافق الحياة ومؤسساتها على أنواعها . فأسسوا الميليات التي تعلم المهن كالطباعة والحدادة والنجارة . . . واثناءها التعليم الديني ، واللغتين الفرنسية والعربية باشراف معلمين اجانب . « وقد رأى المرسلون أهمية اعداد الصناعيين إلى جانب طلاب العلوم الأدبية . وطلبوا هذه الغاية من مسؤولיהם انشاء مدرسة للفنون والمهن . كما طلبوا مساعدة مادية من أجل بناء هام في الوسط التجاري »<sup>(١)</sup> وكان لهم ميتم في تعنائيل وأخر في بيروت . وفي سنة ١٩١٠ أسسوا إلى جانب الميتم في تعنائيل مدرسة للمعلمين يتعهد طلابها بعد تخرجهم ، وبموافقة الأهل الخطية ، أن يدرسوا عشر سنوات في مدارس البعثة ، ومن الأفضل أن يكون ذلك في القرى .

وقد حملت مؤسسات اليسوعيين على تنوعها ، أهدافاً تتکامل فيما بينها ، من نشر الثقافة الفرنسية ، وسيطرة لغتها وافكارها ، إلى اعداد « النخبة القائدة » التي تمثل الهدف الرئيسي بينها . « لأن اعداد النخبة المسيحية . . يسمح هذه الجماعة التي أثقل كاهلها النير الإسلامي ، أن تحضر شيئاً فشيئاً . وقد أعد المرسلون لساعة الحرية ، طبقة وسطى قادرة على انتزاع الفائدة ، ونخبة ذكية ، مثقفة ومؤهلة لقيادة الأمم المحررة . . أنه لواجب على المرسلين أن يطوروا النخبة الأهلية ويضاعفوها ، وذلك بانتظار اليوم الذي

bulletin d'œuvres . des E . d'o . 1862 . p . 240

(١) مرجع سابق :

ستترك فيه سوريا ولبنان . لكن هناك خطر يجب الانتباه والاشارة إليه ؛ ذلك أن النخبة لا تبقى كذلك إلا إذا سيطرت . وإذا أردنا توسيع هذه النخبة ، فيجب ألا تخفض مستواها بأن نفتح المجال أمام الجميع لتولي المراكز والمسؤوليات ، وذلك تفادياً لـالإخلال بالتوازن والانسجام الاجتماعي في البلد<sup>(١)</sup> .

ونجح اليسوعيون في تحقيق هذا المهن ، بعد أن شدّ ازدهر الدعم الفرنسي ، فأعدت مدارسهم وجامعتهم «نخبة» من أبناء المسيحيين تمكن من الالتحاق بالتعليم العالي الذي لم يكن مجانياً ، خلافاً للتعليم الابتدائي الذي فتح أبوابه للجميع . هذه «النخبة» تضم «القادة الانسانيين والمستيرين .. الوفاء لفرنسا» ، على حد تعبير أحد القنصلين ، «التي ستقود الأمم المحررة» ، لأن بعثة يسوع «مارست في سوريا دوراً فرنسيّاً خالصاً ، عبر التربية التي تلقاها أولاد الأمراء والمشائخ والأعيان ، والتي كان يضطلع بها أساتذة فرنسيون ..»<sup>(٢)</sup> ولا يخفى بول هوفلان هذه الحقيقة أيضاً فيقول : «أن تعليم الناس لغتنا ، لا يعني إلفة افواههم وأذانهم للصوت الفرنسي ، بل يعني فتح نفوسهم على الأفكار الفرنسية ، وعلى العواطف الفرنسية وأن يجعل منهم فرنسيين من ناحية ما ... هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة»<sup>(٣)</sup> .

هذه «النخبة» التي ألهلت اللغة والفكرة الفرنسية استلمت مقدار الحكم حين «تركت سوريا ولبنان» ، فتعاقب على سدة الرئاسة من تلمذ على يد المرسلين اليسوعيين ، «واكفى» خريجو المدارس التركية والجامعة الاميركية ، وهم المسلمون عموماً ، بما دون ذلك<sup>(٤)</sup> . وكأن هذا التفاوت القسري في

revue d'histoire des Missions. p.334. 335.

(١) مرجع سابق :

(٢) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة من قنصل فرنسا العام في بيروت . ١٨ أيار (مايو) ١٨٦١ .

paul Huvelin: Congrès français sur la syrie. Facicule III. ch. de commerce de (٣) Marseille 1919- p.7-8.

(٤) راجع تفصيلاً احصائياً لذلك في : naaman A: «Le français au Liban»- essai

مراكز المسؤولية ، بين الطوائف ، كان يستبطن غلبة للتعليم اليسوعي وللنفوذ الفرنسي ، على التعليمين الإسلامي<sup>(\*)</sup> والبروتستانتي ونفوذهما .

وكان لا بد أن تسعى « النخبة الوفية » إلى تثبيت شرعية السلطة التي تربعت عليها ، من خلال توكيده الانتهاء ، بجذور حضارية وثقافية لها ، وللKitab على حد سواء . وترافق هذا الادعاء في التعليم وفي السياسة في آن معًا . « وما ترويه كتبنا المدرسية وكتبنا غير المدرسية عن عظاء الماضي اللبناني ما هو إلا أساطير تهدف إلى تنمية الولاء للوطن اللبناني القائم اليوم »<sup>(١)</sup> .

هكذا ، كانت المدرسة اليسوعية ، عبر اعدادها لتلك « النخبة » أساساً ، مدرسة تفرق ولا توحد . تعمق الانقسام في الانتهاء التاريخي والراهن ، ولا ترك للمستقبل اكثرا من محاولات للاحاق الطوائف الأخرى بتلك الجذور الموهومة ، أملاً في ابتلاع شخصيتها أو قضم انتمائها ..

---

sociolinguistique- Paris- Beyrouth. 1979- p.94-97.

(\*) وضع اليسوعيون نصب أعينهم محاربة الجامعة العربية التي أسستها الحكومة العثمانية في دمشق . وكانت نواة لجامعة اكبر تضم مدرسة للطب ومدرسة للحقوق ... فرأى اليسوعيون في هذا المشروع انذاراً لهم ، لأنه يؤدي إلى خسارة الطلاب العرب الذين سيلتحقون بها ... وقد عرض مسؤولو الجامعة اليسوعية هذا الأمر للجزال غورو ، وطلبوا منه ، كقرار وطني ، ان يعلن الاقفال النهائي لجامعة دمشق ... » .

catroux: Deux missions au moyen Orient (1919-1922) Paris 1957. p.58-59-60.

(1) كمال الصليبي . مقابلة مع مجلة الحوادث اللبنانية عدد ١١١٠ - ١٩٧٨ .

## ملحق وثائق الفصل الرابع

- (١) اهتمام يسوعي بالمدرسة الابتدائية . مراقبة فرنسية للنشاط اليسوعي الذي يقترب من النمسا .
- (٢) المنح الفرنسية تجذب ابناء العائلات .
- (٣) اعداد اشخاص ينشؤون اللغة الفرنسية . أهمية مؤسسات اليسوعيين . ضرورة التعاون معهم لنشر الفرنسية .
- (٤) تعليم الأطفال افضل وسيلة لنشر النفوذ الفرنسي . ضرورة توسيع المدارس إلى أنحاء لبنان كافة .
- (٥) علاقة التعليم بالبعثات الدينية . تنبئ إلى كيفية الحفاظ على المعارف الفرنسية التي يتلقاها الطلاب العرب .
- (٦) أهمية سوريا . أهمية العنصر المسيحي فيها . أمجاد فرنسا عام ١٨٤٠ . القلق من منافسة البروتستانت . تحول التعليم إلى قضية سياسية . تساؤل حول التعليم العلماني . اعتراف بفضل اليسوعيين والعاذاريين في نشر النفوذ الفرنسي . أهمية التعليم الديني .
- (٧) قلق من التضييق العثماني على كلية الطب الفرنسية وعلى خريجيها . رغبة الباب العالي في تطوير كلية الطب الملكية .

- (٨) خشية فرنسية من تزعزع وضع كلية الطب بسبب أزمة الدبلوم .
- (٩) اهداف كلية الطب سياسية ودعائية قبل أي فائدة علمية .
- (١٠) مدرسة طب فرنسية لواجهة النفوذ البروتستانتي . اعتماد على الاطباء التخرجين لنشر النفوذ الفرنسي في تركيا .
- (١١) مدرسة اليسوعيين في بكفيا .
- (١٢) نص الاتفاق المشترك اليسوعي - الفرنسي حول كلية الطب . مواد التدريس . اللجان . الامتحانات . فترة الدراسة . ملحق جامعة القديس يوسف . التعليم الثانوي واقسامه . التعليم العالي ومواده .

# قنصلية فرنسا في بيروت

الادارة السياسية

رقم ٤٦

الادارة السياسية

رقم ٤٦

بيروت ١١ أيار (مايو) ١٨٤٢ .

حضره الوزير

سعادة السيد غيزو . . .

إن اليسوعيين منهمكون منذ عدة سنوات بمشروع ، شرحوه تفصيلياً في روما وفي باريس . والمشروع عبارة عن مدرسة ابتدائية تستطيع استقبال مائتي طفل ، وكلية داخلية ، ومدرسة اكليركية ستتمكن خلال عشرين سنة من تحويل الاكليروس اللبناني إلى اكليروس اوروبي تقريباً .

... لقد قدم الاباء اليسوعيون للاتراك براهين على تعاطفهم معهم ، لكنها تبدلت مع الزمن . . . وقد اشتري اليسوعيون ، دون أي اعتبار للقوانين السارية في الامبراطورية العثمانية ، عقاراً هاماً يقع في مدخل بيروت وبدأوا البناء عليه . . . وقد أعطى مصطفى باشا الأمر بايقاف كل شيء . . . أما موقفى من هذه العملية فكان موقفاً متذاجباً . فقد كتبتم لمن سألفني ، يجب ألا ننسى أن مؤسسة اليسوعيين يمكن أن تبقى بدوننا أو رغمـاً عنا . وبناء على ذلك ، اكتفيت بالمراقبة الدقيقة لمراحل العملية ، دون أن أظهر لليسوعيين اتعاطفاً قوياً أو معارضة لمشروعهم .

إلا أنهم بعد أن عملوا ما يحلوا لهم ، عادوا إلينا لعلهم يتخلصون من الورطة . وتكشفت زيارات مسؤول البعثة إلى القنصلية ؛ إلا أن ثقتهم ليست مطلقة ؛ وهم يريدون أن يضعونا أمام خيارات : أما أن نطلب نقل مؤسساتهم

إلى حلب ، وأما أن نقوم نحوهم بخطوة جدية ، تضع تحت الحماية الفرنسية .

لقد وصلتني معلومات دقيقة . . . أن المفوضية النمساوية طلبت . . فرماناً يسمح لها ببناء كنيسة خاصة في بيروت تابعة للقنصلية العامة ، على غرار تبعية كنيسة الكبوشين لقنصلية فرنسا .

وستقام الكلية إلى جانب هذه الكنيسة الخاصة التي سيكون لها أهمية الكنيسة العادية . وسيقوم اليسوعيون بالعمل في الكنيسة الخاصة حيث كل شيء تحت حماية النمسا التي ستدفع بسخاء لهذه المؤسسة الدينية والسياسية .

#### التوفيق

م . بورييه

M. Bouréé.

وثيقة رقم (١)

١٤٢ ت ١ (اكتوبر ١٨٨٧) بيروت

من M. Le vicomte de Petite Ville ، قنصل فرنسا العام في بيروت إلى . Floureens ، وزير الشؤون الخارجية .

سيدي الوزير

ارجو المغذرة لأنني لم أتمكن لغاية الآن من موافاتكم بتقرير مفصل عن  
المنح الفرنسية في مدارس سوريا . . .

عندما تقرر أمر المنح في سوريا ، وضعنا لذلك هدفين رئيسيين . الهدف  
الأول أن نجعل اتباعاً لنا من بين العائلات التي تم اختيار ابنائها للمنح ،  
والهدف الثاني أن نثير رغبة مسؤولي المؤسسات ورغبة الطلاب في دراسة اللغة  
الفرنسية . وقد تحقق هذان الهدفان إلى حد ما ، لأننا استطعنا أن نجذب عدداً  
من العائلات النافذة التي تربى أولادها على حب فرنسا ، أو على الأقل على  
معرفة لغتها وتاريخها . . .

باختصار : لقد اختربنا ٩١ شخصاً لنوزع عليهم منحاً ونصف منح ،  
بينهم ستون مارونيًّا من أصل ٣٣٠ ألف نسمة ، و ١٥ روم كاثوليكي من أصل  
٦٥ ألف نسمة ، وسبعة فرنسيين ، وثلاثة أرمن كاثوليكي ، ودرزيان ، وأثنان  
روم أرثوذكس ، واحد سرياني - واحد لاتيني غير فرنسي . . . . .

Petiteville. التوقيع

عادل اسماعيل - المجلد ١٥ - (١٨٩٠ - ١٨٨٣) .

رسالة رقم ٥٦ .

وثيقة رقم (٢)

رقم ٥

حضره السفير

... ان المدارس الابتدائية تعلم هذا الشعب المسكين المبادئ الاولية للغته ودينه الذي يجهله ، أن بناء عدد صغير من المدارس العليا وفقاً لحاجات البلد سيؤدي إلى اعداد اشخاص قادرين على ممارسة مهن مستقلة أو حرة ، ويفيدون ، علاوة على ذلك ، في نشر لغتنا .

... أما فيما يتعلق بحكومة الملك ، فهي معنية أيضاً بهذا العمل ؛ لأنها تدرك تماماً أن خدمتها للمصالح الدينية ، يعني خدمة الحضارة التي هي في الوقت نفسه مصالح السياسة الفرنسية .

إن أكثر من ستين طالباً عربياً في عينطورة يتعلمون بفضل العازاريين معرفة فرنسا . هذه المعرفة تتم بواسطة اللغة ، وبواسطة التربية ، وهذه الأخيرة هي الأكثر خدمة ونفعاً .

... إلا أن مؤسسات اليسوعيين هي الأكثر أهمية في لبنان . ويكتفي أن تكون واحدة من تلك المؤسسات في زحلة حيث يتلقى ٧٠٠ طفل وطفلة تعليماً ابتدائياً مجانياً . أن تولي رهباناً فرنسيين إدارة هذه المؤسسة ، خارج وصاية فرنسا ، يترك أسوأ الأثر في البلاد .

... وإذا لم يسعوا بودار طيبة من حكومة الملك التي لا يثقون في نوایاها ، اعتقاد أنهم سيقبلون طوعاً أن يدرّسوا اللغة الفرنسية في جميع بيوتهم كما يفعلون الآن وينجاح في بيروت .

... هكذا ستنحنى البربرية العربية لا ارادياً أمام الحضارة المسيحية لأوروبا .

التوفيق

cte de Lattenaud

وثيقة رقم (٣)

١٨٤٤ - ١٨٤٥

بِرُوْت ١ آب (أغسطس) ١٨٤٤

مُجلد رقم ٥

من آب إلى أيار

(أغسطس إلى مايو)

## قصصية فرنسا في بِرُوْت

الادارة السياسية

رقم ١٣

سعادة الوزير غيزو وزير الشؤون الخارجية في باريس .

من بين السبل العديدة التي يمكن بواسطتها نشر وتأمين نفوذنا في سوريا ، يعتبر تعليم الأطفال الذي ترعاه فرنسا اكثراها فعالية . وهذا السبب كان لــ منح كلية عينطورة نتائج ممتازة ؛ إلا أن هذا الاحسان يقتصر على عدد صغير من الاشخاص ؛ هذه المنح تسعى بشكل خاص لاعداد زعماء انسانين ومستيرين في لبنان .

لذا اقترح ، سعادة الوزير ، أن يشمل هذا الاحسان سكان لبنان عامة ، بأن نؤسس في النقاط الهامة من هذا الجبل مدارس ابتدائية صغيرة بتعلم فيها الأطفال قراءة لغتهم وكتابتها ، ويشرف عليها مرسلونا حيثما يتواجدون : ويدعى العازاريون ، واليسوعيون ، والكبوشيون ، وآباء الأرض المقدسة ، والكرمليون ، لممارسة هذه المراقبة التقية . وسيعلم سكان لبنان أن الفضل في وجود هذه المدارس يعود لفرنسا مباشرة .

... لقد تم ترتيب مدرسة ابتدائية في بيت مري بأقل من الف قرش ، وبختين وخمسين قرشاً ... ولكن ببضعة آلاف من الفرنكـات يمكننا أن نقوم بخير أشمل ، وأن نجذب سكان الجبل دون بريق ، وسيكون هذه المدارس فائدة جمع الأطفال من مختلف العقائد ، وايقاف الحقد الذي يقسم الجبل . إلا أنها لن تبني دفعة واحدة ، بل تدرجياً وفقاً للحاجة والظروف المناسب .

التوقيع : بوجاد .

Poujade.

وثيقة رقم (٤)

٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٧

من السيد Turpin حاكم محطة المشرق إلى وزير البحريه والمستعمرات في  
باريس .  
سيدي الوزير

... أن التعليم في لبنان يخضع بشكل عام للبعثات الدينية ، فلأديرة  
« الأرض المقدسة » بعض الكليات حيث تدرس اللغة الإيطالية ، ويرى  
الطلاب فيها على حب النمسا . وللعازاريين مدرسة تعلم الفرنسية لخمسين أو  
ستين طالباً من أهم العائلات في لبنان . ولليسوعيين ثلاث مدارس وحوالي  
خمسمائه تلميذ جميعهم من المسيحيين تقريباً ، وقد توصلوا مؤخراً للحصول  
على بعض اطفال الدروز .

وللمرسلين الاميركان والانكليز أيضاً مدرسة حيث يتم تعليم  
الانكليزية لقليل من الطلاب المسيحيين ، وكثير من الأطفال الدروز .

لكل مدرسة تلامذتها النموذجيين الذين لم يبق فيهم أي شيء عربي .  
حتى أن بعضهم يرتدي الزي الأوروبي . أن العرب أذكياء جداً ويتعلمون ما  
نلقهم بسرعة قصوى ؛ ولكن ما أن يعودوا إلى عائلاتهم حيث لا مجال لتطبيق  
معارفهم ، أو أنهم لا يعرفون كيف يشرحون هذه المعارف ، فتصبح هذه  
الأخيرة غير مفيدة . فينسون بسرعة ما تعلموه ، لكنهم يحتفظون داخل  
عائلاتهم بتفوق لا ينافس ، وكذلك بالتأثيرات التي تلقوها في المدرسة . وهكذا  
فمنهم من يميل إلى فرنسا ، ومنهم من يهوى الانكليز ، أو النمساويين ؛ أن  
الارثوذكس يميلون غالباً نحو الروس . ولكن بين كل هؤلاء ليس هناك وطنية  
Nationalité ؛ وينبغي بذلك مزيد من الوقت والجهود لاعادة طيف الوحدة إلى  
كل هذه المجموعات الدينية المختلفة والمتنافسة التي تدعم كل واحدة منها قوة  
أوروبية . . . .

التوقيع : Turpin

عادل اسماعيل - المجلد التاسع -

Consulat Général de France à Beyrouth

Lettre: No 10 1846- 1853

وثيقة رقم(٥)

١٨٨١ اذار (مارس) بيروت

من السيد M. Sienkiewicz ، قنصل فرنسا العام في بيروت ، إلى السيد Barthélémy وزير الشؤون الخارجية .

### سيدي الوزير

تحظى سوريا ، من بين جميع مقاطعات الامبراطورية العثمانية ، بذلك الامتياز الخاص ، في التنافس بين فرنسا ، وانكلترا ، والمانيا ، والولايات المتحدة الاميركية ، على نشر التعليم فيها . ان السكان المحليين يجتهدون في تقليد النماذج التي تصلهم من الخارج . وتتجه بيروت ، حيث تتمركز هذه الحركة الفكرية ، إلى أن تصبح مدينة جامعية حقيقة . فمن أصل ثمانون ألف نسمة هناك عشرة آلاف طالب تقربياً .

هناك سببان أساسيان يفسران أهمية التعلق بسوريا : الأول سياسي بحث ، يرتبط بموقعها الجغرافي كصلة بين أوروبا والشرق الأقصى : والثاني ، معنوي إلى حد ما ، ولو ظاهرياً ، ويتعلق بالأهمية المتنامية للعنصر المسيحي ، وبالوضعية الخاصة التي يتمتع بها لبنان .

منذ لويس الرابع عشر ، وحتى لا نعود إلى ما قبل ذلك ، دأبت فرنسا على الاهتمام بمسيحيي سوريا . وحتى عام ١٨٤٠ كانت فرنسا فقط هي المعروفة في هذا البلد . فعندما يذكر اسم القنصل ، كان الجميع يعرف أن المقصود هو القنصل الفرنسي . لقد بدللت احداث ١٨٤٠ هذه الحالة ، وكان من نتائجها المحلية تعرض الدروز للنفوذ الانكليزي . أن القوة البروتستانتية حطت اقدامها في سوريا ، وبدأ المرسلون البروتستانت في الظهور .

لقد لفتت مذابح ١٨٦٠ الانتباه العام نحو سوريا ، وأدى تنظيم ١٨٦١ إلى أشراف مباشر للقوى العظمى على ادارة الجبل . هذا ، مع العلم أن

النشاط البروتستانتي لم يت塌ق ويصبح مقلقاً إلا منذ سنوات عدة . أن الكلية الاميركية - ومدرسة الطب الاميركية ، والمستشفى الالماني ، والمؤسسة البروسية ، ومدارس الفتيات المتعددة التي تشرف عليهابعثات الانكليزية ، تشكلاليوم تهديداً جدياً لم نواجهه بالطريقة الملائمة بعد .

أما بالنسبة إلى التعليم الابتدائي - فإنه ، باستثناء بيروت ، في أيدي البروتستانت تقربياً .

ليس للايطاليين في بيروت سوى كلية غير مهمة ، ولكن يبدو أنهم لن يتراجعوا ، ليجعلوها في مستوى الكليات الأخرى في هذه المدينة .

كما يحاول الفرنسيسكان من جهة أخرى ، مضاعفة بعثاتهم والمدارس التي يشرفون عليها .

هكذا - أصبحت قضية التعليم في سوريا ، قضية سياسية بحثة . فكل مدرسة فيها ، تمثل نفوذاً اجنبياً . وفيما يتعلق بنا ، علينا أن نواجه القوى الكبرى البروتستانتية الثلاث التي تعمل ارادياً أم لا ، لصلاحة انكلترا ، وكذلك الدعاية الايطالية ، وعلينا لكي نحافظ على وضعنا ، أن نفتح المجال واسعاً أمام مؤسساتنا .

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه في بادئ الأمر . هل نستمر في الاعتماد على التعليم الدينى أم نلتجأ إلى التعليم العلمانى ؟

هذا السؤال نفسه طرحته البرلمان الايطالى مؤخراً ، ولم تكن نتيجته لصلاحة المدارس الدينية .

ومهما يكن السبب الذي اثر على قرار النواب الإيطاليين فإإنى لا اتردد في القول بأنه كان قراراً حكيمًا جداً . فلو صوت هؤلاء لصلاحة المدارس الدينية لوجدوا أنفسهم مرغمين على أن يعهدوا الآباء الأرض المقدسة بتوسيع نفوذهم في سوريا .

إلا أن هؤلاء الآباء الذين حافظوا لعدة قرون على الأماكن المقدسة في

فلسطين ونشروا اللغة الإيطالية ويعتبرون مواطنين إيطاليين صالحين ، لن يكونوا مربين جيدين ، فالمدارس التي تحت اشرافهم لا تحرز تقدماً . . . كما أن مدرسة « الأرض المقدسة » في حلب نتائجها غير مرضية .

إن البعثات الدينية لا تتشابه لحسن الحظ ، وحيث فشل الفرنسيسكان دائمًا ، نجح الآباء اليسوعيون والآباء اللعازاريون بشكل تام . وإلى هاتين البعثتين ندين بقسم كبير من نفوذنا الذي نتمتع به في سوريا لأن اللغة الفرنسية بفضلها حل محل الإيطالية وأصبحت اللغة الأوروبية التي فرضت نفسها حتى على المدارس البروتستانتية .

لقد اعتبر البعض مؤخراً أنه من الخطأ أن نعتمد في سوريا على البعثات الدينية . إنني اعترف أن لهذا النظام بعض المساوىء بمعنى أن وجهة نظرنا لا تطابق دائمًا تلك الخاصة بمدراء المدارس الدينية . ولكن إذا وافقنا على هذه الاعتراضات لا يسعني إلا أن أقدم أكثر منها جدية ضد التعليم العلماني .

فأولاً كيف يمكن أن نواجه التعصب البروتستنطي وهو تعصب قاتم وشديد ، بتعليم ليبرالي سوف يساعد إلى حد ما بطابعه الحيادي ، الرعاية البروتستانتية ، أي الدعاية الانكليزية . أن اللامبالاة أمام الانتقادات العنيفة للوزراء الاجانب أمر حسن في أوروبا ، أما في الشرق فإن ذلك يعني التخلّي عن الصراع والهزيمة في المعركة . وفي بلد حيث تعتبر الوطنية ، أو الدين اصلاً لكل جنسية ، يجب أن يكون المرء كاثوليكياً ، ارشوذكسيًا ، بروتستانتياً ، أو أن لا يكون شيئاً على الأطلاق .

... أن ذلك لا يعني أن نتخلّى نهائياً عن التعليم العلماني ، بل علينا أن نلجمأ إليه حيث يكون مفيداً تماماً ، أي أن نعهد به إلى المدارس الخاصة . . .

التوقيع : Sienkiewicz

عادل اسماعيل - المجلد ١٤ ( ١٨٧٨ - ١٨٨٣ )

رسالة رقم ٧٢ .

وثيقة رقم (٦)

## تركيا - سياسة داخلية

سوريا - لبنان -

مجلد ١٢٥

سفارة فرنسا

. ت ١ (أكتوبر) .

لدى الباب العثماني

١٨٩٧ - ١٨٩٩

حضره الوزير

لقد .. وجهت ملاحظة إلى الباب العالي للاحتجاج على الأساليب التعسفية التي تمارس في كلية الطب في القسطنطينية على خريجي كلية الطب في بيروت ، حاملي диплом французского . هذا الدبلوم تمنحه لجنة مؤلفة من أستاذة كلية ليون .

... يمكننا محاربة تلك المعارضة المنظمة ضد تعليمنا الطبي . . .

... لقد اعلن السيد (الاسم غير واضح) عن المعادلة الفرنسية للشهادات التي تمنع في بيروت ، لغاء الحجة التي يتمسك بها الآتراك في عدم اعترافنا نحن بهذه الشهادات .

... كما يجب علي ، من جهة ثانية ، أن أشير لكم ، بأنه يبدو أن الباب العالي يهتم باللاحظات الموجهة إلى التعليم في كلية الطب في القسطنطينية ؛ وقد طلب من الحكومة الالمانية ، في برقية ، عرفت مضمونها بطريقة خاصة ، استاذًا قادرًا على تبديل نمط التعليم في كلية الطب الملكية ، « بطريقة تلغى في المستقبل حاجة الطلاب المتخرجين من هذه الكلية لمتابعة دراستهم في أوروبا » .

التوقيع غير واضح .

وثيقة رقم (٧)

لليون ١٧ آب (أغسطس) ١٨٩٨

كلية الطب والصيدلة

في ليون

حضره الوزير

اسمح لنفسي أن أرسل لكم طيّة رسالة من الأب Cattin مسؤول كلية الطب في بيروت . هذه الرسالة ستبين لكم مدى خطورة الوضع ، لأن الكثير من التلاميذ سيتركون الكلية . أي أن آخر ملجأ لنفوذنا في لبنان سيختفي قريباً إذا لم تخل قضية الدبلوم بشكل عاجل وایجابي في القدسية .

Lortet التوقيع

عميد كلية ليون .

وثيقة رقم (٨)

١٤٩

سفارة فرنسا لدى الباب العالي .

الادارة السياسية

رقم ٢١٧

١٨٩٨ ( اكتوبر ) ت ١

سعادة الوزير Delcassé وزير الشؤون الخارجية في باريس .

حول كلية الطب في بيروت :

... تعود فكرة تأسيس هذه الكلية إلى « غامبيتا » والكاردينال « لافيجري ». والهدف من الفكرة إيجاد كلية فرنسية كبيرة في سوريا يأتي إليها شبان هذا البلد ليتعلموا فيها العلوم الطبية ، ويتمكنوا من دراسة لغتنا ، كي ينتشروا في الشرق ، فيما بعد ، على غرار الكثير من أصدقاء نفوذنا وحضارتنا .

إن الغاية الأولى للمؤسسين أن يجعلوا من هذه الكلية فكرة سياسية ومؤسسة دعائية .

... ان الأساتذة الكرام الذين أرسلتهم وزارة التعليم الفرنسية ليشاركون في الامتحانات السنوية في الكلية ، يتصرفون وكأنهم محكمة دولة . وباعتقادهم أن هذه الكلية تمثل التعليم الفرنسي في الشرق ، لذا يجب أن يتخرج منها علماء قبل أي شيء آخر . أن الهدف السياسي الذي وضعناه لأنفسنا قد أخضع اليوم للفوائد العلمية المزعومة في هذه المؤسسة .

التوجيع غير واضح

وثيقة رقم (٩)

## حول كلية الطب في بيروت

١٨٩٧ (ديسمبر) ١ كـ

في ١٢ آب (اغسطس) ١٨٨٠ كتب المسؤول العام لبعثات جمعية يسوع في سوريا ، تقريراً حول إنشاء مدرسة طب كاثوليكية في بيروت . ويشير في هذا التقرير ، إلىفائدة وضرورة الدفاع عن نفوذنا الوطني ، من خلال هذه المدرسة ، بوجه الدعاية النشطة للبعثات الانكليزية البروتستانتية ، خاصة عبر الكلية السورية الانجليزية التي تضم مدرسة طب فيها الكثير من الطلاب . وللأطباء في سوريا قيمة ونفوذ بارزين . لذا ، وانقاذاً لصالحنا ، يجب أن نضم إلى جانبنا ، ونربى وفقاً لافكارنا عملاء لهم مثل تلك القيمة .

... لقد تم منح المؤسسات الاستشفائية ، وفقاً للقرض الخارق للعادة الذي وافق عليه البرلمان ، مبلغ ١٥٠٠٠ فرنك للمساهمة في بناء مدرسة عليا للطب إلى جانب كلية التعليم الثانوي الموجودة سابقاً ... وقد أخبر سفير الجمهورية لدى الكرسي البابوي ، عن اجراء تقدم به الأب نورمان ، وافق عليه البابا نفسه .

... ابدى يسوعيون رغبة في اختيار المعلمين بحرية مطلقة دون الخضوع لرقابتنا فيما يتعلق بامتحان القدرات العلمية والعملية لاساتذة المستقبل .

... بعد التفاوض ... تقرر أن يترك لليسوعيين اختيار الاساتذة ، على ألا يتم أي التزام نهائي معهم دون موافقة الحكومة .

... وبالرغم من الاتفاق التام ، حاول يسوعيون في مناسبات عده أن يتخلوا عن التزاماتهم .

... يمكن أن نأمل من الأطباء الشباب ، خريجي بيروت ، أن يمارسوا

أكثر فأكثر ، ودون صعوبات ، مهنتهم في تركيا . وأن يوسعوا الفنون  
الفرنسية . على أن نهياً امثالهم اعداداً وافرة من الطلاب لكلية الطب في جامعة  
القديس يوسف .

وثيقة رقم (١٠)

١٥٢

بيروت - ١٧ أيار (مايو) ١٨٨٤

من السيد باتريمونيو ، قنصل فرنسا العام في بيروت ، إلى السيد Jules Ferry رئيس المجلس ووزير الشؤون الخارجية .

سيدي رئيس المجلس

... في بكفيا ، على السفح الغربي من لبنان ، في مقاطعة المتن ، يتلذك اليسوعيون مبني يعود تاريخه إلى الأيام الأولى لعودتهم إلى سوريا . في تلك السنوات اتسع ذلك المبني اتساعاً كبيراً نظراً لوجوده في منطقة مسيحية تماماً ، حيث غاب عنها العنصر الدرزي شيئاً فشيئاً . ويتجه هذا المبني لأن يصبح مقراً صيفياً لجميع أعضاء بعثة اليسوعيين في سوريا . هناك مدارس للبنات وأخرى للفتيان . وهذه الأخيرة تعتبر مدرسة ابتدائية جيدة في تلك القرية . فاللغة الفرنسية تدرس فيها بواسطة معلم علماني فرنسي شاب من ليون ، يقدم له الآباء المسكن والطعام . أما الراتب الشهري فيجمع من أولياء الطلبة ؛ وهو أمر ملحوظ ونادر في هذه البلاد حيث ترغم المنافسة الاستاذة أن يدفعوا للطلاب كما يفعل المرسلون البروتستانت . بهذه الوسيلة فقط تمكّن هؤلاء من التغلغل إلى بعض مناطق الجبل ، متغززين فاقه السكان وحاجتهم للكتب . . . .

... تستقبل مدرسة القديس يوحنا مارون (في مقاطعة جبل لبنان) مئات التلامذة بقسط زهيد . . وتمنح حكومة الجمهورية عشرة منح لطلاب هذه المدرسة . . وقد تمكنت من اختيارهم بعناية من بين أولاد العائلات المارونية في شمال لبنان .

التوقيع : Patrimonio

عادل اسماعيل - المجلد ١٥ (١٨٨٣ - ١٨٩٠)

رسالة رقم ١٦ .

وثيقة رقم (١١)

باريس ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٣

من السيد Jules Ferry ، وزير الشؤون الخارجية ، إلى السيد Patrimonio قنصل فرنسا العام في بيروت .

اتشرف بأن أرسل لكم نص الاتفاق المشترك حول تنظيم كلية الطب في بيروت ، الذي أعدته المديرية العامة للتعليم ومديرية الشؤون الخارجية .

ستلاحظون في هذا الاتفاق ، أننا تركنا لكم مسألة تعيين اللجان الفاحصة ولجان الامتحانات والتخرج ، وذلك لكي نبرز الطابع الفرنسي للبحث للتعليم الذي يشرف عليه الآباء اليسوعيون . . . .

ملحق رقم (١) لتقرير (٨ كانون الأول ١٨٨٣ رقم ١٣)

### كلية الطب في بيروت

١ - نظام ٢ أيار (مايو) ١٨٨٣

البند الأول : تدرس كلية الطب مبادئ الفيزياء ، الكيمياء والتاريخ الطبيعي ، التشريح ، الفيزيولوجيا ، المادة الطبية ، الأمراض الداخلية والخارجية ، والمعالجة الطبية والجراحية .

البند الثاني : على من يرغب في الالتحاق بكلية الطب في بيروت أن يعرف الفرنسية بشكل مقبول .

وقد تأسست لهذا الغرض لجنة من خمسة أعضاء يعينها ويرأسها قنصل فرنسا العام في بيروت .

كما يخضع الطلاب لامتحانات خطية وشفهية . يتضمن الامتحان الخطى مسابقة في الفرنسية وأخرى في احدى اللغات الحية التي يختارها الطالب . أما الامتحان الشفهي فهو عبارة عن عدة اسئلة حول :

- ١ - مفاهيم الادب الفرنسي .
- ٢ - تاريخ أوروبا من القرن السابع عشر حتى يومنا هذا ، وحول الجغرافية الأولى لأوروبا وأسيا .
- ٣ - مبادئ الحساب والجبر والهندسة .
- ٤ - مبادئ الفيزياء والكيمياء ، والتاريخ الطبيعي .
- ٥ - مبادئ المنطق .

وعلى المرشحين أن يترجموا مقطعاً لأحد المؤلفين باحدى اللغات الخمسة التي يختارونها .

أما تفسير اللاتينية واليونانية القديمة فاختياري .

**البند الثالث :** توقع الكلية شهادات الطب .

**البند الرابع :** تستمر الدراسة لنيل دبلوم الطب ثلاث سنوات . . .  
تتألف لجنة الامتحانات من ثلاثة اعضاء يعينهم القنصل العام من الهيئة التعليمية .

يمكن لعميد الكلية أن يكون عضواً في اللجنة .

إذا صادف وجود أحد أساتذة المعاهد أو الكليات الفرنسية في بيروت ،  
يمكن أن يترأس الامتحانات بنفسه .

تتألف لجنة امتحانات نهاية الدراسة من أربعة اعضاء يختارهم القنصل العام ، بينهم اثنان على الأقل من افراد الهيئة التعليمية في الكلية ، واستاذ ترسله وزارة التعليم العام ، ليترأس اللجنة المذكورة .

يمكن لمدير الكلية أن يشارك في الاشراف على الامتحانات .  
تحري الامتحانات في شهر حزيران .

**البند الخامس :** تمنع وزارة التعليم العام الشهادات ، بناء على التقرير الذي يقدمه رئيس اللجنة .

## جامعة القديس يوسف في بيروت .

تأسست جامعة القديس يوسف من أجل رفع مستوى الدراسات في الشرق ، ولتلبية رغبة العائلات التي تزداد يوماً بعد يوم ، في تربية اولادها تربية توازي تلك التي يتلقاها الأولاد في أوروبا .

... الدين هو أساس التربية ، ونحن نجتهد لنقدم للطلاب معرفة معمقة به ونعدهم لمارسة الواجبات التي يفرضها عليهم .

ويلي الدين انضباط صارم وأبدي ، وهو أشد أساس التربية .

... تشمل الدروس في الجامعة التعليم الثانوي والتعليم الابتدائي .

### أ. التعليم الثانوي .

١ - القسم الأدبي : وفيه دراسة معمقة لللغات : العربية ، الفرنسية ، اللاتينية واليونانية . وقد اثبتت التجربة أهمية اللغات الأخيرة لاعداد الفكر الواقاد . فما تحتويه من بلاغة وشعر ، وما تغنى به دراسة العلوم بشكل عام ، والطب والحقوق بشكل خاص ، وأنهرياً صلتها الحميمة مع اللغات الحديثة ، كل ذلك يجعلها ضرورية للتطور الذهني للشبيبة ، على غرار أفضل الكليات في أوروبا .

كما أثبتت التجربة أيضاً ، أن دراسة اللاتينية هي الطريق الأيسر والأقصر لعرفة تامة باللغة الفرنسية .

وتلبية للرغبة المشروعة للعائلات الأجنبية ، التي تمنى أن يتعلم اولادها لغتهم الأم ، بدلاً من العربية ، يمكننا أن نتابع دروساً خاصة في التركية ، اليونانية الحديثة ، الانكليزية ، الإيطالية ، وغيرها . للتاريخ والجغرافيا مكانها أيضاً في البرنامج . . .

٢ - القسم العلمي : ويتضمن دراسة الحساب ، الجبر ، الهندسة ،  
الميكانيك ، علم الفلك ، الكيمياء ، التاريخ الطبيعي بفروعه الاساسية  
ومنها : علم الحيوان ، الجيولوجيا ، علم التشريح ، الفيزيولوجيا الحيوانية .  
كذلك تكمل بعض مبادئ الفلسفة محاضرات التعليم الثانوي ، الذي  
يستمر ٧ ساعات .

وفي نهاية التدريس يخضع الطالب لامتحان يعادل امتحان البكالوريا  
العملية ، ينال بموجبه الطالب الناجح شهادة ، تسمح له بالدخول إلى كلية  
الطب ، كما تيسّر له التوجه إلى دراسات أخرى ، لأنها أفضل دليل على قدراته  
ومستوى تعليمه .

### ب - التعليم العالي

يشتمل التعليم العالي على التدريس الشامل لمواد الطب ، الفلسفة ،  
واللاهوت .

تنبع الجامعة في نهاية كل اختصاص شهادة دكتور لمن يجتاز بتفوق  
الامتحانات المطلوبة .

تستمر دارسة اللاهوت مدة اربع سنوات . . .  
 تستقبل الجامعة طلاباً داخلين ، نصف داخلين ، وخارجين . . .

Patrimonio التوقيع

عادل اسماعيل - مجلد ١٥ (١٨٨٣ - ١٨٩٠) .

رسالة رقم ١١ .

وثيقة رقم (١٢)



## الفصل الخامس

### البعثات الفرنسية والبروتستانتية والبعثات الأوروبية الأخرى

#### الفرنسية

- العازاريون .
- اخوات المحبة .
- البون باستور .
- الكبوشيون .
- سيدات الناصرة .
- الأخوة المريميون .
- اخوة المدارس المسيحية .
- العائلة المقدسة .
- جمعية مريم الاصلاحية .
- الكرمليون .
- اخوات السان شارل .
- اخوات الزيارة .

#### البروتستانتية

- الجامعة الأمريكية .

الأوروبية الأخرى .

- الإيطالية

- النمساوية

- الروسية

- الألمانية .

ملحق الوثائق .

## البعثات الفرنسية

لم تحمل البعثات الفرنسية التعليمية والتبشيرية التي تواجدت الى سوريا ولبنان مشاريع مستقلة عن السياسة الفرنسية فيها . إنما اقتصر أمر التمايز والاختلاف على المرحلة الأولى من عمل اليسوعيين التي احتلت موقع الصدارة بين البعثات جميعاً . وقد شكلت هذه البعثات رافداً هاماً في « محاربة البروتستانتية ونفوذها » « ونشر الفرنسية وأفكارها . وأبرزها بعثة العازاريين التي تسلمت مراكز اليسوعيين أثر القرار الذي صدر بمنع جمعيتهم عام ١٧٧٣ .

### العازاريون : وكلية عينطورة

أسس هذه البعثة Saint Vincent de Paul عام ١٦٢٤ . أما تاريخ نشاطها في لبنان فيختلف عن تاريخ النشاط اليسوعي ، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع فرنسا ، لأن هذه الأخيرة ارسلتهم وقدمن لهم دعماً مباشراً من أجل مواجهة اليسوعيين ، والبروتستان . « ولأنها لاحظت عام ١٨٢٧ أن الكبوشيين ورجال دين البعثات الكاثوليكية الذين تتولى حمايتهم يأتون من « حثالة أديرة » إيطاليا ، لذا سعت لتنظيم جديد يسمح بأن تكون أفضلية القدوم الى الشرق لرجال دين فرنسيين . وأمام نجاح الانجيليين .. تمنت

الحكومة الفرنسية أن يتولى العازاريون وحدهم ، المسموح بنشاط جمعيتهم في فرنسا ، ويرأسها فرنسي ، مسؤولة إعادة تجديد نشاط المسلمين »<sup>(١)</sup> .

وكان من الطبيعي أن تتطابق الرؤية السياسية لمسؤولي هذه البعثة ، مع تلك الخاصة بفرنسا ، خلافاً لما كان عليه أمر اليسوعيين . فخلال الصراعات التي عصفت بجبل لبنان عام ١٨٤٠ ، نفذ العازاريون سياسة فرنسا في تهدئة أهل الجبل التائرين ضد الحكم المصري ، بينما وقف الأب « ريللو » اليسوعي يحرض التائرين ضد الموقف الفرنسي .

أما أبرز المؤسسات العازارية فهي كلية عينطورة التي تركها اليسوعيون أثر رحيلهم من بلاد الشام ، وما انفكوا يطالبون بعودتها إليهم ، إلى أن تصالحوا مع فرنسا فكفوا عن ذلك .

#### كلية عينطورة :

تحولت الكلية إلى مركز رئيسي لنشاط العازاريين « لتعليم الشبان الفرنسيين الموجودين في سوريا ، وأطفال الموارنة الذين يتهيأون ليصبحوا موظفين ، وكتبه ، وترجمة... »<sup>(٢)</sup> . وقد ساعدت فرنسا العازاريين ، عبر تجديد المعونات من خلال اثنى عشر منحة ، مخصصة لبناء العائلات الرئيسية ، لأن هذه المساعدة ، كما يعتبر الوزير غيزو « هي أحدى أهم الوسائل لتشييد نفوذنا في لبنان ، التي نبرهن من خلالها على محاسن فرنسا في مجال التربية أيضاً ، وتوفيرها لأهم عائلات الجبل . وهو خير لا به وأن يعود بالفائدة على السكان كافة . هذه التربية يجب أن تساعد هؤلاء الناس على أداء قادة إنسانين ومستنيرين » .

أما التعليم في كلية عينطورة ، فهو نظير للتعليم في الكليات الفرنسية ، وهو سبب شهرتها كما يرى القنصل الفرنسي في بيروت ، فيقول : « إن شهرة

(١) شفاليه دومينيك . المرجع السابق . مجتمع جبل لبنان . بالفرنسية . ص ٢٥٦ .

(٢) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . المراسلات الفنصلية والتجارية . ١٨٣٤ - ١٨٣٥ . رسالة بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٨٣٤ . (راجع ملحق الوثائق) .

هذه الكلية تعود إلى طابعها الفرنسي في التعليم ، وإلى اعدادها لهنة التجارة التي أظهر لها العرق السوري قدرة خاصة . إن من بين تلاميذ هذه الكلية من أصبحوا اليوم تجاراً وموظفين في مصر وسوريا . . .<sup>(١)</sup> .

أما ماذا يتعلم اولاد العائلات ، والقناصل والسفراء في هذه الكلية ، فأولاً « الأخلاق ، والدين المسيحي ، واللغات الفرنسية والإيطالية والعربية ، ثم التاريخ والجغرافيا والحساب . أما باقي المواد كالفلسفة واللاتينية والبلاغة والهندسة ، فتعطى بناء لرغبة الأهل » .

ويسمح هذا البرنامج لطلاب الكلية بمتابعة دراستهم في فرنسا . ويحق لمن حاز على شهادة النجاح فيها ، أن يدخل إلى كلية الطب والحقوق الفرنسيتين . إلا أن عدد الطلاب الذين تستقبلهم كلية عينطورة كان محصوراً بين أبناء العائلات التي تستطيع تسديد الف وخمسمائة قرش ذهبية رسوماً للتسجيل فيها . وقد بلغ هذا العدد في مطلع القرن العشرين ٤٠٧ موارنة ، ٢٥ روم كاثوليك ، ١٠ روم ارثوذكس ، ٢٠ مسلماً ، ١٥ درزيًّا . ويبدو أن الاهتمام الرئيسي في هذه الكلية ، أنصب على أعداد الطلاب في ميادين التجارة<sup>(٢)</sup> ، « وهكذا وجد الفرنسيون . . في عينطورة فائدة مزدوجة في تربية أطفالهم . . وفي أعداد أمناء مخازن وترابحة ، يوفرون عليهم اللجوء إلى الوسطاء . . .<sup>(٣)</sup> .

ويفخر العازاريون بهذه الفائدة ، ويعتبرون أنفسهم « أكثر الأرساليات الفرنسية مساهمة في تحقيق انتداب فرنسا على سوريا ولبنان » ، « لأن من بين الإناث عشر ألفاً من طلابهم ، كما يقول الأب لوروا » ، سبعة كانوا وزراء أو

(١) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة من فصلية فرنسا في بيروت . بتاريخ ١٧ آذار / مارس

١٨٨٤

gouau Georges: La congrégation de la Mission des Lazaristes. edition Grasset. (٢) Paris 1938- p.169.

guys Henri: Relation d'un séjour de plusieurs années à Beyrouth et dans le (٣) liban tome II. Paris 1847. p.200

سكرتيري دولة في مصر .. وأن مدراء الخدمات الرسمية في لبنان وسوريا وفي دولة العلوين آنذاك كانوا جيغاً من طلاب العازاريين ». هذه « الفائدة » التي نشرها العازاريون وسواهم من البعثات ، كانت مقياساً يحدد لهم سبل العمل وإمكانه . فاختيار طرابلس مثلاً في شمال لبنان مقرًا للنشاط والدعوة ، يراه العازاريون من خلال أسباب ثلاثة :

- أولاً : أن طرابلس مدينة من أهم مدن سوريا ، يتجاوز عدد سكانها ٢٥ ألفاً . كما أن وجودها بمحاذة البحر يجعلها على صلة دائمة بالأوربيين .
- ثانياً : لا يوجد أي مدرسة كاثوليكية في المدينة لتعليم اللغة الفرنسية .
- ثالثاً : استعداد البروتستانت للقدوم إلى المدينة نظراً لغياب البعثات <sup>(١)</sup> .

### **أخوات المحبة : Les Filles de la Charité**

تتمي بعثتهم إلى الجمعية التي يتتمى إليها العازاريون . وقد عملوا معاً . ولا يعتبر عمل العازاريين كاملاً الا بتضافره مع نشاط أخوات المحبة . « كما أن البعثات التي تنتشر في بعض أنحاء العالم ، تشعر بالعجز عن تطوير مؤسساتها إن لم تطلب مساعدة أخوات المحبة »<sup>(٢)</sup> . لهذا السبب وصلت بعثة « المحبة » إلى لبنان لدعم العازاريين ، في الوقت الذي استدعي فيه اليسوعيون « أخوات القديس يوسف للظهور ». وقد تمكنت « أخوات المحبة » من اجتذاب أبناء « الطبقات الاجتماعية المسيحية » في جبل لبنان ، بواسطة مؤسساتهم الخيرية ومدارسهم المجانية . كما انشأوا داراً للمعلمين لاعداء الكوادر في المراكز الكبيرة .

### **البون باستور Mission du Bon Pasteur**

تلخص ما كتبته مسؤولة هذه البعثة ، في إحدى رسائلها ، دورها وأهدافها :

revue d'histoire des Missions. p.522  
goyau. Les Lazaristes. p.159.

(١) مرجع سابق :

(٢) مرجع سابق :

« إن بعثة البون باستور في حانا تأسست في أيلول - سبتمبر - عام ١٨٩٣ من أجل عمل الخير للشعب اللبناني ، وفي سبيل نشر اللغة الفرنسية وحسنات الدين الكاثوليكي .. »<sup>(١)</sup>.

### الكبوشيون : *Les Capucins*

من أقدم البعثات التي وصلت إلى سوريا عام ١٦٢٥ . وهي ذات إدارة فرنسية بحتة . ينتهي تلامذتها إلى الطائفة الكاثوليكية . « أظهر الكبوشيون ، المسلمين المبدعون ، عبقرية فرنسا في دعayıهم الدينية في الخارج .. وكانوا يهدون لتوسيعها الاستعماري بطريقة غير مباشرة »<sup>(٢)</sup>.

### سيدات الناصرة : *Les Dames de Nazareth*

وصلت البعثة إلى بيروت عام ١٨٦٨ . فبدأت العمل بتأسيس مدرسة مجانية ، ودير على تلة الأشرفية في بيروت . تحظى مؤسساتها بمنحة سنوية من الفنصلية الفرنسية . والفرنسية هي لغة التدريس الوحيدة فيها . « عرف من طالباتها زوجتين لأنين من رؤساء دولة لبنان أثناء الأنذاب »<sup>(٣)</sup>.

### الأخوة المريميون : *Les Frères Maristes*

للبعثة وجود قديم في سوريا ، إلا أن مؤسساتها بدأت بالبروز عام ١٨٩٠ ، وأسسوا عام ١٨٩٦ مدرستين ، بمساعدة الأليانس الفرنسية ، مدرسة في رأس بيروت ، حيث يقطن الأوروبيون والوارنة بشكل أساسي ». شكل وجودهم « وإحساسهم الوطني وتضحيتهم دعماً قوياً لتعليم الفرنسية »<sup>(٤)</sup> أثر

khozami victoria.

(١) مرجع سابق . ص ٢٠٦

Ristelhueber . p.79.

(٢) مرجع سابق :

(٣) مرجع سابق : giappesi . ص ٣٨٢ .

(٤) مرجع سابق : villeneuve . ص ٢١٧ .

ازدياد مدارسهم وانتشارها في جونيه وصيدا والبترون وجبيل ودير القمر وعمشيت . أما طلابها « فهم من المسيحيين وأغلبهم من الموارنة »<sup>(١)</sup> .

### أخوة المدارس المسيحية : Frères des Ecoles Chrétiennes

تأسست في Reins عام ١٦٨٠ . وانتقلت من مصر إلى القدس وبيت لحم . استقرت البعثة في بيروت عام ١٨٨٩ . ومنها إلى طرابلس وبيت شباب . . .

### العائلة المقدسة Sainte Famille

وصلت إلى بيروت عام ١٨٩٤ .

### جمعية مريم الاصلاحية Société de Marie Réparatrice

افتتحت متزلاً لها في بيروت عام ١٨٩٨ .

### الكرمليون Les Carmélites

للبعثة وجود قديم في سوريا وفي فلسطين تحديداً . إلا أنها وصلت إلى بيروت في مطلع القرن العشرين .

### أخوات السان شارل : Sœurs ST. Charles

كان لها مدرسة في بيروت عام ١٩٠٨ .

### أخوات الزيارة Soeurs de la Visite

ساهمت هذه البعثات ، رغم وصولها المتأخر نسبياً ، في نهايات التاسع

---

(١) مرجع سابق : kholzami . ص ٦٤ .

عشر وبداية القرن العشرين ، إلى جانب اليسوعيين والعاذاريين فيما رغبت به فرنسا من « ربط الأمة المارونية بها » ، « عبر نشرها لللغتها في أواسط العائلات الميسورة ، وغرس حب فرنسا الحامية في قلوب جميع سكان هذا البلد »<sup>(١)</sup>. « وفي اعداد نخبة فكرية ، تعمل معنا لخلق بين الشرقيين وبيننا قرابة روحية»<sup>(٢)</sup>.

هذه المساهمة ، شكلت رافداً هاماً ومعيناً قوياً « رغم قلة مدارسها في بعض الأحيان» لأن أي مدرسة أو مؤسسة إضافية تنشر اللغة الفرنسية تبقى ذاتفائدة . لأن هذه الحضارة ستكون فرنسية أو انكليزية وفقاً للجهود التي ستبذلها فرنسا هنا لنشر نفوذها . . . وإذا غرسنا بواسطة اللغة الفرنسية ، التعلم والأخلاق ، فإننا سنسيطر على الشعب وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت جيش متovan . . .»<sup>(٣)</sup> .

## البعثات البروتستانتية

أشارت الحركة التبشيرية الانجيلية ، منذ البداية خصومة الكنيسة المارونية ، منذ بدأ الأمير كيوبن منهم يفدون إلى لبنان عام ١٨٢٠ ، ويتمركزون في بيروت . . . وقد بلغ من قلق الكنيسة المارونية لظهور المسلمين البريطانيين في مناطق الجبل أن البطريريك منع اتباعه من إرسال أولادهم إلى المدارس الانجيلية<sup>(٤)</sup> ، وأصدر أمراً بحرق الأنجليل « المضللة ». « هكذا رفض الانجيليون . . لأن عظ المسلمين البروتستانت كان يهدد تماسك الطائفة . أي وجودها كجامعة »<sup>(٥)</sup> .

(١) rochementeix C.P.J: Le Liban et l'expédition française en syrie 1860-1861 (documents inédits du général A.Ducroit) Paris 1921. p.83.

(٢) مرجع سابق . ١٠٦ . م. Mélia .

(٣) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة من Jules de Breton إلى غيزو بتاريخ ١٨٤١ - ١ . (راجع نص الوثيقة كاملاً في ملحق الوثائق) .

(٤) الصليبي . تاريخ لبنان الحديث . مرجع سابق . ص. ٩٠ .

(٥) شفاليه . مرجع سابق . ص. ٢٥٧ .

ولم تكن الحكومة الفرنسية أقل قلقاً من اقتراب البروتستانت من الموارنة . فها هي تأمر قناصلها في بيروت بمحاصرة نشاطهم لتفشيل أعمالهم . فقد ورد في رسالة موجهة إلى أحد هؤلاء : « إنني أطلب منك أن تراقب بانتباه وبطريقة سرية وسياسية ، قدر الامكان ، هؤلاء العملاء ، حملة الانجيل والمواعظ الخاطئة . . . لا يمكن أن يجلب هؤلاء المعουشون إلا الضرر العظيم على مصالح ديننا وعلى تجاراتنا الوطنية . وعلينا ، لحماية كل ذلك ، أن نستخدم كل ما نملك وأن نحافظ على حيادنا الظاهر »<sup>(١)</sup> إلا أن القلق الفرنسي ، والرفض الماروني ، للنشاط البروتستانتي حول اهتمام البريطانيين إلى الدروز ، الذين اعتبروا ذلك فرصة مناسبة لتدعيم مواقفهم في وجه الموارنة الذين تحميهم فرنسا ، خاصة « وأنهم شاهدوا حديثاً بعض الرهبان الموارنة يرفعون العلم الفرنسي على أديرتهم »<sup>(٢)</sup> .

في هذه الأثناء ، كان المرسلون الأميركيون قد بدأوا نشاطهم التربوي في بيروت وجبل لبنان . فأسسوا فيها عدة مدارس اضطررت للتوقف عن العمل أبان اضطرابات ١٨٤٠ . ثم استأنفت نشاطها بعد ذلك . وأسسوا في عبيه مدرسة « أصبحت من أهم المعاهد الانجيلية في البلاد لتدريب الطلاب على التبشير الأنجليلي »<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن المعاناة الصحية في المناطق اللبنانية ، كانت الثغرة الملائمة التي نفذ منها اليسوعيون والمرسلون البروتستانت على حد سواء ، وكما اصطحب اليسوعيون مريضاً ضمن بعثتهم ، التحق بالبعثة البروتستانتية طبيب من بوسطن ، « والطب بالنسبة لبوسطن ، كالتربيبة ، وسيلة وليس غاية »<sup>(٤)</sup> .

أما وسائل الترغيب التي اعتمد عليها البروتستانت ، فهي كما يقول

(١) شفاليه المرجع نفسه . ص . ٢٥٧ .

(٢) الصليبي . المرجع السابق . ص . ٩١ .

(٣) الصليبي . المرجع السابق . ص . ١٧٥ .

(٤) ذكره سلام نواف . المرجع السابق . ص . ٥٥ .

اليسوعيون « تقديم الكتب والأوراق وحتى الشاب مجاناً ... وكذلك تعليم القراءة العربية والكتابة والحساب ... »<sup>(١)</sup>. وقد ساهمت مطبعة الأميركيين التي نقلوها من مالطا إلى بيروت في طباعة الكتب الضرورية للتعليم .

ولم يواجه النشاط البروتستاني ، ما واجهه النشاط الكاثوليكي في بداية عمل ارسالياته من اختلاف وتباعد على الصعد العملية والسياسية ، فقد تعاونت « جمعية المدارس الأنكليزية في سوريا » التي تشكلت في لندن ، مع المسلمين الأميركيان ، وتم افتتاح المراكز التعليمية للفتيان والفتيات ، ومراكز للمعاقين والعميان .

أما أبرز الأنجازات التي توجت عمل « الانجليز » في لبنان فكان تأسيس « الكلية السورية الانجليزية » في بيروت .

**« الكلية السورية الانجليزية » (الجامعة الأميركية )**

أدى تطور النشاط التعليمي البروتستانتي في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، إلى التفكير في كلية للتعليم العالي ، خاصة وأن النشاط اليسوعي يتضاعمي ومدارسهم تزداد في بيروت وبباقي مناطق لبنان ، والتنافس السياسي والاقتصادي بين فرنسا وإنكلترا يستند حول المشرق العربي ، ومن أجل إعداد « نخب داخلية » تقود البلاد في المستقبل القريب ». كان ذلك هو المحرك لفكرة تأسيس الكلية في أذهان مسؤولي البعثة دانييل بلس والدكتور وليم طومسون . لذا انتقلت البعثة من عبيه إلى بيروت . لأن هذه الأخيرة « نقطة اتصال ومركز إشعاع »، وفيها « نظموا نشاطهم من أجل تعليم مزدهر ، يسير بطريقاً ولكن بشقة .. »<sup>(٢)</sup> .

هكذا افتتحت « الكلية السورية الانجليزية » عام ١٨٦٦ . وبعد سنة

(١) مرجع سابق ١٩٤-١٩٥ p.194-195 jullien. tome I.

missionnaires de 20 ans. Paris 1931- p.27.

(٢)

واحدة بوشر العمل في القسم الطبي فيها . أما مالياً فكانت ترتبط بأرصدة تجمع لها في أميركا .

ضمت الكلية عام تأسيسها ستة عشر تلميذاً من بيروت ، وإثنا عشر من جبل لبنان ، وواحد من طرابلس . أما الأساتذة فكانوا ثلاثة « يرتدون الزي العربي ، ويدرسون باللغة العربية » .

### قسم التعليم في الكلية إلى مراحل ثلاث : تحضيرية ، علمية ، وطبية .

تستمر المرحلة التحضيرية ثلاثة سنوات ، يتعلم الطلاب خلالها مبادئ العربية ، البلاغة الانكليزية ، الفرنسية ، الجبر ، الحساب ، والجغرافيا .

أما المرحلة العلمية فمدتها أربع سنوات . وهي تلي التحضيرية . يحصل التلميذ في نهايتها على دبلوم في العلوم . وكذلك تستمر المرحلة الطبية أربع سنوات أيضاً .

وقد عرفت اللغة العربية في « الكلية السورية الأنجليلية » مراحل ثلاثة تعبر فيها ييدو ، عن تبدلات واتجاهات سياسية لدى مسوولي هذه الكلية . « فقد امتدت المرحلة الأولى أربعة عشر عاماً من ١٨٦٦ حتى ١٨٨٠ ، كانت خلالها لغة التعليم في جميع الفروع العلمية بما فيها الفرع الطبي . وطفت فيها على الانكليزية . أما المرحلة الثانية فبدأت عام ١٨٨٠ وانتهت بعد عشر سنوات في ١٨٩٠ اصبحت العربية خلالها لغة ثانوية . وتحول التعليم في الفروع العلمية إلى اللغة الانكليزية التي احتلت موقع الصدارة . إما المرحلة الثالثة فتميزت « بإعادة الاعتبار » إليها رغم استمرار الغلبة للغة الانكليزية <sup>(١)</sup> . أدى هذا التحول في مسار اللغة العربية ، إلى قلق الطلاب المسلمين رغم قلتهم الذين انجذبوا إلى « الكلية السورية » ورأوا فيها بدلاً تعليمياً عن جامعة القديس يوسف ذات « الصبغة المارونية المسيحية » . وتأكدت احصاءات الخريجين في قسم الطب ، بعد أكثر من عشر سنوات على تأسيس

(١) المقتطف ، ١٩٠٣ ، ص . ٩٠٥ - ٩٠٦ .

الكلية ندرة المسلمين قياساً إلى الطوائف الأخرى . « فقد تخرجثناء الفترة المتدة بين ١٨٧١ و ١٨٨٣ اثنين وستين طبيباً جلهم من لبنان ومعظمهم من النصارى ، ... بينهم مسلم واحد وثلاثة دروز . . . »<sup>(١)</sup> .

لذا ورغبة في اجتذاب المسلمين إلى إدارتها وتعليمها ، عمد مسوّ ولو الكلية عام ١٩٢٠ إلى استبدال « السورية الانجليزية » ، « بالجامعة الأمريكية » ، لزع الصبغة الدينية عنها ، ولمنافسة « جامعة القديس يوسف » بسهولة أكثر .

أضيف إلى كلية الطب ، كلية للصيدلة ، ومدرسة معلمين ، ومدرسة للتجارة ، ومدرسة زراعية ، ومدارس ثانوية وتحضيرية . وبمبادرة من سميث وفانديك ، والبستانى واليازجي تلميذا البروتستانت ، تأسست « الجمعية السورية للعلوم والفنون ». أما بطرس البستانى فأسس المدرسة الوطنية العلمانية في بيروت التي « تحضر الطلاب لدخول الجامعة الأمريكية »<sup>(٢)</sup> .

وقد تكون المرسلون البروتستانت في خضم نشاطهم التعليمي ، وبواسطة مطبعتهم ، من نشر أفكارهم وكتبهم المدرسية ومجلاتهم الأسبوعية . « حتى بات من بين أربع جرائد تصدر في بيروت عام ١٨٧٠ ، ثلات منها ذات ميل بروتستانتية . . . أما الحقيقة الكاثوليكية ، كما يقول اليسوعيون ، فلا مجلة تعبر عنها . . . »<sup>(٣)</sup> .

لكن كل ذلك ، ورغم تأسيس « الكلية السورية الأنجليلية » المبكر ، فإن التعليم البروتستانتي لم يفلح في منافسة نظيره اليسوعي ، نظراً لتدخل النشاط التعليمي مع القوة السياسية والاقتصادية للدول الأوروبية ، حيث كانت فرنسا تحتل موقعاً متميزاً بين مثيلاتها في لبنان . أما البروتستانت ، فيرون

(١) اسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، مرجع سابق . راجع اسماء الاطباء بالتفصيل في الصفحات : ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) mathieu-Akrawi- L'éducation dans le moyen orient arabe. Beyrouth. 1949- p.257.

les jésuites en syrie. Fascicule V-VI. p.8-25

(٣) مرجع سابق :

أربعة أسباب لما أصاب نشاطهم من انحسار وهي : أولاً - عداء السلطات العثمانية .

ثانياً - المواجهة الأكيليريكية للروم والموارنة .

ثالثاً - الدعم والإمكانيات التي وفرتها كل من فرنسا وروسيا لحماية مرسليها ، ولغایاتها السياسية .

رابعاً - تماسك العرق العربي وتضامنه<sup>(١)</sup> .

### البعثات الأوروبية الأخرى (\*)

تحول النشاط الارسالي عبر البعثات التعليمية والتبشيرية ، إلى صراع وتنافس « لكسب الموارنة ». ويعبر مثل فرنسا عن هذه الحقيقة في قوله من ابتعاد الموارنة عنهم : « لأن اختلافنا مع الكرسي الرسولي في روما ، وسوء تصرف قناصلنا سيستفيد منه منافسونا الطليان والروس والالمان الذين يسعون بجميع الوسائل لابعاد الموارنة عنا . » .

لذا ترافق النشاط التعليمي للبعثات وأماكن تواجدها مع النشاط التبشيري والسياسي بما يلائم مصلحة الدولة التي تدعم وتساعد . إلا أنها لم تفلح ، كما جرت الأمور فيها بعد ، لا في منافسة السياسة الفرنسية ، ولا في منافسة بعثاتها .

### المسلون الطليان .

يعود وجود هؤلاء في لبنان إلى زمن العلاقة بين فخر الدين الثاني وإيطاليا . حيث سمحت الاتفاques التجارية المعقدة آنذاك ، للغة الإيطالية أن تفرض نفسها في الشؤون الاقتصادية والتجارية وحتى في المعاملات اليومية . « وقد ساهمت عدة عوامل في نشر هذه اللغة وتغلغلها في الأوساط المختلفة .

(١) tibawi ، ذكره سلام المرجع السابق ، ص . ١٩١ - ١٩٢ .

(\*) راجع أيضاً الوثيقة الأخيرة في ملحق الكتاب حول المدارس الأجنبية ( رقم ٣٢ ) .

ففي البداية زرع طلاب الكلية المارونية القدامى حب هذه اللغة أينما حلوا في لبنان . كذلك كانت المواصلات البحرية . . حتى زمن قريب في أيدي أهل جنوبي والبنديمة الذين كان لهم ولده طويلة مؤسسات عديدة على طول الشاطيء . . والذين أصبحت لغتهم شيئاً فشيئاً اللغة الأجنبية الأكثر رواجاً في الشرق . «<sup>(١)</sup> .

إلا أن نجم هذه اللغة بدأ بالأفول في منتصف القرن التاسع عشر ، وغابت نهائياً ، بعد أن تركت آثاراً هامة في ألفاظ اللغة التجارية والاقتصادية . وتعلمت الأجيال الجديدة اللغة الفرنسية التي باتت لا غنى عنها للاتصال بالأوروبيين . «<sup>(٢)</sup> .

بقيت المدارس الإيطالية قليلة العدد حتى الحرب العالمية الأولى . وكانت جميعها في شرق بيروت . إلا أنها اقتلت أثناء الحرب ، لتعود نشاطها فيما بعد . وبين عامي ١٩٢٢ ، و١٩٢٣ ، وبفضل مساعدات « الجمعية الوطنية للبعثات الإيطالية في الشرق » ، افتتحت عدة مدارس في طرابلس ، والقبيات ، وبشرى ، كما افتتح في بيروت مدارس تشرف عليها الأخوات . إلا أن عدد المدارس لم يتجاوز حتى عام ١٩٢٤ أربعة عشر مدرسة .

#### البعثات النمساوية :

اقتصر نشاطها على المساعدات المادية وعلى بعض « الأعمال الإنسانية ». وقد حاولوا الوقوف إلى جانب اليسوعيين ، وتأييدهم أثناء خلافهم مع فرنسا ، لجذبهم إلى فلك السياسة النمساوية . . .

#### البعثات الروسية :

اتجهت أساساً نحو الروم الارثوذكس . فبقيت خارج حلبة الصراع التي اشتدت بين البروتستان والكاثوليك .

(١) Eugène Y : Les Puissances devant la révolte arabe , Paris 1966 - p . 196 .

(٢) عبد النور . المراجع السابق ، بالفرنسية ، ص . ٥٥ - ٥٦ .

امتدت من فلسطين إلى لبنان عام ١٨٨٢ بناء على قرار «الجمعية الارثوذك司ية الملكية في فلسطين» . وتم افتتاح أول مدرسة لها في بيروت عام ١٨٨٧ . تلتها مدارس أخرى في صور وحاصبيا ومرجعيون وراشيا وكسروان والمن والكورة وطرابلس .. أما لغتنا التدريس فهي العربية والروسية .

كان «للجمعية الارثوذك司ية» في فلسطين مدرسة لأعداد المعلمين تستقبل الطلاب المنوھين من لبنان ومن سائر مناطق الشرق الأوسط . حيث التدريس باللغة الروسية فقط ، إلى جانب بعض مبادئ العربية . ومن ينھي دراسته في هذه المدرسة ، يسافر إلى روسيا لتابعة تحصيله ليعود بعد ذلك إلى التعليم في المدارس الارثوذك司ية .

### البعثات الالمانية :

افتتحت مدارسها في بادىء الامر لتعليم أطفال الالمان . ثم دخل بعض ابناء الارثوذكس إليها . إلا أنها لم تحقق نفوذاً ملحوظاً بين البعثات المتنافسة . ويقول أحد الفرنسيين معلقاً على نشاطهم «على المهندسين الالمان أن يتعملاً لغتنا كي يسمعهم الناس ، ويفاهموا مع موظفيهم »<sup>(١)</sup> . وذلك اشارة إلى قلة انتشار هذه اللغة وقلة الذين يعرفونها .

(١) عبد النور . المرجع السابق . ص . ٥٦ .

## ملحق وثائق الفصل الخامس

- (١) فوائد كلية عينطورة للفرنسيين .
- (٢) حث على الاهتمام بكلية عينطورة خدمة للنفوذ الفرنسي عبر العائلات المارونية .
- (٣) المدارس الاجنبية في بيروت ، اللاذقية ، حمص ، حماه ، طرابلس ، صيدا ، وجبل لبنان ، والمدارس الاميركية في طرابلس مع جداول بانتشارها في الانقضية المختلفة ..

## المراسلات القنصلية والتجارية

تركيا - بيروت ١٨٣٤ - ١٨٣٥

مجلد واحد (٣) ter

قنصلية فرنسا في عكا وتوابعها .

بيروت ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٣٤

الإدارة التجارية .

رقم ٧١

سعادة الاميرال الكونت دي ليرين Comte de lirigny وزير الشؤون الخارجية في باريس .

إن رجال الدين يتعلّقون بنا ( العازاريون ) ، لا يكتفون بتقليل إسلامهم ، لأن حاجات اليوم أكبر من حاجات الزمن الماضي ، بل يريدون أن تكون كلية عينطورة لابناء الفرنسيين وابناء الموارنة أيضاً الذين يتهيأون لكي يصبحوا تجاراً وكتاباً وترجمة ، وان تكون كذلك إلى من يرغب في تعلم القردية والاطالية . سيكون لهذه المؤسسة فائدة مزدوجة بالنسبة لفرنسيي سوريا وقبرص والمناطق المجاورة : في تربية أطفالهم أولاً ، وفي اعداد تجار وترجمة وكتاب يتقنون الفرنسية ويعاملون معهم مباشرة ، دون اللجوء إلى مترجمين .

لقد فكرت ، سعادة الوزير ، أن مؤسسة كهذه ، تستحق تشجيع غرفة تجارة مرسيليا التي تهتم ولا شك بازدهار تجارتنا في الخارج .

التوقيع : غيزو

وثيقة رقم (١)

# مراسلات القنصلية السياسية

تركيا - بيروت

مجلد ٤

قنصلية فرنسا في بيروت

الإدارة السياسية

رقم ٥٣

بيروت ٧ تموز (أغسطس) ١٨٤١

سعادة السيد غيزو وزير سكريتير الدولة في قسم الشؤون الخارجية في  
باريس .

منذ مدة وأنا اقترح أن تهتموا بكلية العازاريين في عينطورة اهتماماً  
خاصاً . إن هذه المدرسة ، ولسبب النقص في الأموال اللازمـة ، قد توقفت  
عن التقدم حالياً .

يبدو لي ، سعادة الوزير ، أنه بالإضافة إلى ما يتحققه توسيع هذه المدرسة  
لتفوذنا ، فإنها تقدم للملك أيضاً فائدة مباشرة . فإذا وهبنا لها عشر منح ، أو  
خمس عشرة . وإذا كان بالامكـان توفير قسم من هذه المنح لبعض أطفال الأسر  
المارونية ذات الارتباط الوثيق بفرنسا ، فإن حـكومـةـ الملك ستخلـقـ بينـ هـذـهـ  
العائلـاتـ منـ خـلالـ نـشـرـ اللـغـةـ وـالـثـقـافـةـ الفـرـنـسـيـنـ ،ـ نقاطـ اـتصـالـ جـديـدةـ معـهاـ  
وـمعـ الـبـلـدـ ،ـ وـرـمـوزـ جـديـدةـ وـثـمـيـنةـ لـلـاعـتـراـفـ بـفـضـلـهاـ .

التـوقـيعـ غـيرـ وـاضـعـ

وثيقة رقم (٢)

رقم ٢٧

بيروت ٣١ اذار (مارس) ١٨٩٦

من السيد SOUHART ، قنصل فرنسا العام في بيروت ، إلى السيد BERTHELOT وزير الشؤون الخارجية .

سيدي الوزير

منذ وصولي إلى هنا ، سُغلت بما نواجهه من منافسة مؤسسات البعثات الأجنبية ، الإيطالية ، البروتستانتية والارثوذكسيّة ، التي تتنامي يوماً بعد يوم . فوُجِدَت أنَّه من المفيد أنْ أجمع في تقرير شامل المعلومات المتعلقة بهذا الشأن التي جمعها وكلاؤنا .

كما اتشرف أن انقل لسعادتكم ، هذا العمل الذي يبدو لي مكملاً للتقارير التي ترسل كل سنة إلى سفارة فرنسا في القدسية بمناسبة طلبات المنح للمؤسسات الدينية التي ندعمها في سوريا .

التوقيع : سوهار

ملحق لتقرير ٣١ اذار (مارس) ١٨٩٦ رقم ٢٧

## I المدارس الأجنبية في بيروت

إن المدارس الفرنسية أو المدارس التي نساعدها ، حيث يختل تعليم الفرنسية المرتبة الأولى فيها ، هي المدارس الأكثر عدداً بين جميع المدارس الأجنبية في بيروت . وما يمتلكه خصومنا في هذه المدينة ، من مؤسسات ، لا يمكن أن يقارن بتلك التي نسيطر عليها . إن الإيطاليين والإنكليز واللانطيرون مؤسستهم ويجذبون إليهم أولاد السكان المحليين . كما يجب أن نضيف إليهم ، من ضمن المدارس الأجنبية ، المدارس الاسرائيلية والمدارس الارثوذكسيّة .

وثيقة رقم (٣)

## ١ - المدارس الايطالية :

يبدو أن الايطاليين هم من أكثر خصومنا بذلاً للجهود والتضحية . لقد اضطروا ، منذ خمس سنوات ، ولاسباب اقتصادية ، أن يغلقوا قسماً كبيراً من مدارسهم التي اسسواها في المشرق ؛ وقد ركزوا جهودهم على عدد من المؤسسات التي احتفظوا بها في المدن الكبرى ، خاصة في بيروت .

وتشير المعلومات التي حصلنا عليها ، إلى أن نفقات هذه المدارس تصل إلى ما يقارب خمسين الف فرنك في السنة . أما النتائج ، فلا تتلاءم مع هذا المبلغ الضخم . لقد كفت اللغة الايطالية منذ عدة سنوات ، في بلاد المشرق ، عن أن تكون اللغة السائدة في التجارة واستبدلت بالفرنسية . أن السكان يفضلون اذن مؤسساتنا ، أما ازدهار المدارس الايطالية في رأس بيروت فلا يفسر سوى بالغياب التام للمدارس الأوروبية الأخرى من جهة ، وبالهبات المادية من كل نوع التي تقدمها إيطاليا للاطفال في مؤسساتها من جهة أخرى لهذا السبب توزع إدارة المدرسة الكتب واللوازم المدرسية مجاناً ، وتهب الطلاب المحتاجين ثياباً ، ومالاً في بعض الاحيان ، كما تمنح المرضى منهم الأدوية المناسبة التي يقترحها الطبيب الذي ترسله هذه الإدارة . كان لا بد وأن تجذب هذه الوسائل الطلاب في بلد سكانه فقراء ويتهزون الفرص على أنواعها للاستفادة من وجود الاجنبي . كما يجب أن نضيف إلى كل ذلك أن حي رأس بيروت أصبح أكثر الاحياء سكاناً ويتسع يوماً بعد يوم .

لكن ، وبالرغم من جهود الحكومة الايطالية ، فإننا حين نقرر افتتاح مدرسة مجانية في هذا القسم من المدينة سوف تفرغ مؤسسة منافسينا من معظم طلابها . وقد استقبلت القنصلية العامة في السنوات الأخيرة ، طلبات عدّة من زعماء الطوائف المختلفة ، من أجل إقامة «أخوات العقيدة المسيحية» في رأس بيروت ؛ إلا أن بعض الصعوبات المالية حالت دون استجابة هذا الطلب ، الذي يستحق من ناحية نفوذنا السياسي ، أن يؤخذ بعين الاعتبار . إن التقديرات .. لتأسيس مدرسة فرنسية في رأس بيروت تراوح بين ستة الاف

وسبعة الآف فرنك للسنة الأولى وأربعة الآف للسنوات اللاحقة .

يبلغ عدد المدارس الإيطالية في بيروت أربعاً ، هي :

١ - مدرسة ابتدائية للبنين في رأس بيروت ، تضم حوالي ١٥٠ تلميذاً ،  
أغلبهم موارنة ، وخمسة معلمين إيطاليين وأربعة من السكان المحليين .  
الإيطالية هي أساس التعليم .

٢ - مدرسة ابتدائية للبنات في الحي نفسه ، تضم أكثر من ثلاثة طالبة  
وست معلمات إيطاليات واثنتين من أهالي البلاد . إلى جانب هذه المدرسة  
هناك مؤسسة للشبان الصغار تشرف عليها معلمتان إيطاليتان .

٣ - مدرسة تجارية تأسست عام ١٨٩٤ وهدفها نشر اللغة والنفوذ  
الإيطاليين في هذا البلد وكذلك منتجات شبه الجزيرة . في البداية ، كان مدير  
المدرسة يرأس وكالة تجارية ... تضم المدرسة التجارية أربعة صنوف ، أما  
الللاميد الذين يتبعون جميع الدروس بانتظام فيقبلون مجاناً في المدارس العليا  
للتجارة في إيطاليا . يتضمن البرنامج ، بشكل عام ، مبادئ المحاسبة  
والرياضيات ، والجغرافيا التجارية . التعليم بالإيطالية ، إلا أنهم اضطروا  
لتعلم الفرنسية أيضاً ؛ لقد باتت معرفة لغتنا أمراً لا غنى عنه في الشرق .

وتعتبر هذه المدرسة حديثة العهد أمام ما تتوخاه من نتائج جدية ؛ ويبدو  
أنماها لن تتمتع بمستقبل مشرق . فعدد الطلاب الذي كان ٢٥ طالباً إبان  
افتتاحها في تشرين الأول ( اوكتوبر ) عام ١٨٩٤ أصبح ٢٤ مع بداية عام  
١٨٩٥ ، وهو اليوم اثنان وعشرين . ولا تعود ضاللة هذا النجاح إلى قلة  
التعاطف مع المدارس الإيطالية فقط ، بل وإلى اضطرار الطلاب لتعلم اللغة  
الإيطالية التي تبدو فائدتها قليلة جداً .

من المؤكد إذن ، أننا حين نفتح مدرسة مهنية وتجارية ، سوف سيترك  
معظم الطلاب المعهد الإيطالي ويتحققون بنا .

هذه المدارس الثلاث هي مدارس رسمية إيطالية وتخضع لashraf

القنصل الايطالي العام مباشرة . أما الرابعة فهي أقل أهمية ، وهي مدرسة خاصة للسيد Benetti .

٤ - مدرسة Benetti : أسسها قبل عدة سنوات أحد الايطاليين الذين مارسوا لمدة طويلة مهنة التدريس في مدرسة اليسوعيين في بيروت . لا تضم هذه المدرسة أكثر من أربعين تلميذاً يتلقون تعليماً ابتدائياً صرفاً ، والفرنسية إلى جانب الايطالية . يقوم بالتدريس Benetti نفسه ويعاونه معلمان من أهالي البلاد .

إلى جانب هذه المدارس التي تشرف عليها القنصلية العامة لـ ايطاليا مباشرة ، أرى أن أضيف عدداً آخر من المدارس الدينية التي تنافسنا ، والتي يشرف عليها آباء الفرنسيسكان « للأرض المقدسة » في مختلف المدن حيث تنتشر هذه البعثات ذات العواطف الايطالية . وأبرزها مدارس طرابلس للبنين والبنات لتعليم الايطالية ، ومدرسة الناصرة التي يُنافس الفرنسيسكان فيها ، بكل الوسائل الممكنة ، مدرستنا التي يشرف عليها « الاخوة Les Frères .

أما خارج هاتين المنطقتين فلا يبقى سوى بعض المدارس الصغيرة الملحوقة بأديرة « الأرض المقدسة » ، حيث التعليم غير ذي فائدة .

## ٢ - المدارس الالمانية :

يمتلك الالان في بيروت مؤسستين هامتين : مستشفى تستخدمن بثابة عيادة لكلية الطب الاميركية ، ومدرسة للفتيات في حي رأس بيروت . يشرف على هاتين المؤسستين ويديرهما الرهبان البروتستانت .

يؤم المدرسة أطفال الجالية الالمانية بشكل خاص وعدد من السكان المحليين من طائفة الارشذكس الذين يتعاطفون في الشرق ، مع البروتستانتية ، وبالتالي مع انكلترا . كذلك بعض أولاد العائلات الفرنسية نظراً لقربها . يصلح عدد التلاميذ الاجمالي ٦٥ طالباً ، بينهم أربعون داخلياً وخمسة وعشرين خارجياً ؛ أما عدد المعلمات فهو تسعة ، ست راهبات وثلاث من أهالي البلاد .

التعليم بالعربية والالمانية أما الفرنسية فتحظى ببعض الدروس الخاصة  
لمن يرغب في امتلاكها .

وهناك مدرسة أخرى في بكفيا ، للفنون والمهن يشرف عليها راهب كاثوليكي هو الاب شميت ، وهي تحت الحماية الالمانية . . . أسس الاب شميت هذه المدرسة عام ١٨٩٤ ، بعد أن سافر إلى فرنسا والمانيا ليجمع المال اللازم لذلك ، ثم عاد إلى بيروت ومعه ستة أشخاص ذوي أصول المانية .

وقد اكتشف بعد مدة وجيزة استحالة تلبية متطلبات المدرسة ، فلجأ إلى جميع الأبواب ؛ وبما أنه لم يلق اذناً صاغية لدينا ، فقد اتجه نحو القنصلية الالمانية التي وهبته فوراً مساعدة من حكومتها . هكذا أصبحت تلك المدرسة تحت الحماية الالمانية .

مهما يكن من أمر هذه المدرسة ، فإنها الآن في وضع لا تخسده عليه ؛ فهي في وسط ماروني شديد الميل لفرنسا ، واساتذتها لا يعرفون سوى الالمانية ، ولم تستطع أن تكسب ثقة العائلات التي لم ترسل إليها سوى بضعة أولاد فقط . وقد حاول المدير ، الذي أدرك صعوبة الظروف المحيطة به ، أن ينتقل بها إلى وسط أكثر ملائمة ، إلا أنه لا يزال لغاية اليوم ، يصطدم بنفوذ الاهالي ، ورفضهم بيع أو تأجير أي مكان آخر .

### ٣ - المدارس الاميركية :

١ - أسس المرسلون الاميركان ، منذ خمس عشرة سنة تقريباً ، كلية للطب في رأس بيروت . مجهزة جيداً وينفقون عليها بخاء كبير . في هذه الكلية التي تنافس كلية سبعة أساتذة اميركيين ، ستة منهم للطب والأخر للصيدلة . وتضم حالياً ٧٧ تلميذاً . تعطى الدروس بالعربية بعد ترجمتها مباشرة من الانكليزية . استمر هذا النظام طيلة السنوات الأخيرة ، لكن مساوئه كثيرة لأن اللغة العربية تفتقد للمصطلحات العلمية . وقد احرز تدريس الانكليزية في مدارس البغاثات تقدماً ملحوظاً ، لذا الغيت الترجمة إلى العربية واقتصر التعليم على الانكليزية مباشرة .

٢ - إلى جانب كلية الطب ، اسس الاميركيون نوعاً من المدرسة التحضيرية حيث تدرس العربية ، الانكليزية ، ومبادئ العلوم . أما الفرنسية فاختيارية . ويلتقى معظم طلاب الطب تقريباً في هذه المدرسة التي تضم مئي تلميذ .

٣ - للاميركيين أيضاً مدرسة للفتيات مجاورة للمدرسة السابقة ، تضمأربعين داخلياً وخمسين خارجياً وثلاث معلمات أميركيات وأربعاء من سكان البلاد . تدرس فيها الانكليزية ، العربية ، أشغال الابرة والموسيقى ، والفرنسية اختيارية .

وتقع جميع هذه المدارس في حي واحد ، على المرتفع الغربي من رأس بيروت . أنها أجمل مؤسسة مدرسية في المدينة ، بالإضافة إلى كلية الآباء اليسوعيين .

#### ٤ - مدارس البعثات الانكليزية :

لهذه البعثات أيضاً أربع مدارس مهمة :

١ - معهد للفتيات مجاور لمؤسسة اخوات القديس يوسف ومنافس لها . يضم ستين داخلياً وعدد مماثل من الخارجين . التعليم بالانكليزية والعربية بواسطة ست معلمات ، ثلات منهن انكلزيات ، وثلاث من سكان البلاد .

٢ - مدرسة ابتدائية للبنين في رأس بيروت تضم ثمانين تلميذاً وثلاثة أساتذة .

٣ - مدرسة ابتدائية للفتيات في الحي نفسه ، تضم اربعين تلميذاً .

٤ - مدرسة ابتدائية أخرى للفتيات في حي الروم الارثوذكس ، تضم خمسين تلميذاً واستاذين . في هذه المدارس الابتدائية الثلاث يقتصر التعليم على العربية فقط .

## ٥ - المدارس الارثوذكسية :

للروم الارثوذكس في بيروت مدارس هامة ، بينها اثنان تتولى أمرها الحكومة الروسية .

١ - مدرسة ابتدائية للبنين في حي المزرعة ، تضم مئتي تلميذ وثلاثة اساتذة . التعليم بالعربية والفرنسية .

٢ - مدرسة ابتدائية للبنين في حي المصيطبة ، فيها ثلاثة اساتذة واربعمائة تلميذ يتعلمون العربية والفرنسية أيضاً .

٣ - مدرسة للبنين في حي القديس نيكولا ، وفيها اربعة اساتذة ومائتي تلميذ .

٤ - مدرسة ابتدائية للصبيان في حي Télat AHmar ، حيث التعليم بالعربية ، والفرنسية واليونانية . تضم هذه المدرسة مئة وتسعين طالباً وستة اساتذة .

٥ - مدرسة للفتيات ملحقة بالسابقة ، تستقبل مئتي تلميذ ؛ والتعليم فيها مماثل لتعليم الصبيان .

التعليم في جميع المدارس السابقة غير مجاني . إلا أن القسط الشهري غير مرتفع ويختلف وفقاً لإيراد الأهل .

٦ - مدرسة داخلية للبنات « باكورة الاحسان » ، تدعمها بشكل أساسي سيدة غنية من أهالي البلاد « مدام جورج سرسق » . تضم المدرسة مئتي تلميذ بينهم مئة وأربعين يدفعون اقساطاً ، وستين يتلقونها مجانياً . وفيها خمسة عشر استاذةً ومعلمة ( بينهم معلمتان فرنسيستان ) يعلمون بالعربية والفرنسية .

وتتولى الحكومة الروسية من جهة أخرى ، الاشراف على مدرستين :

١ - مدرسة مجانية مختلطة في حي المزرعة ؛ تضم مئة وخمسين تلميذاً يتعلمون العربية ويتقنون دروساً في اللغة الروسية .

٢ - مدرسة مجانية أخرى في المصيطة . عدد تلاميذها حوالي المائتين . والتعليم فيها بالعربية . والروسية أيضاً .

لقد بدأت روسيا الاهتمام بمدارس بيروت مؤخراً . لذا فإن نشاطها لا يزال ضيقاً . ولكن يجب أن نتوقع اتساعاً في جهودها ، وليس غريباً أن نرى مؤسساتهم في غضون سنوات ، تجتذب الروم الارثوذكس كافة ، وتنافس مؤسساتنا بقوة .

## ٦ - المدارس الاسرائيلية :

١ - تأسست الاليانس الاسرائيلية العالمية في بيروت منذ سنوات عدة ، مدرسة للبنين والبنات من الطائفية اليهودية .

تضم هذه المدرسة ستة وتسعين تلميذاً وأربعة أستاذة ، اثنان منهم تعلّم الفرنسية ، واثنان لتعليم العربية ، ومئة وتلميذتين ، ومعلمتين فرنسيتين ومعلمتين من أهالي البلاد .

جميع الطلاب خارجين . بعضهم يدفع قسطاً زهيداً يتراوح بين أربعة وخمسة فرنكارات في الشهر ، أما الباقون فمعظمهم مجاناً . لذا تحمل الاليانس تبعات ثقيلة ، وبيدو من المعلومات التي حصلت عليها ، أنهم يفكرون في إغفالها لأنها لم تتحقق التائج المرجو .

٢ - مدرسة خاصة أسسها السيد « شانتوب ». تتلقى تلامذة خارجين فقط ، وعدهم ثمانين . يعود نجاح هذه المدرسة إلى تمسك التعليم فيها الذي يعطيه المدير واستاذين آخرين . الفرنسية هي أساس التعليم أيضاً ؛ لكن تعليم العبرية يحتل مكاناً خاصاً ويمارس بشكل جدي ، مما دفع الكثير من العائلات الميسورة من الجالية اليهودية في بيروت لارسال اولادهم إليها .

٣ - المدرسة الداخلية في حي « مار متري » التي أسسها السيد « كوهين ». اغلب تلامذتها ، وعدهم حوالي الخمسين ، هم من خارج بيروت ، من مصر أو من شمال سوريا . فيها خمسة أستاذة يدرسون بالفرنسية

والعربية . إلا أن المدرسة لا تقدم ، ويبدو أن مديرها يفكر بصرف الموظفين واللامذة لما يعانيه من صعوبات مادية .

## II المدارس الأجنبية في اللاذقية .

ليس لنا في اللاذقية سوى مدرسة واحدة للفriger تضم حوالي ثمانين تلميذاً . أما البعثات الانكليزية - الاميركية فلها مؤسسات هامتين تماماً حياً بأكمله من المدينة .

١ - مدرسة للبنين تضم ٣٥ داخلياً و ٨٠ خارجياً يتممي معظمهملطائفي الروم الارثوذكس والارمن غير الكاثوليك .. يتالف الجسم التعليمي من أربعة اساتذة اميركيين وأربعة محليين . التعليم بالعربية والانكليزية فقط .

٢ - مدرسة للفتيات تضم ١١٠ داخليين اغلبهم من الروم الارثوذكس . يبلغ عدد المعلمات ثمانيناً ، انكليزيات واميركية لتعليم اللغة الانكليزية ، وخمساً من أهالي البلاد لتعليم العربية .

أما على المستوى الديني فالنتائج التي حصلت عليها البعثات الانكليزية - الاميركية تكاد تكون معروفة . وبالرغم من التشدد في اتباع الطقوس البروتستانتية في المدرسة ، هناك قلة قليلة من الذين يعتقدونها بصدق وصراحة . لأن التلاميذ عندما يعودون إلى بيوتهم ، يسارعون أيضاً إلى العودة لمعتقدات آبائهم ، ومن يبقى منهم بروتستانتياً يفعل ذلك بداعع المصلحة فقط .

أما النتائج الملحوظة فهي على مستوى نشر اللغة الانكليزية . فقد تأسست المدرستان قبل خمسين سنة ، بينما يعود تاريخ الفriger إلى بضع سنوات فقط . أي أن البعثات الانكليزية الاميركية لم تواجه أية منافسة ، فعملت بحرية على نشر النفوذ واللغة الانكليزيين . . . . .

### III المدارس الأجنبية في حمص وحماه

لليسوعيين في حمص مدرسة تضم ثمانين تلميذاً . انهم المرسلون الالاتين الوحيدون الذين يساهمون في هذه المنطقة في نشر النفوذ واللغة الفرنسيين ؛ أن مدارس المؤسسيور عطا بطريرك الروم الكاثوليك ليسي لها سوى وجود شكلي ، رغم مساعدتنا لها عام ١٨٩٥ ، وتنافسها البعثات الانكليزية الاميركية التي تمتلك في حمص ثلاث مدارس هامة هي :

- ١ - مدرسة في المدينة نفسها ، وواحدة في حيطها . تضم الأولى ثلاثة تلميذاً من الروم الارثوذكس ، والثانية خمسين تلميذاً وتلميذة .
- ٢ - مدرسة للفتيات تديرها معلمة واحدة من أهالي البلاد . وتلامذتها خمسة وثلاثين من الارثوذكس واليعاقبة .

وللبعثات الانكليزية في حماه أيضاً مدرسة للصبيان وأخرى للبنات ، إلا أنها لم تنجح في اجتذاب الطلاب إليها فاقتلت أبوابها .

على رهباننا إذن أن يواجهوا ، في حمص ، مؤسسات الروم الارثوذوكس التي تعج بالطلاب . ومن المفيد أن اذكر هنا أيضاً أهمية بعض المدارس المحلية . فللروم في هذه المدينة مدرسة للصبيان لا يقل عدد طلابها عن الـ ٦٥٠ طالباً . بينهم خمسة وستين يتبعوه دروساً في الفرنسية ، ومدرسة للفتيات فيها ٢٨٠ تلميذة . كما يمتلكون مدرستين في ضواحي حمص واحدة للصبيان وواحدة للبنات .

وقد انتقلت هذه المدارس منذ بضعة أسابيع ، بالإضافة إلى مدارس أخرى في حماه ودمشق ، إلى اشراف الجمعية الروسية الارثوذوكسية في الجليل ، وذلك أثر اتفاق بين هذه الجمعية وبطريركية الروم الارثوذوكس في القدس . وتنصر احدى بنود الاتفاق على الغاء تعليم الفرنسية في هذه المؤسسات .

## ١٧ المدارس الأجنبية في طرابلس

### - المدارس الفرنسية .

غتلىك في طرابلس مدرستين للصبيان يديرهما الفرير ، واحدة في طرابلس - المدينة وفيها مئة وعشرة تلاميذ ، والثانية في طرابلس - البحريه وفيها ١٥٩ تلميذاً . كما يوجد في طرابلس - المدينة مدرسة للفتيات تديرها اخوات المحبة وتضم حوالي ٥٥٠ طفلة .

تواجه هذه المدارس منافسة مدارس البعثات الأمريكية ومدارس الارثوذكس .

### ٢ - المدارس الأمريكية :

يتسع نشاط البعثة الأمريكية في طرابلس إلى كل من . سنجق طرابلس ، وسنجق حماه ، واقضية البترون والكورنة في لبنان . وكان الأميركيون حتى وصول اليهود عام ١٨٨٢ ، الوحدين الذين يهتمون بمنطقة شمال طرابلس . وقد أوقف رهباننا تقدّمهم وجذبوا إليهم بعض طلابهم .

يشرف الأميركيون في المنطقة على المدارس التالية :

١ - مدرسة للفتيات في طرابلس ، المدينة . وفيها مديرية أميركية ، وأربعة معلمات من أهالي البلاد ، و٩٥ طالبة ، بينهن ٤٥ داخلين غير مجانيين ، وخمسين خارجيين مجانيين .

٢ - مدرسة للصبيان في طرابلس - المدينة وفيها استاذين محليين وخمسة وثلاثين تلميذاً مجانيأ .

٣ - مدرسة للفتيات في طرابلس - البحريه وفيها مديرية محلية وخمسين تلميذاً خارجياً .

التعليم في هذه المدارس الثلاث بالعربية والإنكليزية .

للبعثة الاميركية خارج طرابلس عدة مدارس صغيرة يشرف عليها اساتذة محليون فقط ولا تعلم سوى العربية ؛ بعض الطالب فقط يتلقون دروساً في الانكليزية . أهم هذه المدارس موجود في منطقة عكار ، في دابورا ، جبرائيل ، منيارا ، صافيتا ، مشتا ، برج صافيتا ، وفي الحصن والكوره . وسيبين لنا الجدول اللاحق تفصيلاً توزيع المدارس التي تدعمها وتشرف عليهابعثات الاميركية في طرابلس .

### ٣ - المدارس الارثوذكسية :

إن منافسة الاميركيين لمؤسساتنا لا تقايس بما يفعله الروم الارثوذكس . فطريقك هذه الطائفة ، المونسي뇰 غريغوريوس ، يبذل جهوداً واسعة لمساعدة مدارسها ، ويحاول الحصول على مساعدة الـ Saint-synode الروسي والجمعية الروسية في فلسطين لتحقيق ذلك .

ولكي يواجه مدرسة الفرير ، أسس المونسي뇰 غريغوريوس مدرسة للصبيان في « كفتين » ، على بعد ساعتين من طرابلس . إلا أنها اقفلت ابوابها نظراً لسوء ادارتها .

كما يشرف البطريرك الارثوذكسي على المدارس التالية :

١ - مدرسة للصبيان في طرابلس - البحريه ، فيها ١٤٠ تلميذاً ، بينهم ٤٠ يتعلمون الفرنسيه ، ومدرسة للفتيات تضم ١١٠ طالبات - ولا يعلم فيها إلا العربية والأشغال اليدوية .

٢ - مدرسة للصبيان في طرابلس - المدينة ، فيها ١٩٠ طالباً ، يتبع البعض منهم دروساً في الفرنسيه .

لقد جعل المونسي뇰 غريغوريوس لهذا المدارس شأناً هاماً ، بعد أن ضاعف عدد الاساتذة فيها وأضاف إليها تعليم لغتنا .

## V المدارس الأجنبية في صيدا .

على مدارس اليسوعيين ومدارس راهبات مار يوسف الظهور في صيدا -  
أن تواجه مؤسسات الكنيسة الكلفانية الاميركية التي تضم :

١ - مدرسة للصبيان يتعلم فيها ٨٠ طالباً داخلياً وخمسين خارجياً الانكليزية والعربية . كما يعطى فيها بعض الدروس في الفرنسية بطريقة غير منتظمة للايحاء بأن لغتنا جزء من برنامج التدريس .

وقد أضاف المرسلون إلى هذه المدرسة ، مدرسة للفنون والمهن جلبوا إليها خياطاً وحداداً ونجاراً . . . ويحق للطلاب الداخليين فقط أن يتلعلموا المهنة التي يرغبون بها . ويبدو أن هذه المدرسة التي افتتحت هذه السنة ستكون ، بعد أن تتطور ، وسيلة دعائية ممتازة بين الأهالي الذين سيجدون فيها فرصة سانحة لتعليم أولادهم مهنة ما .

٢ - مدرسة للبنات يتعلم فيها ستين طالبة داخلية وخمسين خارجية العربية والانكليزية فقط .

ويفكر المرسلون الاميركيون بتأسيس مدرسة زراعية في ضواحي صيدا . وقد اختاروا أرضاً واسعة في « الميه وميه » دفعوا ثمناً لها مئة ألف فرنك . إلا أن المفاوضات لم تنته لغاية الآن ، فعمدوا إلى البحث عن مكان آخر في « درب السيم » على مسافة ساعة واحدة من صيدا .

يجب أن نضيف إلى البعثة البروتستانتية في صيدا ، مدرسة الصبيان في صور وثمان مدارس صغيرة في منطقة مرجعيون ؛ ويبدو أن هذه الأخيرة لا تضم اعداداً واسعة من الطلاب .

## IV المدارس الأجنبية في جبل لبنان

إن التقرير السابق حول اوضاع المدارس البروتستانتية في ولاية بيروت يبقى ناقصاً إذا لم نصف إليه بعض التفاصيل حول النفوذ البروتستانتي في

حكومة لبنان العامة . وفقاً لاحصاء البعثات البروتستانتية نفسها ، يوجد في لبنان تسع عشرة مدرسة للفتيات وخمس وخمسين مدرسة للصبيان تشرف عليها وتساعدها الجمعيّتين الانكليزية والاميركيّة الموجودتين في سوريا . ويبيّن لنا الجدول اللاحق تفاصيل ذلك .

باستثناء برمانا حيث توجد مستشفى يشرف عليها طبيب انكليزي ، وبعض المدارس الملحوقة بها ، فإن المدارس المذكورة بدائمة جداً ... وأن أشك في رقم الثلاثة آلاف طالب الذي قدم لي على أنه عدد الطلاب اللبنانيين في المدارس البروتستانتية كما لا أشك في أن عدد هذه المدارس قد تضاعف كثيراً في السنوات الأخيرة ، وإذا لم نحاربها ونواجهها بقوّة كما هي الحال مع المدارس الأهلية التي يدعمها اليهوديون ، فإننا سنواجه خطراً راهناً ومستقبلياً على نفوسنا . إن المسيحي من سكان البلاد الذي لا يبحث سوى عن مصلحته الخاصة سوف يعتاد تدريجاً على التوجه إلى انكلترا ، ويكف عن اعتبار فرنس القوة التي تحميّه .

التّوقيع : سوهار

## I جدول المدارس البروتستانتية في جبل لبنان .

### ١ - قضاء المتن

مدارس الصبيان	مدارس البنات	القرى
١	-	المتين
١	-	كفر عقب
١	-	عن القبو
١	١	الشویر
١	-	رأس المتن
١	١	برمانا ( مع المستشفى )
١	-	روميه

مدارس الصبيان	مدارس البنات	القرى
١	١	بيت مري
١	-	المنصورية
١	-	نابية
١	١	عاريا
١	١	برج البراجنة
١	-	حانا
١	-	كفرشيمها
١	-	وادي شحرور
١	-	القداد

٢ - منطقة جزين

١	-	اهلالية
١	-	صاحبة
١	-	جزين

٣ - منطقة دير القمر

١	١	دير القمر
---	---	-----------

٤ - منطقة الشوف

١	١	بحمدون
١	١	عالية
١	١	سوق الغرب
١	١	شمان
١	١	عيناب
١	١	كفر متى
١	١	المختارة
١	١	غريفة
١	١	الباروك
١	١	عين زحلتا

مدارس الصبيان	مدارس البنات	القرى
١	١	الشويفات
١	١	عين بعال
١	١	عين عنوب
١	-	عرمون
١	-	معلقة الدامور
١	-	الدبيه
١	-	المطلة
١	-	عماطور
١	-	بعقلين
١	-	بشامون
١	-	بتلون
١	-	القماطية
١	-	دير قوبيل
١	-	جون

#### ٥ - منطقة زحلة

١	١	زحلة
---	---	------

#### ٦ - منطقة الكورة

-	١	كوسبا
---	---	-------

#### ٧ - منطقة البترون

١	-	البترون
---	---	---------

#### ٨ - منطقة كسروان

١	-	غرزوز
١	-	النصف

ملاحظة : يبين لنا الاحصاء أن مدارس البروتستانت تتوزع بكثافة في مناطق الشوف والمنطقة حيث يغلب العنصر الدرزي وحيث يمكن بالتالي ، للنفوذ الانكليزي أن يتغلغل بقوة أكبر .

II جدول المدارس التي تديرها وتشرف عليها البعثة الاميركية في طرابلس :

١ - قضاء طرابلس

الامكنة	عدد الاساتذة	عدد الطالب	والطالبات
طرابلس المدينة (فتيات)	٥	-	٩٥
طرابلس المدينة (فتيان)	٣	٣٥	-
طرابلس البحرية	-	-	٥٠

٢ - قضاء عكار

دابورا	١	٤٠	-
شيخ محمد	١	٣٥	-
جبرائيل	١	٥٠	-
منياره	٢	-	٣٠
بينو	١	٣٠	١٥

٣ - قضاء صافيتا .

برج صافيتا	١	٤٥	-
مشتا (فتيان)	٣	١٥٠	-
مشتا (فتيات)	٢	-	٧٠

٤ - قضاء الحصن

دير عمارة	١	؟	-
خربيه	١	؟	-
عمرا	١	؟	-
مار مارتيما	١	؟	-

٥ - قضاء حماه

حماه	١	-	٣٥
مهردا	٢	١٥٠	-

## ٦ - قضاء حمص .

الامكنته	عدد الأساتذة	عدد الطلاب	والطلاب
حصص (فتيان)	٢	١٠٠	-
حصص (فتيات)	١	-	٦٠
فيروزه	١	٤٠	-
ام دربال	١	٣٠	-

III مدارس جبل لبنان التي تشرف عليها البعثة الاميركية :

### قضاء الكورة

-	١٥٠	٢	بشمرين
---	-----	---	--------

عادل اسماعيل - مجلد ١٦ ( ١٨٩٠ - ١٨٩٧ ) .

رسالة رقم ٦٦ .



## مراجع البحث

بالعربية :

- اسماعيل عادل - خوري اميل : السياسة الدولية في الشرق العربي - اربعة اجزاء .  
ببيروت ١٩٦٠ .
- الصليبي كمال : تاريخ لبنان الحديث . دار النهار للنشر . ١٩٧٨ .
- ابو فاضل . ميشال : التعليم العالي في لبنان خلال القرنين الاخيرين . رسالة  
كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . ببيروت ١٩٧٢ .
- اسكندرینیه : مدرسة عین ورقة ودورها التربوي في لبنان . رسالة كفاءة في كلية  
التربية الجامعة اللبنانية . ببيروت ١٩٧٠ .
- اليسوعيون في الشرق الاقصى والعالم : دار النهار للنشر . ببيروت ١٩٧١ .
- الكوسا نعيم : المدارس الاسلامية في لبنان في القرن التاسع عشر . رسالة كفاءة في  
كلية التربية . الجامعة اللبنانية . ببيروت ١٩٧٢ .
- بشور منير : بنية النظام التربوي في لبنان - المركز التربوي للبحوث والانماء -  
ببيروت ١٩٧٨ .
- جamil mohamed nouri : les écoles maronites au Liban à la fin du XIXe siècle .  
Thèse de K. de l'université libanaise . Beyrouth ١٩٧٢ .

- حوراني البرت : الفكر العربي في عصر النهضة . دار النهار للنشر . بيروت . ١٩٧٢ .
- حايك شكري : التنظيم التربوي الماروني . رسالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية - بيروت . ١٩٧٢ .
- خالدي م . فروخ . ع : التبشير والاستعمار في البلاد العربية . بيروت ١٩٧٣ . الطبعة الخامسة .
- زين زين : الصراع الدولي على المشرق العربي وولادة دولتي سوريا ولبنان . دار النهار للنشر - بيروت . ١٩٧٨ .
- شلق سالم : مدارس الارساليات الاجنبية في لبنان في القرن التاسع عشر . رسالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٣ .
- عطية نعيم : الفكر التربوي في البلاد العربية في القرن الماضي . الجامعة الاميركية . دون تاريخ .
- عبد بيار : الدور التربوي للاكليروس الماروني في جبل لبنان خلال القرن التاسع عشر . رسالة دبلوم في علم اجتماع التربية . معهد العلوم الاجتماعية . الفرع الاول . بيروت ١٩٨٥ .
- ١٦ - عوض محمد عبد العزيز : الادارة العثمانية في ولاية سوريا . ١٨٦٤ - ١٩١٤  
دار المعارف .

بالفرنسية

مراجع عامة :

- **Abdel nour Jabbour:** La contribution des libanais à la renaissance littéraire arabe au XIX's, thèse de Doctorat d'Etat- Paris 1952.
- **Aboussouan Benoit:** Le problème politique syrien- Paris 1925.
- **Adel Ismail:** Documents Diplomatiques et consulaires- les sources françaises- Ministère de l'Education National- Beyrouth- 32 Tomes jusqu'au 1986.

— **Archives du Ministère des Affaires Etrangères Françaises:**

Série: Correspondance Politique des Consuls Turquie-Beyrouth. Vol.: 2- 3- 4- 5- 6- 7- 8- 18, 1840- 1861.

Série: Correspondance Politique et commerciale Turquie, Politique intérieure. Syrie- Liban. 1897- 1899- vol. 105-125.

Série: Correspondance Consulaires et Commerciale Turquie-Beyrouth. Tome I (1821- 1828) 1Bis (1830- 1833) 1tr (1834- 1835), 7 (1854- 1863), 8,9 (1864- 1888).

**5- Baudicour- Louis:** La France en Syrie- Paris 1860 2ème édition.

**6- Boumalhab Daad:** Les relations entre le Liban et la France entre les années 1831 et 1845 thèse 3ème cycle- Paris 1969.

**7- Chevallier Dominique:** La société du Mont Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe, Paris 1971.

**8- Cuinet Vital:** Syrie Liban et Palestine- Géographie administrative, statistique descriptiva et raisonnée- Paris 1896.

**9- De Dainville François S.J.:** La naissance de l'humanisme moderne. Les Jésuites et l'éducation de la société française- Tome I- paris 1939.

**10- Durkheim:** L'évolution pédagogique en France. P.U.F. (1969).

**11- Guys Henri:** Relation d'un séjour de plusieurs années à Beyrouth et dans le Liban- tome I,II. Paris 1847.

— Voyage en Syrie- peinture des mœurs musulmanes, chrétiennes et israélites. Paris 1855.

— Esquisse de l'état politique et commercial de la Syrie- Paris 1862.

**12- Giappesi-Christian:** Structures communautaires et idéologie politique au Liban à l'époque du Mandat français (1919- 1946) thèse 3ème cycle Paris 1974.

**13- Gontaut-Biron conte R.de:** Comment la France s'est installée en Syrie- 1918-1919- Paris 1922.

- 14- Hajjar Joseph:** L'Europe et les destinées du proche orient (1815-1848)- Belgique 1970.
- 15- Histoire universelle des Missions catholiques sous la direction de M.S. De la croix.**
- Tome I- les Missions des origines au XVI S<sup>e</sup>me-1956  
II- les Missions Modernes 1957.  
III- les Missions contemporaines 1958.  
IV- L'Eglise catholique en face du monde mon chrétien.  
1959.  
Librairie Grund.
- 16- Murad Nicolas S.G.MGR:** Sur l'origine de la nation Maronite et sur ses rapports avec la France Paris 1844.
- 17- Primo J.L.François:** Histoire universelle des Missions catholiques. Tome II. Paris 1957.
- 18- Rist elhueber René:** Traditions françaises au Liban-Paris 1918.
- 19- Rochemonteix C.P.J:** Le Liban et l'expédition française en Syrie 1860-1861 (documents inédits du Général A.Ducroit) Paris 1921.
- 20- Rondot Pierre:** Les institutions politiques au Liban des communautés traditionnelles à l'Etat moderne. Paris 1947.
- 21- Salam Nawaf:** L'listoire de le rôle de l'influence et de la pénétration française et Anglo-Américaine dans lenseignement au Liban de 1840 à 1914- Mémoire de l'histoire sociale- Paris 1974.
- 22- Schimberg A.:** L'Education Morale dans les colléges de la compagnie de jesus en France sous l'ancien régime(XVI, XVII, XVIII,S) Paris 1913.
- 23- Sedès Jean:** Histoire des Missions Françaises. Q.S.J. Paris 1950.
- 24- Tyan Ferdinand :** France et Liban-Défense des intérêts français en Syrie-Paris 1917.
- 25- Vaulx B.:** Histoire des missions catholiques françaises. Fayard. Paris 1951.

٢٠٠

٢ - خاصة باليسوغين :

- 26- Bernoville Gaetan:** Les jésuites. édition Grasset 1934.
- 27- Camuzet Luce:** L'œuvre en Syrie des sœurs de st. J. de l'apparition. Paris 1931.
- 28- Charmot. F.S.J:** La pédagogie des jésuites. Ses principes son actualité. SPES. Paris 1951.
- 29- Charles H.S.J:** Jésuites missionnaires. Syrie- Proche orient. 1929.
- 30- Dumas François Ribadeau:** Grandeur et misère des jésuites Paris 1963.
- 31- Gogou Georges:** Les Filles de la charité-edition Grasset. Paris 1936.
- 32- Guillermou Alain:** Les jésuites. Q.S.J, Paris 1961.  
— St ignace de loyola et la compagnie de jesus. seuil. 1960.
- 33- Guichard. Alain:** Les jésuites. Paris 1974.
- 34- Histoire Religieuse , politique et littéraire de la compagnie de jesus.** Tome I.II.III.IV.V.VI. Paris 1859.
- 35- Les Jésuites en Syrie- 1831- 1931-** université st joseph.  
I- Séminaire oriental.  
II- Faculté Française de Médecine.  
III- L'Ecole du Droit.  
IV- L'Ecole d'Ingénieurs.  
V- Le collège et le cercle.  
VI- Les œuvres de presse.  
VII- L'Apostolat social.  
Paris 1931.
- 36- Jullien (R.P.M):** La nouvelle Mission de la compagnie de jesus en Syrie (1831-1895) Tome I,II. Paris 1899.
- 39- Khozami Victoria:** L'enseignement au Liban- Thèse d'université- Paris 1952.

- 38- Levenq. G. S.J:** La nouvelle mission de la compagnie de jésus au Liban et en Syrie 1831- Beyrouth 1925.
- 39- Mélia Jean:** Chez les chétriensd'Orient - Paris 1929.
- 40- Missionnaires de 20.ans.** Paris 1931- sans auteur.
- 41- Les Missions catholiques françaises au XIXeme s.:** La France a dehors- Tome premier Missions d'orient- sans date.
- 42- Ravier André s.j:** Ignace de loyola fonde la compagnie de jésus Paris 1974.

### ٣ - مقالات و مجلات :

- 43- Chevallier Dominique:** «Aspects sociaux de la question d'Orient- aux origines des troubles agraires au Liban en 1858», in Annales- 14eme année- No1- janvier Mars- 1959.
- 44- Prelot (H.S.J):** Nos congrégations enseignantes en Syrie p.576- 602., in Etudes publié par les p. de la c. de jésus tome 86- Paris 1901.
- 45- Vaumas E.de.:** La répartition confessionnelle au Liban: in Revue de géographie Alpine. XLIII- Paris 1955- p.511-603.
- 46- Revue d'histoire des Missions:** Revue trimestrielle. No 1- 8eme année- Paris 193.
- 47- Revue historique:** No CCVII- 67 année- 1952.
- 48- EMERIT M.:** L'ascension syrienne et l'expansion économique française en 1860. p.211-232.
- 49- Bertrand L.:** «Les écoles d'Orient-écoles chrétiennes et israélites.» in Revue de deux mondes: LXXIX année- cinquième période tome 52- Août 1952.
- 50- Villeneuve H.:** Les écoles Françaises et étrangères en Syrie in Revue des universités de Midi. tome III-No2- 19eme année- 1897. article p.206-240.
- 51- Canuti (Louis S.J.):** Rapport sur les écoles. TVII- 1873. 74.

**52- Corneau (Simon S.J.):** Les écoles des P.P. jésuites. T. VI- 1870- 72.

**53- Ducot (Louis S.J):** Les écoles des p.p jérites de la compagnie de jesus du Mont-Liban. Janvier 1863. Les établissements et les œuvres de la mission- T IX- 1876.

Les trois articles in Bulletin de l'œuvre des Ecoles D'orient.



## فهرست الوثائق

### الفصل الثالث

- (١) تأسيس كلية في سوريا وأثرها الإيجابي على مصالح فرنسا ، وتلبيتها حاجات المسيحيين . توقيت اليسوعيين إدارة هذه الكلية . نشر اللغة الفرنسية يعني خلق نواة متقدمة في كل وقت في سبيل فرنسا .
- (٢) : مشروع يسوعي لبناء كلية للأطفال في بيروت . قلق فرنسي من النشاط اليسوعي ، ومن منافسته للبعثات الفرنسية .
- (٣) شك فرنسي في النشاط اليسوعي .
- (٤) دعوة فرنسية لطرد بعثة اليسوعيين من سوريا .
- (٥) حسنات وسبل استقرار اليسوعيين في بيروت . المقارنة بينهم وبين العازاريين . ضرورة ابعاد اليسوعيين .
- (٦) توجه اليسوعيين نحو النمسا - تصميمهم على مهاجمة فرنسا . توسيع مشاريعهم .
- (٧) الخوف الفرنسي من منافسة البعثات الأخرى . تأسيس الكليات لمواجهة النفوذ - أهمية مدينة زحلة مسيحياً - ضرورة تأسيس كلية فيها .
- (٨) استعداد فرنسي للتقارب من اليسوعيين .
- (٩) اصرار فرنسي على جعل اليسوعيين تحت سلطتهم .

- (١٠) اتفاق بين روما وفرنسا حول جمعية يسوع .
- (١١) مدرسة غزير اليسوعية - رغبة اليسوعيين في دعم حكومة الملك - أهمية الكاثوليك في مدينة زحلة - ضرورة تحويل بعثة اليسوعيين إلى بعثة فرنسية .
- (١٢) قدوم بعثة أخوات القديس يوسف - مواجهة الأب بلا شيء اليسوعي - تحذير من النشاط اليسوعي - المؤسسات التعليمية أفضل خدمة للمسيحيين .
- (١٣) نداء فرنسي لوضع حد لمنافسة اليسوعيين .
- (١٤) أهمية سوريا وأهمية المسيحيين لنشر الحضارة الفرنسية فيها عبر المدارس .
- (١٥) الموارنة أكثر الطوائف استعداداً للعمل مع فرنسا . البعثات تخدم التفود الفرنسي .
- (١٦) دعم فرنسا للكاثوليك والظهور بالحياة .
- (١٧) موارنة لبنان يتمسون حماية فرنسا .

#### **الفصل الرابع**

- (١٨) اهتمام يسوعي بالمدرسة الابتدائية . مراقبة فرنسية للنشاط اليسوعي الذي يقترب من النمسا .
- (١٩) المنح الفرنسية تجذب أبناء العائلات .
- (٢٠) اعداد اشخاص ينشرون اللغة الفرنسية . أهمية مؤسسات اليسوعيين - ضرورة التعاون معهم لنشر الفرنسية .
- (٢١) تعليم الأطفال ، أفضل وسيلة لنشر التفود الفرنسي . ضرورة توسيع المدارس إلى انحاء لبنان كافة .
- (٢٢) علاقة التعليم بالبعثات الدينية . تنبية إلى كيفية الحفاظ على المعارف الفرنسية التي يتلقاها الطلاب العرب .
- (٢٣) أهمية سوريا . أهمية العنصر المسيحي فيها . امجاد فرنسا عام ١٨٤٠ - القلق من منافسة البروتستانت . تحول التعليم إلى قضية سياسية . تساؤل حول اللجوء إلى التعليم العلماني . اعتراف بفضل اليسوعيين والعازاريين في نشر التفود الفرنسي . تشديد على أهمية التعليم الديني .

(٢٤) قلق من التضييق العثماني على كلية الطب الفرنسية وعلى خريجيها . رغبة الباب العالي في تطوير كلية الطب الملكية .

(٢٥) خشية فرنسية من تزعزع وضع كلية الطب بسبب أزمة الدبلوم .

(٢٦) أهداف كلية الطب سياسية ودعائية ، قبل أي فائدة علمية .

(٢٧) مدرسة طب فرنسية لمواجهة النفوذ البروتستانتي - اعتماد على الأطباء المخريجين لنشر النفوذ الفرنسي في تركيا .

(٢٨) مدرسة اليسوعيين في بكفيا .

(٢٩) نص الاتفاق المشترك اليسوعي - الفرنسي حول هذه الكلية - مواد التدريس - اللجان - الامتحانات - فترة الدراسة - ملحق جامعة القديس يوسف - التعليم الثانوي واقسامه - التعليم العالي ومواده .

## الفصل الخامس

(٣٠) فوائد كلية عينطورة بالنسبة للفرنسيين .

(٣١) حث على الاهتمام بكلية عينطورة ، لما فيه خدمة للنفوذ الفرنسي عبر العائلات المارونية .

(٣٢) المدارس الاجنبية في بيروت ، اللاذقية ، حمص وحماه ، طرابلس ، صيدا ، جبل لبنان . والمدارس الاميركية في طرابلس مع جداول بانتشارها في الأقضية المختلفة .



# الفهرس

- تقديم ..... ٩	
الفصل الأول : التبشير المسيحي :	
من الكنيسة إلى أوروبا الاستعمارية ..... ١٩	
جمعية يسوع : تأسيسها وسيرة مؤسسها ..... ٢٨	
نشاط الجمعية ..... ٢٩	
الجمهورية اليسوعية ..... ٣١	
الفصل الثاني : التعليم الرسمي والاهلي	
مؤشرات التعليم والثقافة عند الموارنة ..... ٣٨	
● مقررات الجامع وصعوبة التنفيذ ..... ٣٨	
● مقررات « جمع اللويزة » ..... ٣٩	
● خريجو روما ، التأثير الضائع ..... ٤٢	
● « تحت السنديانة » ..... ٤٥	
● التعليم الرسمي العثماني ..... ٥١	
● الكتاب ..... ٥٢	
● مراحل الدراسة المنظمة ..... ٥٣	
● التعليم عند المسلمين ..... ٥٥	

● جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ..... ٥٥	
● التعليم في جبل عامل ..... ٥٧	
الفصل الثالث : اليسوعيون في سوريا ولبنان ..... ٦٣	
● البعثة الأولى ..... ٦٥	
● البعثة الثانية ..... ٦٧	
I - اليسوعيون وفرنسا : - مرحلة الاختلاف ..... ٦٩	
- مرحلة الاتفاق ..... ٧٣	
II - اليسوعيون بين التناقض الدولي وانعكاساته المحلية ..... ٧٤	
- دخول رأس المال الاجنبي مدينة ليون : الاقتصاد والتبشير ..... ٧٦	
- حماية الطوائف وانتشار البعثات ..... ٧٨	
III - اليسوعيون والموارنة ..... ٨٠	
● الطب / الوسيلة ..... ٨١	
● اعداد الاكليرicos المحلي ومشكلة اللغة ..... ٨٢	
● «دونية الموارنة» وفحص عقائدهم ..... ٨٤	
IV - ملحق وثائق الفصل الثالث ..... ٨٩	
الفصل الرابع : التعليم اليسوعي واعداد النخبة : ..... ١١٩	
● المدرسة الابتدائية واسلوب التربية اليسوعي ..... ١٢١	
● مدارس الفتيات ..... ١٢٥	
● التعليم الثانوي ..... ١٢٦	
● التعليم الجامعي «جامعة القديس يوسف» ..... ١٢٩	
● المطبعة الكاثوليكية ..... ١٣٣	
● ملحق وثائق الفصل الرابع ..... ١٣٧	
الفصل الخامس : البعثات الفرنسية والبروتستانتية	
والبعثات الأوروبية الأخرى ..... ١٥٩	
● البعثات الفرنسية ..... ١٦١	

● البعثات البروتستانتية .....	١٦٦
● البعثات الأوروبية الأخرى .....	١٧٢
● ملحق وثائق الفصل الخامس .....	١٧٥
المراجع .....	١٩٧
فهرست الوثائق .....	٢٠٥
الفهرست .....	٢٠٩